الْغَنِيَّةُ الْنَقِيْةُ الْنَقِيْةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَةُ الْنَقِيَةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْنَقِيَّةُ الْمَاكِةُ الْمُعَلِّمُ الْمَاكِةُ الْمُعَلِّمُ الْمَاكِةُ الْمُعَلِّمُ الْمَاكِةُ الْمُعَلِّمُ الْمَاكِةُ الْمُعَلِّمُ اللّهُ الْمُعَلِمُ اللّهُ الْمُعَلِمُ اللّهُ اللللّهُولِي الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُو



للشيخ مح الظفر

۲۲۳۱–۳۸۲۱ه ۲۰۶۱ – ۲۶۶۱م

الجزء الشاني





www.alkafeel.net info@alkafeel.net nashra@alkafeel.net

كربلاء المقدسة ص.ب (۲۳۳) هاتف:۲۲۲۹۰۰: داخلي: ۲۷۵ـ۱۹۳

الكتاب: دروس منهجية في شرح عقائد الإمامية.

تأليف: الشيخ حسين عبد الرضا الأسدى.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية.

الاخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدى، محمد قاسم النصر اوى.

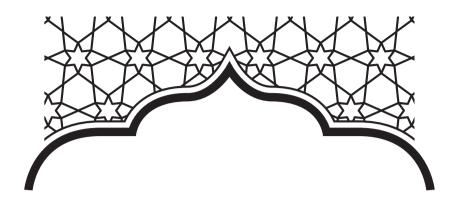
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.

الطبعة: الأولى.

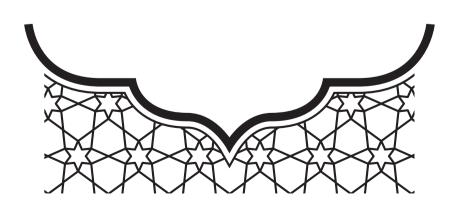
عدد النسخ: ٠٠٥ .

ربيع الآخر ١٤٤٢ه-تشرين الثاني ٢٠٢٠م









عقيدتنافي الإمامة

قال الشيخ على:

«عقيدتنا في الإمامة:

نعتقدُ أنّ الإمامة أصلٌ من أصول الدين لا يتم الإيهان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة.

وعلى الأقلِّ أنّ الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها إيجاباً أو سلباً، فإذا لم تكنْ أصلاً من الأصول لا يجوز فيها التقليد لكونها أصلاً فإنّه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة أي من جهة أنّ فراغ ذمة المكلف من التكاليف المفروضة عليه قطعاً من الله واجبٌ عقلاً، وليست كُلُّها معلومةً من طريقة قطعية، فلا بُدّ من الرجوع فيها إلى من نقطع بفراغ الذمة باتباعه، أما الإمام على طريقة الإمامية أو غير على طريقة غيرهم.

وعلى هذا، فالإمامة استمرارٌ للنبوة. والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول.

فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله. وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاءوا أنْ ينصبوا أحداً نصبوه، وإذا شاءوا أنْ يعينوا إماماً لهم عينوه، ومتى شاءوا أنْ يتركوا تعيينه تركوه، ليصح لهم البقاء بلا إمام، بل «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» على ما ثبت ذلك عن الرسول الأعظم بالحديث المستفيض.

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.» انتهى.

في هذا الفصل يبدأ الشيخ هل ببحثٍ مفصلي في علم الكلام، ربم يكون هو أهم البحوث على الإطلاق، وقد أشار الشيخ إلى عدة نقاط:

النقطة الأولى:

هل الإمامة أصلٌ من أصول الدين أو فرعٌ من فروعه؟

ذهب الإمامية أتباع مذهب أهل البيت الله إلى أنَّ الإمامة أصلُ من أصول الدين. وتترتبُ على قولهم هذا عدة نتائج:

الأولى: أنَّ الإيهان بها ضروري على حدِّ التوحيد والنبوة، وهذا ما أشار إليه الشيخ رحمه الله بقوله: «لا يتم الإيهان إلا بالاعتقاد بها».

الثانية: يجب تحصيل اليقين فيها ولا يكفي الظن فضلًا عن التقليد، بل لابد من اليقين والجزم والاعتقاد الواضح، وهذا ما أشار إليه الشيخ رحمه الله بقوله: «ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مها عظموا وكبروا».

الثالثة: أنَّ البحث فيها سيدخل تحت كبرى: لزوم النظر والمعرفة، ذلك اللزوم والوجوب العقلي قبل أنْ يكون شرعيًا، وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى ذلك قائلًا: «بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة».

أما العامة فجلَّهم ذهب إلى أنَّها مسألة فرعية، وعليه فيكفي فيها الظن والتقليد، وليس للعقل في ثبوتها أو عدمه مسرحٌ؛ لأنها تابعة لاجتهاد المجتهدين.

وقد أنتج هذا الخلاف منظومتين فكريتين قسّمتا الأمة الإسلامية إلى مدرستين، اختلفتا في الكثير من النتائج على مستوى العقيدة وعلى مستوى الفقه، بل وعلى مستوى السلوك أيضًا.

سبب الاختلاف في كون الإمامة أصلاً أو فرعاً:

يرجع هذا الاختلاف في الحقيقة إلى خلافٍ أعمق منه، وسيشير إليه الشيخ لاحقًا في (عقيدتنا في أنَّ الإمامة بالنص)، فمن قال: إنَّ الابد أنْ تكون بالنص (أي إنَّ التعيين فيها يكون من قبل الله و حصرًا)، فقد جعلها والنبوة على حدٍ سواء من هذه الناحية (التعيين)، وبها أنَّ النبوة أصل من أصول الدين، فالإمامة كذلك.

أما من قال بكفاية الانتخاب أو الشورى أو اختيار أهل الحل والعقد أو حتى الانقلاب العسكري في تعيين الإمام، فلا محالة سينتهي إلى القول بأنَّها مسألة فرعية تابعة للاجتهادات والاختيارات البشرية.

ما هو الدليل على أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين؟

مقدمة:

قبل الولوج في الجواب عن هذا السؤال يحسُن بنا أن نقدمَ مقدمة، مفادها: ما هو الملاك أو المعيار أو الضابط في كون عقيدةٍ ما أصلًا من أصول الدين؟

الظاهر أنَّ المعيار في جعل عقيدةٍ ما أصلًا من أصول الدين يكمن في أهمية تلك العقيدة، أي مقدار دورها ووظيفتها في المنظومة الأساسية للإسلام، فقد تقدم أنه على الرغم من أنَّ العدل صفة من الصفات الكمالية لله جل وعلا، ولكنه جُعِل أصلًا من أصول الدين لما يترتب على الإيمان به أو عدمه من الثمرات الخطيرة جداً، ونفس هذا المعيار يأتي في الإمامة، حيث إنَّ لها دورًا ضخاً جدًا في منظومة الإسلام عموماً.

ومن هنا يجدر بمن يحاج ويناظر أتباع مدرسة الخلفاء أن يسلّط الضوء كل الضوء ويكثف الجهد كل الجهد على مسألة الإمامة، ولا يهدر جهده ووقته على النقاش في المسائل التفصيلية التي ما هي إلا فروع أثمرت من أساس تلك المسألة، من قبيل

الاختلاف في التكتف في الصلاة أو إسبالهما، والاختلاف في حلّية الزواج المنقطع أو حرمته، والاختلاف في جواز السجود على التربة أو عدمه، والاختلاف في جواز التوسل بالأولياء أو عدمه...؛ فإن النقاش فيها عقيمٌ في العادة؛ لأنها نتائج لخلاف أسبق يكمن فيمن هو الخليفة الشرعي لرسول الله يله فإن تمكن المناظر والمحاجج من إثبات أنه هو أمير المؤمنين علي من أغناه ذلك عن النقاش في جميع تلك المسائل التفصيلية، لأنها ستثبت بتلقائية حسب ما يراه أمير المؤمنين.

ويرجع الاختلاف في تعيين الإمام أو الخليفة الشرعي إلى اختلاف أسبق ورئيسي مفاده: هل إنَّ الإمامة بالنص أو لا؟

فإن ثبت أنها بالنص، فقد توجّب البحث عن النصوص والأدلة الشرعية التي عيّنت الإمام، وحينئذٍ يثبت أنَّ أمير المؤمنين وحده هو الخليفة الشرعي؛ إذ ما من نصٍ معتبرٍ أشار إلى سواه بالإمامة، وهذا ما ذهب إليه الإمامية، على خلاف مدرسة الخلفاء التي نفت الإمامة النصّية من رأس، وبالتالي نفت تعيين أي إمام، متخبطةً في أمر تعيين الخليفة بين عدة نظريات، ما وضعت إلا لتصحيح واقع متناقض وشرعنة أحداث منحرفة سيأتي الحديث عنها لاحقًا.

كما نعتقد أنَّ الإمامة ليست مجرد مسألة مهمة من مسائل الإسلام، بل هي أهم مسائله؛ وذلك لأن أصلي التوحيد والنبوة ثابتان بصورة عامة لدى المسلمين، وإن كان هناك خلاف في بعض الجزئيات، على حين أنَّ الإمامة مختلفٌ فيها اختلافًا جذريًا يمتد إلى أصلها وأساسها.

أدلة كون الإمامة أصلًا من أصول الدين:

الدليل الاول: قوله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ

الشَّاكِرِينَ﴾. (١)

أنبأت هذه الآية أنَّ هناك حدثًا سيقع بعد رحيل رسول الله يَلُودي الى الانقلاب على العقب، والانقلاب على العقب كناية عن الخروج عن الدين، وإذا رجعنا إلى التاريخ المتفق عليه نجد: أنَّ الأمة الإسلامية بعد رحيل النبي يَلُهُ مباشرة، وقبل أنْ يُدفن يَلُه، فإنه قد حدث نزاعٌ ضخم حول (منا أمير ومنكم أمير) أي الخلاف على الإمامة، وكان هذا الخلاف سبب انقلاب الكثير منهم على العقب، بغضّ النظر عن حقّانية دعوى كل فريق، ولكن من كان على باطل فإنّه يخرج عن الدين والإسلام، وهنا تكمن خطورة الإمامة في كونها مسألةً يدور عليها الإسلام ثبوتًا ونفيًا، وبالتالي فإنَّ مسألةً هي الملاك في إيهان الإنسان وكفره لهي جديرةٌ بكل تأكيد أن تكون أصلًا من أصول الدين.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾. (٢)

فنزول الأمر الإلهي بالتبليغ بمسألةٍ ما، والمقرون بالتشديد على أهميته، بحيث

⁽١) آل عمران ١٤٤

⁽۲) المائدة ۲۷

⁽٣) الحديث متواتر لدى العامة والخاصة، انظر مثلاً: الكافي للكليني ج١ ص٢٩٣ باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين على ومسند أحمد بن حنبل ج١ ص ١١٨ وسنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني ج١ ص ٤٥ وغيرها.

يكون عدم الامتثال له وعدم تبليغ رسالة السهاء من رأس سواءً بسواء، أي يوجب ضياع أتعاب ثلاثٍ وعشرين سنةً من التبليغ للرسالة الإلهية أدراج الرياح، لهو ادلُّ دليلٍ على عظم هذه المسألة وخطورتها وأهميتها البالغة، فلا يعقل أن تكون مجرد مسألة فرعية أبداً، ولا يناسبها إلا أنْ تكون أصولية.

الدليل الثالث: الحديث المستفيض والمتفق عليه بين المسلمين بل والمتواتر أيضًا، حديث «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» هو دليلٌ آخر على أنَّ الإمامة أصلٌ لا فرع؛ لترتب خروج الإنسان من الدين على الجهل بالإمام وعدم معرفته، ومثله الحديث الوارد عن رسول الله عليه أنَّه قال: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية» (٢).

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَّاسِ بِإِمَامِهِمْ ﴾ (٣).

وفي تفسيره روي عن رسول الله عليه أنه قال: «يدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب الله وسنة نبيهم».(١)

وعَنْ مَالِكِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله ﴿ اللهُ اللهُ مَا لَكُ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وتُؤْتُوا الزَّكَاةَ وتَكُفُّوا وتَدْخُلُوا الجُنَّة، يَا مَالِكُ، إِنَّه لَيْسَ مِنْ قَوْمٍ ائْتَمُّوا بِإِمَامٍ فِي الصَّلَاةَ وتُؤُومُ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ ويَلْعَنُونَه، إِلَّا أَنْتُمْ ومَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ حَالِكُمْ، يَا مَالِكُ، اللهُ نْيَا إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ ويَلْعَنُونَه، إِلَّا أَنْتُمْ ومَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ حَالِكُمْ، يَا مَالِكُ،

⁽١) المائدة ٣

⁽٢) كمال الدين للصدوق: ١٣ و ٤١٤/ باب ٣٩/ ح ١٥.

⁽٣) الإسراء ٧١

⁽٤) عيون أخبار الرضاج٢ ص ٣٧.

إِنَّ المُّيِّتَ والله مِنْكُمْ عَلَى هَذَا الأَمْرِ لَشَهِيدٌ بِمَنْزِلَةِ الضَّارِبِ بِسَيْفِه فِي سَبِيلِ الله». (١) أي: إلا الذين يوالون أهل البيت المُلِينِ.

إذن تخصيص النداء يوم القيامة بالإمام يدل بوضوح على أنَّ الإمامة مسألة مصيرية، وفقها يكون مصير الإنسان يوم القيامة في الجنة أو النار، وهذا يتناسب مع كونها مسألة أصولية لا فرعية.

الدليل الخامس: ما دلَّ من الروايات على أنَّ منكر الإمام كافر، أي خارج عن الدين، ومن الواضح أنَّ الذي يوجب الخروج عن الدين هو الأصل لا الفرع، فمثلاً: من لا يصلي وهو يعترف أنَّها أمر من الله تعالى، لكنه لا يصلي، فإنه يقال عنه: فاسق، لا كافر، أما بالنسبة لمنكر الإمامة فيُقال عنه: كافر لا فاسق، كما ورد عن الإمام الباقر صلوات الله عليه أنه قال في قوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُهَاتِ لَيْسَ بِحَارِجٍ مِنْهَا﴾ (٢): «لَكَوْرِ لَا يَعْرِفُ الإِمَامَ)». (٣)

بل الأوضح ما ورد عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عَلَىٰ: سَمِعْتُه يَقُولُ: «نَحْنُ الَّذِينَ فَرَضَ الله طَاعَتَنَا لَا يَسَعُ النَّاسَ إِلَّا مَعْرِفَتُنَا وَلَا يُعْذَرُ النَّاسُ بِجَهَالَتِنَا مَنْ عَرَفَنَا كَانَ مُؤْمِناً، ومَنْ أَنْكَرَنَا كَانَ كَافِراً، ومَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا ولَمْ يُنْكِرْنَا كَانَ ضَالاً، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الله بِه مَا الله عَلَىٰ الله عَلَيْه مِنْ طَاعَتِنَا الْوَاجِبَةِ، فَإِنْ يَمُتْ عَلَى ضَلَالَتِه يَفْعَلِ الله بِه مَا يَشَاءُ». (١)

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق على: «الإمام علم بين الله وبين خلقه، فمن

⁽١) الكافي للكليني ج ٨ ص ١٤٦ - ١٢٢.

⁽٢) الأنعام ١٢٢

⁽٣) الكافي للكليني ج ١ ص ١٨٥ بَابُ مَعْرِفَةِ الإِمَام والرَّدِّ إِلَيْه ح ١٣.

⁽٤) الكافي للكليني ج ١ ص ١٨٧ بَابُ فَرْضِ طَاعَةِ اَلأَثِمَّةِ عَلَيْ / ح ١١.

عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافراً».(١)

الدليل السادس: ما دلَّ الدليل من الروايات الشريفة على أنَّ من تولَّى غير إمام الحق فإنَّه بمنزلة المشرك، كما روي عن الإمام الصادق الله قال: «مَنْ أَشْرَكَ مَعَ إِمَامٍ إِمَامَتُه مِنْ عِنْدِ الله مَنْ لَيْسَتْ إِمَامَتُه مِنَ الله كَانَ مُشْرِكاً بِالله». (٢)

وفي رواية عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى: لأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الإِسْلَامِ دَانَتْ بِوَلَايَةٍ كُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ الله، وإِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً..».(")

الدليل السابع: السيرة العملية للمخالفين، فالمخالفون الذين قالوا بأنَّ الإمامة فرع من فروع الدين هم أنفسهم قد تعاملوا مع الإمامة على أنَّها اصلٌ من أصول الدين. فقد روي أنه ليًا دخل الحجّاج مكَّة وصلب ابن الزبير راح عبد الله بن عمر إليه وقال: مُدَّ يدك لأُبايعك لعبد اللَك، قال رسول الله يَهِ «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فأخرج الحجّاج رجله وقال: خذ رجلي فإنَّ يدي مشغولة، فقال ابن عمر: أتستهزئ مني؟ قال الحجّاج: يا أحمق بني عدي ما بايعت مع عليٍّ وتقول اليوم: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، أوما كان عليٌّ إمام زمانك؟ والله ما جئت إليَّ لقول النبيِّ عليها ابن الزبير. (١٤)

ففعلُ عبد الله بن عمر هذا يكشف وبشكل جلي أنَّه كان يتعامل مع الإمامة على أنَّها مسألة مهمة جدًا - بغض النظر عن حقيقة توجهه الذي كشفه له الحجاج-

⁽١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤١٢ باب ٣٩ ح ٩.

⁽٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٣٧٣ بَابُ مَنِ ادَّعَى الإِمَامَةَ ولَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ ومَنْ جَحَدَ الأَئِمَّةَ أَوْ بَعْضَهُمْ وَمَنْ أَثْبَتَ الإِمَامَةَ لِيَنْ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلِ ح ٦.

⁽٣) الكافي للكليني ج ١ ص ٦ كُ٣٧ بَابٌ فِيمَنْ دَانَ الله ﴿ بِغَيْرُ إِمَامٍ مِنَ الله جَلَّ جَلاَّلُه ح ٤.

⁽٤) الكنىٰ والألقاب للشيخ عبّاس القمّي: ج ١/ ص ٣٦٣.

أضف إلى ذلك: الفتاوى الكثيرة التي صدرت ولازالت تصدر بأنَّ من يشتم الخليفة يُقتل، على حين أنَّ من يشرب الخمر أو لا يصلي لا يُقتل، وإنَّما يجلد وحسب، فنلاحظ أن تعاملهم مع المسائل الفرعية مختلف تمامًا عن تعاملهم مع الإمامة، فإنَّ سيرتهم العملية مع الإمامة تكشف عن أنهم يتعاملون معها على أنها مسألة من صميم الإسلام، وهذا مؤشر على أنَّهم يرفعونها عمليًا عن مرتبة الفروع، وإن كانوا نظريًا يقولون بأنَّها ليست من الأصول.

إن مجموع هذه المؤشرات أو المؤيدات يصلح -كل واحد منها أو مجموعها- دليلًا على أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين.

النقطة الثانية:

منشأ الضرورة في البحث عن الإمامة.

قال الشيخ على الأقل أنَّ الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها سلباً أو ايجاباً».

قد يتساءل البعض: هل هناك من ضرورة في البحث في الإمامة؟ وإذا كانت هناك ضرورة فها هو منشؤها؟

أشار الشيخ الله إلى أنَّ البحث في الإمامة أمر ضروري، وأنَّ ضرورته تنبع من أحد أمرين - بحسب ما أشار إليه الشيخ -:

الأول: أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين، وبالتالي فهي تدخل في صميم الانتهاء للدين الاسلامي، بمعنى أنَّ الإمامة مدار الإسلام وأصله، وأنَّ الإيمان متوقفٌ على الاعتقاد بها، وهذا ما تقدم في الروايات التي ذُكرت في النقطة الأولى.

الثاني: البحث في الإمامة يستلزمه الاحتياط العقلي، ويُلزم هذا الأمرُ من لا يعتقد بأنَّ الإمامة أصلٌ من أصول الدين، وبيان ذلك:

إنَّ المسلم يواجه مدرستين أساسيتين على الأقل في باب تفريغ ذمته من التكاليف المفروضة عليه من الله في، إحداهما تذهب إلى أنَّ الخلافة إنها تثبت بالنص، وأنَّ الخلفاء بعد رسول الله الأعظم على هم الأئمة من أهل البيت المالي فقط، وأنَّهم معصومون، ولهم الولايتان التكوينية والتشريعية، وتجب مودتهم والطاعة والتسليم المطلق لهم.

والأخرى تذهب إلى غير هذا، فتكتفى فيها بالانتخاب أو الشورى بل وحتى

الانقلاب العسكري، ولا تلتزم بضرورة العصمة ولا بالولاية التشريعية فضلًا عن التكوينية.

ثم إنَّ المسلم مكلفٌ بتكاليف واجبة على كلا المستويين العقائدي والفقهي، ولا تفرغ ذمته إلا بعد الإتيان بها على الوجه الصحيح، ولا يختلف اثنان على أنَّ هناك اختلافًا جذريًا بين هاتين المدرستين في بعض تلك الموضوعات، لاسيا تلك المسائل التي تتعلق بالتوحيد وصفات الله والعدل والنبوة على المستوى العقدي، وإسبال البدين أو تكتيفها والوضوء ووقت الإفطار وغيرها.

وبالتالي فإنَّ المكلف عندما يلتزم بإحدى المدرستين بصورة عفوية أو نتيجة تقليد الآباء لا يمكنه القطع بأنَّه قد جاء بالتكاليف على الوجه الذي يطلبه الشارع الأقدس، مما يعني أنَّ فراغ ذمته من تلك التكاليف سيكون مشكوكًا؛ ولأن الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني، فإنَّ العقل يحكم بضرورة بحث المكلف عن المدرسة الحقّ التي ينهل من فكرها ويعتقد بعقائدها ويلتزم بأحكامها بحثًا موضوعيًا منهجيًا بعيدًا عن الأهواء والتعصب؛ حتى يصل إلى القطع بحقّانية إحدى المدرستين؛ ليجزم بعد ذلك بفراغ ذمته لسلامة عقيدته من الانحراف ولصحة ما يأتى به من تكاليف.

النقطة الثالثة:

الإمامة لطف من الله تعالى

قال على الله تعالى الله تعالى». «كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى».

لا بد من الإشارة بادئ ذي بدء أنَّ دليل اللطف يثبت ضرورة المبدأ ولا يشخص القائم بالمبدأ، بمعنى: أنَّ دليل اللطف في النبوة مثلًا، يثبت ضرورة إرسال الأنبياء والرسل من الله تعالى، ولكن لا يُشخِّص لنا خصوص شخص النبي وأن فلانًا هو النبي لا غيره، فنحتاج إلى مثبتات أخرى لإثبات الشخص، كالمعجزة، وكذلك اللطف في مسألة الإمامة، هو يثبت لزوم تعيين إمامٍ أو خليفةٍ بعد الرسول، لكن لا يُعيِّن لنا شخص الإمام.

نكتة :

إن لطف الله تعالى ذاته دليلٌ عقلي على ضرورة وجود الإمام المهدي على حيًا في هذا العصر، وإن كان قاصرًا عن تشخيص شخصه المبارك الذي هو موكول إلى الدليل النقلى.

وقد تقدم تعريف اللطف بأنَّه: ما يكون سببًا في تقريب العبد إلى الطاعة وإبعاده عن المعصية، وهو لازم على الله تعالى لزومًا عقليًا، كلزوم الزوجية للعدد أربعة، إذ لم يفرض أحدٌ عليه ذلك سوى طبيعة ذاته. وكذا الله جل وعلا إذ لم يوجب اللطف ويفرضه أحدٌ عليه، ولكن طبيعة كال ذاته اللامتناهي قد اقتضت ذلك، فهو الحكيم دائمًا وأبدًا، فلا يفعل إلا الفعل الأكمل ورحمته ولطفه وسعا كل شيء، فلا يفعل إلا ما

يُقرِّب العبد إلى الطاعة والكمال.

كما إنّه سبحانه وتعالى يعلم أنَّ الإنسان لا يصل إلى الطاعة إلا إذا بيَّن هو الطريق المؤدي إليها، وإلا فلا يستطيع أنْ يصل إليها بمفرده، وبالتالي تكون عقوبته على المخالفة قبيحة عقلًا، والله تعالى لا يفعل إلا الحسن، فلزم ألّا يصدر منه قبيحٌ قط، وبذا لزم عليه -لطفًا بعباده- أنْ يبعث الأنبياء والرسل ويُعيِّن الائمة، فهو إلزام من باب الكمال الذاتي، لا أنه إلزام من الخارج.

ومن الواضح جدًا أنَّ وجود الإمام بين الناس، يُبيِّن لهم الأحكام الشرعية، ويقطع في نزاعاتهم، ويعلم الجاهل ويرد المتجاوز على الحدود الشرعية، ويفسر القرآن الكريم، ويقيم القسط بين الناس ويردُّ الشبهات، لا شك أنَّها من الأمور التي تقرب العبد إلى الطاعة وتبعده عن المعصية، إذن وجود الإمام لطف، وحيث إنَّ اللطف واجب على الله تعالى، إذن الإمامة واجبة على الله تعالى من باب اللطف.

ومن ألطف الأدلة الروائية في بيان مجال اللطف ما روي عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: «كَانَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله ﴿ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ مُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ وَمُحَمَّدُ بْنُ النَّعْمَانِ وَهِ شَامُ بْنُ الْحُكَمِ وَهُوَ شَابٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله ﴿ وَهِ شَامُ بْنُ الْحُكَمِ وَهُوَ شَابٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله ﴿ وَهِ شَامُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ إِنّي كَيْفَ صَنَعْتَ بِعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ وكَيْفَ سَأَلْتُه؟ فَقَالَ: هِشَامٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ الله إِنّي أُجِلُكَ وأَسْتَحْبِيكَ ولَا يَعْمَلُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ. (١)

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله ﷺ: إِذَا أَمَرْ تُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا. (٢)

قَالَ هِشَامٌ: بَلَغَنِي مَا كَانَ فِيه عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وجُلُوسُه فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَعَظُمَ

⁽١) وهذا أدب من هشام بين يدى الإمام المعصوم ك.

⁽٢) إذ الطاعة أولى من الأدب كما يُقال.

ذَلِكَ عَلَيَّ.(١)

أَيُّهَا الْعَالِمُ إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ تَأْذَنُ لِي فِي مَسْأَلَةٍ؟

فَقَالَ لِي: نَعَمْ. فَقُلْتُ: لَه أَلَكَ عَيْنٌ؟! فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَيُّ شَيْءٍ هَذَا مِنَ الشُّوَالِ! وشَيْءٌ تَرَاه كَيْفَ تَسْأَلُ عَنْه؟! فَقُلْتُ: هَكَذَا مَسْأَلَتِي. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ سَلْ وإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَتُكَ حَمْقَاءً! قُلْتُ: أَلِكَ عَيْنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَا تَصْنَعُ جَمْقَاءً! قُلْتُ: أَرَى بِهَا الأَلْوَانَ والأَشْخَاصَ.

قُلْتُ: فَلَكَ أَنْفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ فَمَا تَصْنَعُ بِه؟ قَالَ أَشَمُّ بِه الرَّائِحَةَ.

قُلْتُ: أَلَكَ فَمُ ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَا تَصْنَعُ بِه ؟ قَالَ: أَذُوقُ بِه الطَّعْمَ.

قُلْتُ: فَلَكَ أُذُنُّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِهَا الصَّوْتَ.

قُلْتُ: أَلَكَ قَلْبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَا تَصْنَعُ بِه؟ قَالَ: أُمَيِّزُ بِه كُلَّ مَا وَرَدَ عَلَى هَذِه الْحُوَارِحِ والْحُوَاسِّ.

قُلْتُ: أُولَيْسَ فِي هَذِه الْجُوَارِحِ غِنِّى عَنِ الْقَلْبِ؟ فَقَالَ: لَا. قُلْتُ: وكَيْفَ ذَلِكَ وهِيَ صَحِيحَةٌ سَلِيمَةٌ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْجُوَارِحَ إِذَا شَكَّتْ فِي شَيْءٍ شَمَّتْه أَوْ رَأَتُه أَوْ ذَاقَتْه أَوْ

⁽١) وهو أمر لا بد أن يكون هم كل داعٍ ومؤمن، إذ إن الاهتمام بأمور المسلمين مما ندب إليه الدين ودعا إليه.

⁽٢) ولعله من باب الأدب؛ لأن عمر هشام كان صغيرًا، ولعله من باب إرادة أن يسمع الجميع حوارهما.

سَمِعَتْه، رَدَّتْه إِلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَيْقِنُ الْيَقِينَ ويُبْطِلُ الشَّكَّ. (١)

قَالَ هِشَامٌ: فَقُلْتُ لَه: فَإِنَّمَا أَقَامَ الله الْقَلْبَ لِشَكِّ الْجُوَارِحِ؟! قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: لَا بُدَّ مِنَ الْقَلْبِ وإِلَّا لَمْ تَسْتَيْقِنِ الْجُوَارِحُ؟!(٢)

قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْتُ لَه: يَا أَبَا مَرْوَانَ، فَالله تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَثْرُكُ جَوَارِحَكَ حَتَّى جَعَلَ لَمَا إِمَاماً يُصَحِّحُ لَمَا الصَّحِيحَ ويَتَيَقَّنُ بِه مَا شُكَّ فِيه، ويَتْرُكُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي حَيْرَتِهِمْ وشَكِّهِمْ وَشَكِّهِمْ واخْتِلَافِهِمْ لَا يُقِيمُ لَكَ إِمَاماً يَرُدُّونَ إِلَيْه شَكَّهُمْ وحَيْرَتَهُمْ، ويُقِيمُ لَكَ إِمَاماً لِجُوَارِحِكَ وَاخْتِلَافِهِمْ لَا يُقِيمُ لَكَ إِمَاماً يَرُدُّونَ إِلَيْه شَكَّهُمْ وحَيْرَتَهُمْ، ويُقِيمُ لَكَ إِمَاماً لِجُوَارِحِكَ تَرُدُّ إلَيْه حَيْرَتَهُمْ وَشَكَكَ؟!

قَالَ: فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئًا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: أَنْتَ هِشَامُ بْنُ الْحُكَمِ؟ فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا هُوَ! ثُمَّ ضَمَّنِي إِلَيْه وأَقْعَدَنِي فِي مَجْلِسِه وزَالَ عَنْ مَجْلِسِه! ومَا نَطَقَ حَتَّى قُمْتُ.

قَالَ: فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ الله ﷺ وقَالَ: يَا هِشَامُ مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ قُلْتُ: شَيْءٌ أَخَذْتُه مِنْكَ وأَلَّفْتُه. (٣)

فَقَالَ عَنْ اللهُ مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى. (١٤)

⁽١) وفي هذا إشارة واضحة إلى أن أصحاب المنهج الحسي لا يكفيهم الحس للوصول إلى اليقين من دون الرجوع إلى (القلب) أو العقل.

⁽٢) كرّر السؤال نفسه بعبارات مختلفة ليُقرّه على ما أجاب به، حتى لا يتمكن من الهروب من لوازمه فيها بعد.

⁽٣) وفي هذا إشارة إلى تواضع هشام وأدبه في حضرة الإمام ، فلم ينسب هذه المناظرة لنفسه، وفيه إشارة أيضًا إلى جواز الاجتهاد والاستنباط، إذ هشام أخبر الإمام ، بأنه ألّف هذا المعنى مما سمعه منه، والإمام أقرّه عليه.

⁽٤) الكافي للكليني ج١ ص١٦٩ - ١٧١ باب الاضطرار الى الحجة ح٣.

النقطة الرابعة:

إنَّ الإمامة استمرار للنبوة.

قال الشيخ ﴿ يَكُمَ نَعْتَقَدُ أَنَّهَا كَالْنِبُوةَ لَطُفٌّ مِنَ الله ﴿ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ عَصرٍ إِمامٌ هَادٍ يَخْلُفُ النَّبِي فِي وَظَائِفُه ... ».

نعتقد أنَّ كلَّ وظائف النبي تكون للإمام الذي يخلف، من بيان الأحكام الشرعية وتفسير القرآن والقضاء بين الناس ورد الشبهات، فلا فرق من حيث الوظيفة بين النبي والإمام، إنّا الفرق بينها يكون في أنَّ النبي يوحى إليه وحيًا رساليًا، أما الإمام فلا يوحى إليه هذا النوع من الوحي، ولا يُفهم من ذلك أنّنا نقول بمساواة الإمام للنبي والعياذ بالله، فإنَّ الإمام علي نفسه كان يقول: إنّا أنا عَبْدٌ مِنْ عَبيدِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ. (١)

فإذا كانت الإمامة استمرارًا للنبوة، فهذا يعني أنَّ الأحكام المتعلقة بالنبوة والمميزات والركائز الأساسية، كلها لا بُدَّ أنْ تتوفر في الإمامة وهي الآتية:

١/ أنْ تكون الإمامة بالنص.

٢/ ضرورة وجود الإمام في كل عصر.

٣/ أَنَّ وجود الإمام لا يتوقف على إطاعة الخلق له، بل إنَّ وظيفته الهداية

⁽١) في الكافي للكليني (ج١ ص ٨٩ - ٩٠ باب بَابُ الْكَوْنِ والْكَانِ ح٥): عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ﴿ قَالَ: «َجَاءَ حِبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى أَمِيرِ اللَّوْمِنِينَ ﴿ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ اللَّوْمِنِينَ، مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لَه: ثَكلَتْكَ أُمُّكَ! ومَتَى لَا يُكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ؟ كَانَ رَبِّي قَبْلِ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ، وبَعْدَ الْبَعْدِ بِلاَ بَعْدٍ، ولَا غَايَةً ولَا مُنْتَهَى لِغَايَتِه، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَه، فَهُو مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ اللَّوْمِنِينَ، أَفَنَبِيُّ أَنْتَ. فَقَالَ: وَيَلكَ إِنَّهُ إِنَّا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الاختيارية، فيبقى الاختيار للناس، فقد يطيعونه وقد لا، كما في النبي تمامًا، كما أنَّ القرآن هدى للناس، ولكنّه لا يجبر الناس على الهداية.

٤/ أنَّ ضرورة وجود الإمام لا تتوقف على كونه ظاهرًا، بل يكفي وجوده الواقعي وإنْ كان غائبًا، وإنْ لم نعلم به أو نصل إليه، وهناك العديد من الروايات الشريفة تؤكد أنَّ الحجة سواء كان إمامًا أو نبيًا فإنه قد يكون ظاهرًا أو غائبًا، فقد رويَ عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «اللهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لله بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُوراً وإمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ الله وبيِّناتُه». (١)

كها روي عن الإمام الصادق (له تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولو لا ذلك لم يعبد الله...»(٢)

بل في بعض الروايات يسأل البعض الإمام عن صحة الروايات التي تقول: إنَّ الله تعالى لا يرفع الحجة من الأرض إلا إذا غضب عليهم، فنفى الإمام ذلك معللًا بأن رفع الحجة يوجب أنْ تسيخ الأرض بأهلها.

فقد روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الْحُسَنِ الرِّضَا ﴿ قَالَ: ﴿ قُلْتُ لَه: أَتَبْقَى الْخَسَنِ الرِّضَا ﴿ قَالَ: ﴿ قُلْتُ لَه: أَتَبْقَى بِغَيْرِ إِمَامٍ إِلَّا الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ إِلَّا كَنْ يَسْخَطَ الله تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ أَوْ عَلَى الْعِبَادِ؟ فَقَالَ: لَا، لَا تَبْقَى إِذَا لَسَاخَتْ ﴾. (٣)

وعلى الرغم من أنَّ ظهور الحجة وعدمه سيّان من هذه الناحية، إلا أنَّ ظهوره بلا شك أعظم من غيبته، من جهة إمكان الاستفادة منه مباشرة؛ ولذا كان الأصلُ هو

⁽١) نهج البلاغة ج٤ ص ٣٧. من الحكمة رقم (١٤٧)

⁽٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٢٠٧ باب ٢١ ح ٢٢.

⁽٣) الكافي للكليني ج ١ ص ١٧٩ بَابُ أَنَّ الأَرْضَ لاَ ثَخَلُو مِنْ حُجَّةٍ ح ١١.

ظهور الحجة، فإذا غاب كان خلاف الأصل، وحينئذٍ يشرع السؤال عن سبب غيابه، وسيأتي تفصيل الجواب في عقيدتنا في المهدي الله تعالى.

٥/ كفاية وجود الحجة الواقعي فيها إذا كان غائبًا طالما أنَّه قائمٌ بوظائفه، وكانت غيبته وفقًا لحكمة الله تعالى، سواءً طالت غيبته أو قصرت؛ لأن العقل لا يفرق بين الغيبة القصيرة أو الطويلة، حيث إنَّه في كلا الحالتين قد اضطرّ إلى بعض مسؤولياته التي تقتضي ظهوره كالقيادة المباشرة لهم وما إلى ذلك من مسؤوليات، أما الأمور الأخرى ككونه أمانًا لأهل الأرض كها إنَّ النجوم أمان لأهل السهاء فهو لا زال يقوم بها على أتم وجه، وستأتي التفاصيل في محلها إن شاء الله تعالى.

إشكالٌ (الفترة) وجوابه:

تقدّم أنَّ من الركائز الأساسية للنبوة: أنْ يكون في كل عصر نبيُّ يهدي الناس يوضح لهم الشريعة ويردهم عن الظلم والطغيان، والقرآن الكريم يؤكد هذه المسألة في كثير من الآيات، ومنها ما ذكره الشيخ الشيخ الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾. (١)

إلا أن هناك ما ربم يتنافى -لأول وهلة- مع هذه الحقيقة، من قبيل قوله عز من قائل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾.(٢)

والفترة: من الفتور، أي السكون بعد الحدة، أو اللين بعد الشدة، أو الضعف بعد القوة.

ومعنىٰ (الفترة) هي ما بين الرسولين، فهذه الآية تقول: إنَّ الله تعالىٰ أرسل الرسول الأكرم عَيِّلًا في فترة كانت خالية من الرُّسُل، وهذا يتنافىٰ مع الآية المتقدِّمة الدالّة علىٰ أنَّ

⁽۱) فاطر ۲۶

⁽٢) المائدة ١٩

كلُّ أُمَّة كان فيها نذير.

وقد يرد نفس هذا الإشكال على غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه بمعنى (على فترة من الإمامة)؟

والجواب:

أوَّلاً: الآية قالت: إنَّه عَلَىٰ خترة من الرُّسُل لا الأنبياء، ومعلوم أنَّ الأنبياء أكثر بكثير من الرُّسُل، فلا ملازمة بين عدم وجود رسول وبين عدم وجود نبيًّ، فقد يكون في زمن لا يوجد رسول ولكنَّه يوجد نبيُّ. وهذا هو المروي، حيث ذكرت بعض الروايات وجود بعض الأنبياء بين النبيِّ الأكرم عَلَيْ وبين النبيِّ عيسىٰ على كخالد بن سنان العبسى كما سيأتي بعد قليل.

ثانياً: فضلاً عن هذا فإنّه وبوجود الكتاب السهاوي (الإنجيل) وبوجود العلماء والأوصياء في تلك الفترة فإنّ الحجّة قائمة على الناس، وإنّها يرسل الله تعالى الرّسل الإمام الحجّة عليهم، فإذا كانت الحجّة تامّة لم يكن عدم الإرسال منافياً لهداية الدعوة، إذ الهداية موجودة حسب الفرض.

ثالثاً: أنَّ المقصود من الفترة هو خلوِّها من حجَّة ظاهر، وأمَّا الحجَّة غير الظاهر فقد كان موجوداً في تلك الفترة.

وهذا المعنى – أي عدم خلوِّ الأرض من حجَّة ولو غير ظاهر – هو ما صرَّح به أمير المؤمنين على بقوله: «اللهُمَّ بَلَىٰ لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ الله وَبَيِّنَاتُه»(١).

وهذا ما ذهب إليه الشيخ الصدوق؛ في إكماله، حيث قال ما نصُّه:

⁽١) نهج البلاغة: ٤٩٧/ ح ١٤٧.

"وإنّها معنىٰ الفترة أنّه لم يكن بينها رسول ولا نبيٌّ ولا وصيٌّ ظاهر مشهور كمن كان قبله، وعلىٰ ذلك دلّ الكتاب المنزل أنّ الله بعث محمّداً علىٰ حين فترة من الرُّسُل، لا من الأنبياء و الأوصياء، ولكن قد كان بينه وبين عيسىٰ فترة من الرُّسُل، لا من الأنبياء و الأوصياء، ولكن قد كان بينه وبين عيسىٰ انبياء وأئمّة مستورون خائفون، منهم خالد بن سنان العبسي، نبيٌّ لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر، لتواطئ الأخبار بذلك عن الخاصّ والعامّ، وشهرته عندهم، وأنّ ابنته أدركت رسول الله ودخلت عليه، فقال النبيُّ لله : «هذه ابنة نبيّ ضيّعه قومُه، خالد بن سنان العبسي»(۱)، وكان بين مبعثه ومبعث نبينا محمّد عليه خسون سنة...»(۲).

نكتة مهدوية:

ذكرت بعض الروايات الشريفة أنَّ الإمام المهدي الله يظهر بعد فترة من الأئمَّة، بمعنىٰ أنَّه يظهر بعد وجود فاصل زمني بينه وبينه آخر ظهور وحضور للمعصوم.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٩٥٩/ باب ٥٨/ ذيل الحديث ٢.

فقد روي عن أبي حمزة، قال: «دخلت على أبي عبد الله هما، فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولدك هو؟ قال: لا، فقلت: فولد ولدك هو؟ قال: لا، فقلت: فولد ولد ولدك؟ فقال: لا، قلت: من هو؟ قال: الذي يملؤها عدلاً كما مُلِتَت ظلماً وجوراً، على فترة من الأئمّة، كما أنَّ رسول الله الله ألم أبعث على فترة من الرُّسُل»(١).

استطراد،

الأصطلاح (صاحب الأمر) الذي ورد في الرواية الآنفة معنيان:

الأول: هو الإمام المفترض الطاعة من الله وهذا المعنى ينطبق على كل أئمتنا صلوات الله عليهم.

الثاني: يُراد به الإمام الذي يقوم بإزالة الظلم والجور، والذي يقوم بإقامة الدولة العادلة ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلأت ظلمًا وجورًا، وهو الإمام المهدي العادلة ويملأ الأرض

وهكذا الحال في اصطلاح (القائم) إذ إنَّه ايضًا له معنيان:

وأما المعنى الثاني فهو: القائم الذي يقوم بدولة العدل الإلهية، وهو الإمام المهدي اللهدي الم اللهدي ال

وقد أشارت بعض الروايات إلى كلا المعنيين، كما روي في رد بعض الأئمة صلوات الله عليهم عن سؤال: أأنت القائم بهذا الأمر؟ فيروى عنهم أنَّهم كانوا يقولون: نعم، أنا

⁽١) الكافي للكليني ١: ٣٤١/ باب في الغيبة/ ح ٢١.

القائم بهذا الأمر ولكنّي لست بالذي أملأها قسطًا وعدلًا.(١)

(۱) في كال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٣٧٦ باب ٣٥ ح ٧: عن الريان بن الصلت قال: «قلت للرضا الله أنت صاحب هذا الامر؟ فقال: أنا صاحب هذا الامر ولكني لست بالذي أملاها عدلا كما ملئت جورا، وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني، وإن القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشبان، قويًا في بدنه، حتى لو مد يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى، وخاتم سليان الشائد ذلك الرابع من ولدي، يغيبه الله في ستره ما شاء، ثم يظهره فيملاً [به] الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما».

عقيدتنا في عصمة الإمام

قال الشيخ على:

«عقيدتنا في عصمة الإمام:

ونعتقد أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق.

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد» انتهى.

قبل الشروع في شرح هذه العقيدة لابد من الإشارة إلى أنَّ هناك بحثين يجدر بنا أن نفرِّق بينها:

أولهما: أصل الحاجة إلى الإمامة، وهل يلزم وجود إمام أو لا يلزم، وما هو الدليل على لزوم الإمام؟ وقد تقدم الحديث عن كل ذلك فيها عنونه الشيخ ﷺ (عقيدتنا في الإمامة).

ثانيهما: في صفات الإمام ومؤهلاته التي لا بد أن تتوفر فيه ليشغل هذا المنصب المهم، وهذا ما تناوله الشيخ الله في: (عقيدتنا في عصمة الإمام) و(عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه).

عقيدتنا في عصمة الإمام.

تقدم أنَّ الإمام هو القائم مقام النبي يَنَا في جميع وظائفه، وأنَّه لا فرق بينهما من هذه الناحية إلا بالوحي الرسالي الذي يوحى به إلى النبي دون الإمام، وبالتالي فإنَّ قيام الإمام بكل تلك المهام يستلزم العصمة.

ما الدليل على لزوم عصمة الإمام؟

يمكن الاستدلال على عصمة الإمام من خلال التالي:

أولًا: إنَّ العصمة إثباتًا ونفيًا مرتبطةٌ بتفسير الإمامة، فمن فسر ها بأنَّها مجرد منصب دنيوي يحكم فيها الإمام عباد الله تعالى، بغض النظر عن طريقة وصوله إلى هذا الحكم، وبغض النظر عن مقدار التزامه الديني ومقامه العلمي، فإنه ينتهي بلا ريب إلى أنه لا تُشترط العصمة فيها، وأما من فسرها بأنَّها منصبٌ إلهي خلافةً عن النبي يَنَاهَ في كل ما يقوم به، خلا تلقي الوحي الرسالي، أي إنَّها امتداد للنبوة، فلا محالة ينتهي إلى أنَّ العصمة أمرٌ جوهري بالنسبة للإمامة وعنصر من عناصرها الذاتية لا تتقوم إلا بها.

ولذا قال علماء مدرسة الخلفاء بعدم لزوم العصمة، مستشهدين بسير خلفائهم وكونهم ليسوا معصومين ويرتكبون الأخطاء بإقرارهم، كما ورد عن أبي بكر أنَّه قال: إنَ لي شيطانًا يعتريني فإنْ استقمت فأعينوني، وإنْ زغت فقوموني (١١).

وعن عمر بن الخطاب كان يقول: ...إنها كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها

(۱) في الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص ١٨٣: لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أمبعد أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبي لله السنن فعلمنا فعلمنا اعملوا أن أكيس الكيس التقوى وأن أحمق الحمق الفجور وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنها أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني.

قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها...(١)

كما ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن عمر قال: كل النساء أفقه من عمر حتى ربات الحجال في خدورهن.(٢)

وفي الحقيقة، أنَّ ما ذكروه إنها هو مصادرة على الدليل - أيّ الاستشهاد بالنتيجة كدليل-، فهم استدلوا على لزوم عدم عصمة الإمام بعدم عصمة خلفائهم، على حين أنَّ عصمة الإمام واجبة، وبها أنَّهم ليسوا بمعصومين، لذا فإنهم ليسوا بأئمةٍ من رأس.

ثانيًا: تقدّم أنَّ الإمامة امتدادٌ للنبوة، وأنَّها منصبٌ إلهي كها النبوة، فثمرتها هي حفظ الشريعة من حيث التبليغ والتعليم وردّ الشبهات عن الدين وتفسير القرآن الكريم والقضاء بين الناس وما شابه ذلك، ولازم كل ذلك: العصمة، وإلا لما كان الإمام حافظًا للدين، فلو جاز على الإمام الخطأ وارتكاب المعصية، لكان المسلمون أمام خيارين لا ثالث لهها: إما وجوب الطاعة أو لا، فإن وجبت الطاعة عليهم، كان ذلك تغريرًا لهم - للمسلمين - بهها - أي بالخطأ والمعصية - فكيف سيحاسبهم الله تعالى عليهها؟! وإن لم تجب الطاعة كانت الإمامة لغوًا وعبثًا. (٣)

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص ١٨٦: قال مرة: لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها، فقالت له امرأة: ما جعل الله لك ذلك، إنه تعالى قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ فقال: كل النساء أفقه من عمر، حتى ربات الحجال! ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فأضلت إمامكم ففضلته! (٣) في الشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج١ ص ١٧٩ – ١٨٠. قال السيد المرتضى في تقريب هذا البيان: قد علمنا أن شريعة نبينا هو مؤبدة غير منسوخة، ومستمرة غير منقطعة، فإن التعبّد لازم للمكلفين إلى أوان قيام الساعة، ولا بدلها من حافظ، لأن تركها بغير حافظ إهمال لأمرها، وتكليف لمن تعبّد بها ما لا يطاق، وليس يخلو أن يكون الحافظ معصومًا أو غير معصوم، فإن لم يكن معصومًا لم يُؤْمَنْ من تغييره وتبديله، وفي جواز ذلك عليه – وهو الحافظ لها – رجوع إلى أنها غير محفوظة في الحقيقة، لأنه لا فرق بين أن تحفظ بمن جائز عليه التغيير والتبديل والزلل والخطأ وبين أن لا تحفظ الحقيقة، لأنه لا فرق بين أن تحفظ بمن جائز عليه التغيير والتبديل والزلل والخطأ وبين أن لا تحفظ

⁽١) صحيح البخاري ج٨ ص ٢٦.

كما أنَّ وظيفة الإمامة هي الحفاظ على الدين، وهل يُنتظر عمن يُخطئ أنْ يُحكم الرد على جميع الشبهات الواردة عليه؟ أو يُفسر آيات القرآن الكريم بما لا يمكن أنْ يُخطِئه العلم مهما تقدّم أو تطور.

وعليه فلابُدَّ أنْ يكون الإمام معصومًا ولو في الجملة، أي على نحو العصمة المتفق عليها بين الفرق الكلامية للنبي الله وهي العصمة في تبليغ الأحكام الشرعية وتعليم الإسلام وتفسير القرآن الكريم والقضاء بين الناس وما شابه. لا سيها أنْ لا دليل على انحصار العصمة بالنبي النبي النبي الناس وما بالنبي النبي النبي الناس وما شابه المطلقة للأئمة المسلام والعصمة بالنبي النبي النبي العصمة بالنبي العصمة بالعبد العبد العرب العصمة بالعبد العبد العبد

لماذا كانت العصمة أمرًا جوهريًا في الإمامة عند الإمامية؟

في مقام الجواب توجد عدة أدلة، ولكننا نقتصر على أحدها، وهو قوله عز من قائل: ﴿ وَإِذِ ابْتَكَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ فَائَلَيْتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِينَ ﴾ (١)، فالآية تحكي أنَّ النبي ابراهيم ﷺ بعد نجاحه في الاختبار والابتلاء، بلغ مرحلة جعله الله تعالى فيها إمامًا، وعندما طلب لذريته هذا المقام أجابه الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِينَ ﴾.

ويمكن الاستفادة من هذه الآية المباركة بحوثًا كثيرةً قيّمةً، ولكننا نشير إلى بعضها بإيجاز بها يناسب هذه المرحلة بنقاط:

الأولى: قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِينَ﴾، جاءت كلمة (عهدي) هنا فاعلًا، والظالمين مفعولًا به، مما يعني أنَ الإمامة هي التي تنال الناس، لا أنَّ الناس هم الذين

جملة إذا كان ما يؤدي إليه القول بتجويز ترك حفظها يؤدي إليه حفظها بمن ليس بمعصوم، وإذا ثبت أن الحافظ لا بد أن يكون معصومًا، استحال أن تكون محفوظة بالأمة وهي غير معصومة، والخطأ جائز على آحادها وجماعتها، وإذا بطل أن يكون الحافظ هو الأمة فلا بد من إمام معصوم حافظ لها.

⁽١) البقرة ١٢٤

ينالونها، وفيها إشارة إلى التنصيب الإلهي.

الثانية: نسب الله تعالى العهد إلى نفسه، مما يبطل نظرية الشورى في تنصيب الإمام التي يتشبث بها علماء العامة جملةً وتفصيلًا، إذ إنّ عهد الإمامة عهد الله تعالى يضعه حيث من يشاء.

الثالثة: يمكن تقسيم الناس على أساس الظلم وعدمه قسمة عقلية إلى أربعة أقسام: الأول: من يكون ظالًا من بداية حياته إلى أن يموت، وهذا لا يستحق الإمامة قطعًا.

الثاني: من يكون محسنًا في بداية حياته ثم يصبح ظالمًا، وهذا أيضًا من الواضح جدًا أنه لا يكون إمامًا.

الثالث: من يكون ظالمًا في بداية حياته سواء كان كافرًا أو مشركًا أو منافقًا ثم أصبح محسنًا، وهذا أيضًا لا يستحق الإمامة؛ وذلك لأن الآية أطلقت عدم نيل العهد الإلهي للظالم، أي لكل ظالم، وإن اتصف بالظلم بمقدار ثوانٍ من حياته.

الرابع: من كان محسنًا من بداية حياته إلى أنْ يموت، أي لم يظلم ولو بمقدار ثانية منها، ولا يعنى ذلك إلا العصمة، وهو الذي يستحق الإمامة.

وهذا يدلُّ على أنَّ العصمة أمرٌ جوهري في استحقاق الإمامة وهو المطلوب.

ثالثًا: بطلان التسلسل،

ببيان:

لو فرضنا أنَّ الإمام غير معصوم، فإنَّ عدم عصمته يعني أنَّه سيجهل بعض الأحكام الشرعية، وعليه لو سُئل عن حكم مسألةٍ شرعيةٍ مثلًا، فإنَّ الأمر لا يخلو من أحد احتمالين هما:

١/ أنْ يكون جاهلًا بالجهل المركب، فيُجيب خطأً، لأنه جاهلٌ بالحكم، وهنا يترتب
 على وجوب اتباعه الوقوع في المعصية، ويترتب على عدمها عبثية الإمامة ولغويتها.

٢/ أَنْ يعلم أَنَّه جاهلٌ فلا يُجيب، وهنا:

أ/ إما أنْ يُكرِه السائلَ على عدم البوح بجهله، والتكتّم عليه وإلا يُنزل به العقاب، وهذا خلاف اللطف الالهي؛ لأنه سيؤدي الى ضياع الأحكام الشرعية.

ب/ أو لا، فيذهب السائل إلى شخص آخر ليسأله، وحينئذ لا يخلو الأمر: إما أنْ يكون -ذاك الثاني - عالمًا بالحكم الشرعي أو لا، فإنْ كان عارفًا بكل الأحكام كان هو الأولى أن يكون الإمام، وإلا يذهب السائل إلى غيره وهكذا يتسلسل، أي لا نصل إلى شخص نتمكن من معرفة الحكم الشرعي الواقعي منه... ومعلومٌ أنَّ التسلسل باطلٌ في هكذا أمور، لاسيها بوجود قاعدة اللطف، فلا بُدَّ من انتهائه عند حد، والعصمة هي التي تقطع التسلسل بالانتهاء إلى الإمام المعصوم؛ ولذا فمن باب اللطف فإن الله تعالى أينصب للناس إمامًا معصومًا لئلا يبقى الناس من دون حكم شرعي، وبذا نصل إلى ضرورة عصمة الإمام. (۱)

ملاحظة:

إن استقراء سير الأئمة الله يكشف بكل وضوح عن عصمتهم، فمثلًا أمير المؤمنين المؤمنين الم يخطئ ولم يجهل ولم ينس ولم يسه على الاطلاق، فواقعه الله عصمته.

⁽١) في رسائل الشريف المرتضى - الشريف المرتضى - ج١ ص ٣٢٤. قال السيد المرتضى تتنب في بيان هذا التقريب: والذي يدل على عصمة الإمام: أن علة الحاجة إليه هي جواز الخطأ وفعل القبيح من الأمة. قال: فليس يخلو الإمام من أن يكون يجوز عليه ما جاز على رعيته أو لا يجوز ذلك عليه. قال: وفي الأول وجوب إثبات إمام له، لأن علة الحاجة إليه موجودة فيه وإلا كان ذلك نقضًا للعلة، وهذا يؤدي إلى إثبات ما لا يتناهى من الأئمة، أو الانتهاء إلى إمام معصوم، وهو المطلوب.

وهذا ليس دليلًا مستقلًا، وإنها نذكره للاستئناس.

بالإضافة إلى الأدلة المتقدمة، هناك الأدلة النقلية، وأهمها:

أُولًا: آية التطهير: قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.(١)

وكلمة (يريد) في الآية المباركة تصرّح بكل وضوح أنَّ الله وهو الذي يريد أن يذهب عن أهل البيت الرجس، والرجس: كل ما يلوث النفس الإنسانية. وقد أذهب الله تعالى هذا الرجس عنهم الله فهم معصومون.

ثانيًا: حديث الثقلين المتواتر: الذي قال فيه النبي عَلَيْهَ: انى تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. (٢)

وروي أنه قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي آخِرِ خُطْبَتِه يَوْمَ قَبَضَه الله ﴿ إِلَيْهَ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّ اللَّطِيفَ الخُبِيرَ قَدْ عَهِدَ إِلِيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحُوْضَ كَهَاتَيْنِ -وجَمَعَ بَيْنَ اللَّطِيفَ الخُبِيرَ قَدْ عَهِدَ إِلِيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحُوْضَ كَهَاتَيْنِ -وجَمَعَ بَيْنَ المُسَبِّحَةِ والْوُسْطَى - فَتَسْبِقَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، مُسَبِّحَتَيْه - ولَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ -وجَمَعَ بَيْنَ المُسَبِّحَةِ والْوُسْطَى - فَتَسْبِقَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، فَتَضِلُّوا بِهَمَا لَا تَزِلُّوا ولَا تَضِلُّوا، ولَا تَقَدَّمُوهُمْ فَتَضِلُّوا». (٣)

إنَّ عبارة «لن تضلوا بعدي» تنفي الضلال بصورة مؤبدة لمن يتمسك بهم، وهي دليل جلي على عصمتهم الله هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ الرسول الله قد قرن

⁽١) الأحزاب ٣٣

⁽۲) الحديث متواتر، انظر مثلاً: مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص ١٤ و ج٥ ص ١٨٦ وسنن الترمذي ج٥ ص ٣٢٩ وسنن الترمذي ج٥ ص ٣٢٩ والمستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص ١١٠ وج٣ ص ١٤٨ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص ١٦٢ وغيرها من المصادر.

⁽٣) الكافي للكليني ج٢ ص ٤١٥ بَابُ أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُؤْمِناً أَوْ كَافِراً أَوْ ضَالاً - ح١.

بين العترة وبين القرآن الكريم، وحيث إنَّ القرآن معصومٌ، فقرينه لابُدَّ أنْ يكون كذلك، وإلا لا يصح القرن بينها.

ثالثًا: عن أبي سخيلة، قال: أتيت أبا ذر الله فقلت: يا أبا ذر، إني قد رأيت اختلافا، فبهاذا تأمرني؟ قال: عليك بهاتين الخصلتين: كتاب الله، والشيخ علي بن أبي طالب فإني سمعت رسول الله الله يقول: «هذا أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل».(١)

⁽١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٢٧٤ ح ٢٧٤/ ٥. وانظر شرح ابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٢٨.

عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه

قال الشيخ على:

«عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه:

ونعتقد أنّ الإمام كالنبي يجب أنْ يكون أفضل الناس في صفات الكهال من شجاعةٍ وكرمٍ وعفةٍ وصدقٍ وعدلٍ، ومن تدبيرٍ وعقلٍ وحكمةٍ وخلقٍ. والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام...

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله. وإذا استجدّ شيءٌ لا بُدّ أنْ يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله في فيه، فإنْ توجّه إلى شيءٍ وشاء أنْ يعلمه على وجهه الحقيقي، لا يخطأ فيه ولا يشتبه يد معلم، من مبدأ طفولتهم إلى سنِّ الرشد، حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنّه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد أستاذ في شيءٍ من الأشياء، مع ما لهم من منزلةٍ علميةٍ لا تجاري. وما سُئلوا عن شيءٍ إلا أجابوا عليه في وقته، ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدري)، ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك. في حين أنّك لا تجد شخصا مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته تربيته وتلمذته على غيره وأخذه الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات، كعادة البشر في كُلِّ عصرٍ ومصرٍ.» انتهى.

يتعرض الشيخ الله في هذه العقيدة إلى ضرورة أنْ يكون الإمام الذي يخلف الرسول الله جامعًا للكمالات التي تجعله أفضل الناس على الإطلاق؛ لأنَّ لمنصب

الإمامة ومقام الحجية أهمية عظيمة، بحيث وصفته الروايات الشريفة بأنه لولا (القائم) على هذا المنصب لساخت الأرض ومن عليها، فهو الأمان لأهل الأرض كها أنَّ النجوم أمان لأهل السهاء، وبالتالي فليس لأي أحد أنْ يدّعي هذا المقام إلا إذا كان متصفًا بها يجعله أفضل من غيره على الإطلاق -بالإضافة إلى ما تقدم من ضرورة النص-.

وأما الدليل على ذلك فهو نفس الدليل الذي ذُكر في لزوم كون النبي أفضل الموجودين قاطبةً، وقد تقدّم أنَّ هناك عدة أدلة لإثبات هذه المسألة، منها: أننا لو قسنا الإمام إلى غيره فلا يخلو الأمر: إما أنْ يكون مساويًا له أو أقل منه أو أفضل، فإن كان مساويًا لغيره فإن ترجحيه على الغير يكون ترجيحًا بلا مرجح، وإذا كان أقل فالعقل يحكم بتقديم الأفضل، فلا يبقى سوى تقديم الافضل وترجيحه.

ثم تطرّق الشيخ الله ذكر بعض الصفات المتوفرة لدى الإمام، ثم أشار إلى تفسير لعنى الإلهام أو النكت بالقلب.

ومن المناسب بعد هذا البيان، ذكر إشارتين:

الإشارة الأولى: أنواع كمالات الإمام

قبل الولوج في إيضاح أنواع كمالات المعصوم، لابُد من التنويه على أنَّ ما سنتناوله من كمالاتٍ تقتصر على الكمالات الذاتية للمعصوم، فلا يشتمل حديثنا مثل (التنصيص الإلهى على المعصوم) على الرغم من كونه هو الآخر كمالًا.

تعتقد المدرسة الإمامية بأنَّه ليس لأي كان الحق بادّعاء الإمامة بل لأبُدَّ من توفره على كهالات من عدة أنواع، فإذا هي توفرت فيه، أمكن أنْ يكون إمامًا وخليفة عن الرسول على وإلا فلا، وبها أنَ أنواع الكهالات هذه مشتركة بين الأنبياء والأئمة، فمن المفيد التحدّث عنها تحت عنوان الكهالات في الحجة ليشملها معًا، وهي:

النوع الأول: الكمال البدني او الخُلقي.

فلابُدَّ أَنْ يكون جسم الحجة عمومًا خاليًا من التشوهات البدنية والعلامات الفارقة الدالة على النقص كالعرج والعمى والخرس وغيرها، كذلك يجب أنْ يكون جسم الحجة خاليًا من المُنفِّرات كالرائحة النتنة المقرفة سواءً كانت ولاديةً (أي منذ الولادة) أو عارضة (كأن تعرض عليه لمرض ونحوه)؛ ولذا تجد أنَّ الأئمة على قد نفوا ما تضمنته بعض الروايات الموضوعة من نسبة التشوهات الخلقية إلى بعض المعصومين، وأشهرها تلك التي وردت في قصة النبي أيوب عد ذكرت أنَّ جسمه وصل إلى مرحلة من التعفن بحيث أنَّ الدود كان ينمو في جسده!

فعن الإمام الباقر الله قال: «إن أيوب من جميع ما ابتلي به، لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنها أجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بها له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج». (۱)

ومن لطيف ما ورد عن جابر بن عبد الله قال: «كان في رسول الله عَلَيْهُ خصال: لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه...».(٢)

⁽١) بحار الأنوار للمجلسي ج١٢ ص ٣٤٨.

⁽٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين المحمد بن سليهان الكوفي ج١ ص٥٥.

⁽٣) بحار الأنوار للمجلسي ج١٦ ص ٢٣٨.

فالتطيُّب أمرٌ لطيف يسهم في التحابب والتقارب بين المؤمنين، على عكس الرائحة المنفرّة التي تكون داعيةً للفرقة والتباعد؛ ولذا فقد ورد في بعض الروايات كراهة حضور المسجد لمن تنبعث من فمه رائحة الثوم وما الى ذلك، حتى يبقى على رائحة طيبة. (٤)

النوع الثاني: الكمال النفسي

بمعنى أنْ تكون التصرفات النفسية للحجة مستقيمة، في الحالات الاعتيادية وفي الحياة اليومية مما يراه الناس منه بحيث تكشف بنفسها عن تفرّده عن سائر الناس بصفات استثنائية.

وبعبارة أخرى: أنْ تكون أفعاله تكشف عن مقام الحجية، فتجد الحجة يتصف بالسكينة والهدوء وإنْ كان يمرُّ بأحلك الصعاب، كما نقل الشيخ المفيد في حالات الامام الحسين عن حميد بن مسلم قال: فوالله ما رأيت مكثورًا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه أن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه، فتنكشف عن يمينه وشاله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب. (٥)

⁽۱) الكافي للشيخ الكليني (ج 7/ ص 170/ باب الطيب/ ح 170).

⁽٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ١٢ه/ باب الطيب/ ح ١٨).

⁽٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٥١١ه/ باب الطيب/ ح ١١).

⁽٤) فِي الكافِي للكَليني جَ٦ صَ ٣٧٥ – ٣٧٦ بَابُ الثُّومِ حِ١ ﴿ عَنْ مُحُمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُه عَنْ أَكُلِ الثَّومِ؟ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْه لِرِيجِه، فَقَالَ: مَنْ أَكَلَ هَذِه الْبَقْلَةَ الْحَبِيثَةَ فَلَا يَقْرَبُ مَسْجِدَنَا فَأَمَّا مَنْ أَكُلُه وَلَمْ يَأْتِ المُسْجِدَ فَلَا بَأْسَ».

⁽٥) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص ١١١.

كذلك يجب أنْ يتصف الحجة بالتوكل المطلق على الله ، كما ورد في أحوال الإمام السجاد سلام الله عليه عن إبراهيم بن أدهم، وفتح الموصلي قال كل واحد منهما: «كنت أسيح في البادية مع القافلة فعرضت لي حاجة فتنحيت عن القافلة فإذا أنا بصبي يمشي فقلت: سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي! فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت له: إلى أين؟ قال: أريد بيت ربي، فقلت: حبيبي انك صغير ليس عليك فرض ولا سنة، فقال: يا شيخ ما رأيت من هو أصغر سنا مني مات؟ فقلت: أين الزاد والراحلة؟ فقال: زادي تقواي وراحلتي رجلاي وقصدي مولاي، فقلت، ما أرى شيئا من الطعام معك! فقال: يا شيخ هل يستحسن أن يدعوك انسان إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟ قلت: لا، قال: الذي دعاني إلى بيته هو يطعمني ويسقيني، فقلت: ارفع رجلك حتى تدرك، فقال علي الجهاد وعليه الابلاغ أما سمعت قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنْهُدِينَةُمْ مُسُبُلنا وَإِنَّ اللهُ لَعَ المُحْسِنِينَ ﴾ (١) ... (١)

وهذا يكشف عن شدة توكل الإمام زين العابدين على صغر سنه.

ومن صفات الحجة: هيبته في القلوب، رغم أنَّه لا يخرج عن الحد المتعارف في

⁽١) العنكبوت ٦٩

⁽٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص ٢٨٠، وتمام الرواية:...قال: فبينا نحن كذلك إذا أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض حسنة فعانق الصبي وسلم عليه فأقبلت على الشاب وقلت له: أسألك بالذي حسن خلقك من هذا الصبي؟ فقال: أما تعرفه! هذا علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، فتركت الشاب وأقبلت على الصبي فقلت: أسألك بآبائك من هذا الشاب؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا أخي الخضر يأتينا كل يوم فيسلم علينا، فقلت: أسألك بحق آبائك لما أخبرتني بها تجوز المفاوز بلا هذا أخي الحفر بزاد وزادي فيها أربعة أشياء، قلت: وما هي؟ قال: أرى الدنيا كلها بحذافيرها عملكة الله، وأرى الخلق كلهم عبيد الله واماءه وعياله، وأرى الأسباب والأرزاق بيد الله، وأرى قضاء الله نافذا في كل أرض الله، فقلت: نعم الزاد زادك يا زين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا.

التصرف مع أصحابه، وقد وصف ضرارُ أميرَ المؤمنين في مجلس معاوية بأوصاف كان جُلُها التواضع لله تعالى والناس، حيث روي أنَّه قال: «... كان والله فينا كأحدنا، يُدنينا إذا أتيناه، ويُجيبنا إذا سألناه، ويُقرِّبنا إذا زرناه، لا يُغلَق له دوننا باب، ولا يحجبنا عنه حاجب، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نُكلِّمه لهيبته، ولا نبتديه لعظمته، فإذا تبسَّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم... (۱).

ومن صفات الحجة: وضعه الشيء في موضعه، ومن ذلك اهتهامه البالغ بالوقت وحرصه على استثهاره خير استثهار، فقد نقل ابن حجر في الصواعق في أولاد الإمام الهادي صلوات الله عليه ما نصه «أجلهم أبو محمد الحسن الخالص.... ووقع لبهلول معه أنه رآه وهو صبي يبكي، والصبيان يلعبون، فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: يا قليل العقل، ما للعب خلقنا. فقال له: فلهاذا خُلقنا؟ قال: للعلم والعبادة! فقال له: من أين لك ذلك؟ قال من قول الله ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ اللّه الحسن مغشياً عليه، فلها أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟! فقال: إليك الحسن مغشياً عليه، فلها أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟! فقال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم». (٣)

النوع الثالث: الكمال الأخلاقي

نعتقد أنَّ الحجة عمومًا والإمام خصوصًا يجب أنْ يتحلى ليس بمجرد الأخلاق، وإنّم أنْ يكون على قمة الهرم الأخلاقي، فمثلًا يقر القرآن الكريم بقانونين أخلاقيين:

⁽١) بحار الأنوار للعلاَّمة المجلسي (ج ٤١/ ص ١٥).

⁽٢) المؤمنون ١١٥

⁽٣) الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيتمي المكي ص ٢٠٧.

أحدهما: ردُّ الاعتداء ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) والآخر أرقى منه وهو قانون العفو والمغفرة ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْخَوْرَةِ وَالْخَوْرِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْخَوْرِينَ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُجِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ (١) فعلى الرغم من إن كليها أخلاقي، وبأي منها التزم المؤمن فإنه لا يخرج عن دائرة التعامل الأخلاقي، إلا أن الإمام لا يتعامل إلا بالثاني منها عادة، ولذا فهو لا يتصف بالأخلاق وحسب، بل بالكمال الأخلاقي أيضًا.

رُوِي أَنَّ أمير المؤمنين ﴿ كَانَ جَالِساً فِي أَصْحَابِه، فَمَرَّتْ بِهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ ﴿ إِنَّ أَبْصَارَ هَذِه الْفُحُولِ طَوَامِحُ وإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ ﴿ فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُه فَلْيُلامِسْ أَهْلَه، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِه. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، قَاتَلَه الله كَافِراً مَا أَفْقَهَه! فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوه، فَقَالَ ﴿ وُيْداً إِنَّهَا هُو سَبُّ الْخَوَارِجِ، قَاتَلَه الله كَافِراً مَا أَفْقَهَه! فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوه، فَقَالَ ﴿ وَيُدا لِإِنَّا هُو سَبُّ إِسَالًا أَوْ عَفْقٌ عَنْ ذَنْبِ ﴾ . (٣)

ولم ينقل التاريخ أنه عاقبه، فهنا الإمام ﷺ اختار القانون الأرقى.

وروي عن المبرَّد وابن عائشة: أنَّ شامياً رأى الحسن بن عليٍّ ﷺ راكباً فجعل يلعنه! و الحسن لا يردُّ. فلمَّا فرغ أقبل الحسن، فسلَّم عليه وضحك، فقال:

«أيُّها الشيخ أظنُّك غريباً، ولعلَّك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرَّكْتَ رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك، كان

⁽١) البقرة ١٩٤

⁽٢) آل عمران ١٣٤

⁽٣) نهج البلاغة ج٤ ص ٩٨ - ٩٩ الحكمة ٤٢٠.

أعود عليك، لأنَّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

فلمَّا سمع الرجل كلامه، بكى ثمّ قال: أشهد أنَّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليَّ، والآن أنت أحبُّ خلق الله إليَّ، وحوَّل رحله إليه، وكان ضيفه إلىٰ أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبَّتهم (۱).

وقال نصراني للإمام الباقر عن: أنت بقر؟ قال: «أنا باقر»، قال: أنت ابن الطبّاخة؟ قال: «ذاك حرفتها»، قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذيّة؟ قال: «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك»، قال: فأسلم النصراني(٢).

ولم يكتفِ الأئمة على بالقمم من الأخلاق لأنفسهم، بل حثُّوا شيعتهم على الاتصاف بها أيضًا، منها ما روي عن الإمام الصادق الله أنَّه قال: «...فمن قال لك: إنْ قلت واحدة سمعت عشراً، فقل: إنْ قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل: إنْ كنت صادقاً فيها تقول فالله أسأل أنْ يغفرها لي، وإنْ كنت كاذباً فيها تقول فالله أسأل أنْ يغفرها لك، ومن وعدك بالجفاء فعده بالنصيحة والدعاء...»(").

فعلى من يدّعي التشيع أنْ يتصف بمعالي ومكارم الاخلاق، وقد كان مالك الأشتر من خير من امتثل لأقوالهم على واتصف بصفاتهم، فقد حُكِي أنَّ مالِكاً الأَشترَ كانَ مُجتازاً بِسوقِ الكوفَةِ وعَلَيهِ قَميصٌ خامٌ وعِهامَةٌ مِنهُ، فَرَآهُ بَعضُ السّوقَةِ فَازدَرى كانَ مُجتازاً بِسوقِ الكوفَةِ وعَلَيهِ قَميصٌ خامٌ وعِهامَةٌ مِنهُ، فَرَآهُ بَعضُ السّوقَةِ فَازدَرى بِمَن رَمَيتَ؟ بِزِيّه، فَرَماهُ بَبُندُقَة تَهاوُناً بِهِ، فَمَضى ولَم يَلتَفِت. فقيلَ لَهُ: وَيلكَ! أتدري بِمَن رَمَيتَ؟ فقالَ: لا، فقيلَ لَهُ: هذا مالِكُ صاحِبُ أميرِ المُؤمِنينَ عَلَى فَارتَعَدَ الرَّجُلُ ومَضى إليهِ لِيَعتَذِرَ مِنهُ، فَرَآهُ وقَد دَخَلَ مَسجِداً وهُو قائِمٌ يُصَلّي، فَلَمّا انفَتَلَ أكبَّ الرَّجُلُ عَلى قَدَمَيهِ لِيَعتَذِرَ مِنهُ، فَرَآهُ وقَد دَخَلَ مَسجِداً وهُو قائِمٌ يُصَلّي، فَلَمّا انفَتَلَ أكبَّ الرَّجُلُ عَلى قَدَمَيهِ

⁽١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ج ٣/ ص ١٨٤).

⁽٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٣٧.

⁽٣) مشكاة الأنوار لعليِّ الطبرسي (ص ٥٦٤).

يُقبِّلُهُما، فَقالَ: ما هذَا الأَمرُ؟ فَقالَ: أَعتَذِرُ إِلَيكَ مِمّا صَنَعتُ. فَقالَ: لا بَأْسَ عَلَيكَ ؛ فَوَالله ما دَخَلتُ المسجدَ إلا لإستَغفِرَنَّ لَكَ. (١)

كها نُقِل عن الخواجة نصير الدين الطوسي، قيل: إن ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها: يا كلب بن كلب. فكان الجواب: أما قولك (يا كذا) فليس بصحيح، لأن الكلب من ذوات الأربع، وهو نابح طويل الأظفار، وأما أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص. وأطال في نقض كلها قاله. هكذا رد عليه بحسن طوية وتأن غير منزعج، ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة. (٢)

فكان جوابه منطقيًا لا ردًّا عليه بالمثل.

وأيضًا نقل أنه في أحد الأيام التي كان شيخ الفقهاء العظام المرحوم الحاج الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء) موجودًا في (أصفهان) أنه قسّم مرة حقوقًا شرعية على الفقراء قبل شروعه بالصلاة. فعند انتهائه من تلك الصلاة، وقيامه للصلاة الأخرى جاءه أحد السادات الفقراء – الذين أخبروا بالأمر – بين الصلاتين، وقال له: أعطني من مال جدي. فقال له: لقد جئت متأخرًا، ولا يوجد عندي الآن شيء لأعطيك منه. فغضب ذلك السيد، وبصق على لحية الشيخ المباركة. فقام الشيخ من المحراب، ورفع طرف ردائه وأخذ يدور في صفوف الجهاعة وهو يقول: (من كان يحترم شيبة الشيخ فليساعد هذا السيد). فملأ الناس طرف ثوبه بالأموال، ثم أعطاها الشيخ للسيد. وبعد ذلك توجه لصلاة العصر. (")

⁽١) تنبيه الخواطر لورام بن أبي فراس ص١٠.

⁽٢) خاتمة المستدرك للميرزا حسين النوري الطبرسي ج٢ ص ٤٢٣.

⁽٣) منازل الآخرة للشيخ عباس القمى ص ٢١٥.

النوع الرابع: الكمال العلمي

من المعلوم أنَّه لابُدَّ أنْ يكون الإمام عالمًا، وبشروط:

١/ أنْ يكون أعلم اناس.

٢/ أَنْ لا يكون قد أخذ هذا العلم من غيره، إلا إذا كان ذلك الغير نبيًا أو إمامًا مثله، كما روي عن أبي جعفر هذا قال: «قال علي هذا: علمني رسول الله على ألف باب،
 يفتح ألف باب». (١)

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله على يقول: «إن رسول الله على على الله على بابًا من العلم، ففتح ألف باب، لكل باب فتح له الف باب». (٢)

٣/ أنْ يكون عالمًا باللغات المختلفة، وهذا ما يقتضيه كونه حجة الله على الأرض والمكلف ببيان الأحكام الإلهية لكل الناس.

٤/ أَنْ يكون الإمام يعرف حتى لغة الحيوانات.

وقد أثبتت السير العطرة لأئمتنا المسارة المناسرة وعمره الماسرة وعمره الماسة وعمره خس سنوات، والإمام الهادي استلم الإمامة وعمره ست سنوات، والإمام المامة وعمره ست سنوات، والإمامة وعمره ست سنوات، والإمام الجواد المسلم الإمامة وعمره ست سنوات، ومن يقرأ التاريخ يجد كيف أنَّ الإمام الجواد مثلًا ردَ على يحيى بن الأكثم عندما سأله عن محرم قتل صيدًا وكيف فصّل له وفرّع له فروعًا متكثرة من هذا السؤال، بحيث عجز ابن الأكثم أنْ يجيبه (٣)، وأنه الله سأل ابن أكثم فقال له: «يا أبا محمد ما تقول في رجل

⁽١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٤٧.

⁽٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٢٣ الباب (١٦) باب في ذكر الأبواب التي علم رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ ح (٥).

⁽٣) تحف العقول للحراني ٤٥٢...

حرمت عليه امرأة بالغداة وحلت له ارتفاع النهار وحرمت عليه نصف النهار، ثم حلت له الظهر، ثم حرمت عليه العصر، ثم حلت له المغرب، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلت له الفجر، ثم حرمت عليه ارتفاع النهار، ثم حلت له نصف النهار؟ فبقي يحيى والفقهاء بلسًا خرسًا(۱)، فقال المأمون: يا أبا جعفر أعزك الله بين لنا هذا؟ قال هذا رجل نظر إلى مملوكة لا تحل له، اشتراها فحلت له. ثم أعتقها فحرمت عليه، ثم تزوجها فحلت له. فظاهر منها فحرمت عليه. فكفر الظهار فحلت له، ثم طلقها تطليقة فحرمت عليه، ثم راجعها فحلت له، فارتد عن الاسلام فحرمت عليه. فتاب ورجع إلى الاسلام فحلت له بالنكاح الأول، كها أقر رسول الله على النكاح الأول، كها أقر رسول الله على النكاح الأول.»(۱)

وفي هذه المحاورة لم يكن الإمام الله قد بلغ الحلم بعد!

بل إنهم كانوا يعرفون حتى لغات الحيوان، ففي رواية عن عبد الله بن قيس قال: كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس فشكى المسلمون العطش فأرسل فوارس على كشفه فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: امض يا ولدي، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره. فبكى علي فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أول فتح ببركة الحسين فقال: ذكرت أنه سيقتل عطشانا بطف كربلا، حتى ينفر فرسه و يحمحم ويقول: الظليمة الظليمة الأمة قتلت ابن بنت نبيها. (٣)

⁽١) البلس - بالضم -: جمع أبلس: المتحير. والخرس - بالضم -: جمع أخرس: الذي انعقد لسانه عن الكلام. [هامش المصدر]

⁽٢) تحف العقول للحراني ص ٤٥٤.

⁽٣) بحار الأنوار للمجلسي ص ٢٦٦.

النوع الخامس: الكمال الغيبي

أي أنْ تكون للحجة قدرات غيبية لا يمكن لغيره أنْ يفعلها، كالإخبار بالمغيبات (المستقبليات) وكمعرفته ما في داخل النفس، وكإحياء الموتى وما شابه ذلك من الأمور. وكل ما تقدم إنّا هي كالات لابُدَّ أنْ يتسم بها من يدّعى أنَّه حجة الله.

ومن يقرأ التاريخ بعين الإنصاف يتجلّ له وبشكلٍ واضح الإمام الحقّ عمّا سواه، لأن الكامل هو من يحتاج إليه الناس ولا يحتاج إلى أحد، وهذا أحد الأدلة التي استخدمها الفراهيدي لما شئل عن أفضلية علي بن أبي طالب سلام الله عليه قال: «احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل إمامته»، ولكن التعصب الأعمى حال دون هدايتهم، فحيث إنّهم لم يستطيعوا أنْ ينكروا أفضليته عقد عمدوا إلى إنكار قاعدة عقلية ووجدانية أيضًا، إذ قالوا بعدم لزوم اتباع الفاضل بل يجوز تقديم المفضول على الفاضل! وهم في هذا إنّما خالفوا وجدانهم واستهانوا بعقلهم؛ لأن كلًا من العقل والوجدان يستقبحان تقديم المفضول مع وجود الفاضل.

وقد أشار الشيخ إلى ضرورة أنْ يتصف الإمام بكل صفات الكهال فقال: «ونعتقد أنَّ الإمام كالنبي يجب أنْ يكون أفضل الناس في صفات الكهال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ومن تدبير وعقل وحكمة وخُلق (خَلق) والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام....».

قال الشيخ على:

«أما علمه، فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الامام من قبله...».

الإشارة الثانية: مصادر علوم أهل البيت عَمِّالِيَّالِيَّا

إن من يطالع التاريخ العام والخاص، يجد أن هناك ظاهرة ملفتة للنظر في حق أهل البيت البيت في وهي أنهم كانوا أعلم الناس في زمانهم على الإطلاق، رغم أنهم لم يأخذوا العلم من أي أحد، فلم ينقل لنا التاريخ – عامه وخاصه – عن أحد كان أستاذاً لأحد الأئمة في فالكل كان عيالاً على أهل البيت في وهذا ما يدعو إلى الاستغراب، فكيف يخرج أحدهم عالماً رغم أنه لم يأخذ العلم من أي معلم!

إن هذا يدعونا لأن نبحث عن المصادر التي كان أهل البيت الله يعتمدون عليها في ذلك، وهذا ما أغنتنا به مكتبة أهل البيت الله العلمية الغنية الأحاديث الشريفة في كل المجالات.

فيا هي المصادر التي كان أهل البيت (سلام الله عليهم) يعتمدونها على ذلك؟ ويمكن الإجابة بجو ابين:

أولهما: إجمالي:

حيث إننا نعتقد أنَّ الإمام معصوم، فلا غرابة حينئذٍ في عدم تعلّمه من غير المعصوم؛ لأن العصمة تعني فيها تعنيه: العلم الخاص الذي يتمتع به المعصوم منذ نعومة أظفاره، وهو علمٌ لدني، أي هو من لدن الله تبارك وتعالى.

وثانيهما: تفصيلي:

عندما نرجع لكلماتهم على نجد أنهم قد بينوا العديد من مصادر العلوم التي

أغنتهم عن غيرهم، وتلك المصادر على نحو الإجمال هي التالي:

الأول: القرآن الكريم

لا شك أن أهم مصادر العلوم الإسلامية عموماً هو القرآن الكريم، ولكن القرآن الكريم، ولكن القرآن الكريم والروايات تؤكد أن الذي يستطيع فهم القرآن هم الراسخون في العلم وهم أهل البيت البيت فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عن قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله. (۱)

وهذا ينبغي أن يكون واضحاً، إذ القرآن نزل في بيوتهم، وأهل البيت أدرى بما فيه. إذا عرفنا هذا، فاعلم أن من أهم مصادر علوم أهل البيت المساهل هو القرآن الكريم.

فعن محمد بن شريح قال: سمعت أبا عبد الله على يقول: «والله لولا أن الله فرض ولا يتنا ومودتنا وقرابتنا ما أدخلناكم بيوتنا، ولا أوقفناكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا».(٢)

إن الروايات الشريفة تؤكد على أن أعلم الناس بالقرآن الكريم هو أمير المؤمنين، هذا ما تؤكده الآيات القرآنية المفسرة بالروايات الشريفة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، يقول تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. (٣)

إن صريح هذه الآية في أن هناك شهيداً بين الذين يكذبون النبي الأكرم على وبينه، وهيو الله تعالى ومن عنده علم الكتاب؟

قيل هو (الله) تعالى، وهو رأي ترده نفس الآية، لأن الآية تقول: إن الشهود اثنين،

⁽١) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٢٤ باب ١١ ح ٥.

⁽٢) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٣٢٠ باب ١٤ ح ٥.

⁽٣) سورة الرعد(٤٣).

وهما الله تعالى ومن عنده علم الكتاب.

وقيل: هو عبد الله بن سلام، وقيل: هو سلمان المحمدي الفارسي، وهذا أيضاً مردود، لأنها أسلما في المدينة، وهذه الآية هي من سورة الرعد، وهي سورة مكية!

والصحيح هو ما روي عن النبي الأكرم على عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله عن قول الله جل ثناؤه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾؟ قال: ذاك وصي أخي سليهان بن داود. فقلت له: يا رسول الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾؟ قال: ذاك على بن أبي طالب. (١)

والالتفات إلى الفرق بين ﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الذي يعني العلم الجزئي، و﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الذي يعني العلم الحزئي، و﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الذي يعني العلم الكلي، يكشف البون الشاسع بين آصف بن برخيا وصي سليان الله وعلى ﴿ (٢)

الثاني: تعاليم النبي الأكرم عَلَيْظَة

وهذا واضح جدًا في روايات أهل البيت (سلام الله عليهم).

ففي رواية أنه قال رسول الله على لأمير المؤمنين ((اكتب ما أملي عليك. فقال: يا نبي الله، أتخاف على النسيان؟ فقال الله الله الله أن يحفظك و لا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك.

قال: قلت: ومن شركائي، يا نبي الله؟

قال: الأئمة من ولدك، بهم تسقى أمتي الغيث، وبهم يستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم ينزل الرحمة من السهاء، وهذا أولهم. وأومى بيده إلى

⁽١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٢٥٩ ح ٨٩٢ ٣.

⁽٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٢ - ص ٧٤.

الحسن بن علي ، ثم أومى بيده إلى الحسين، ثم قال: الأئمة من ولده». (١١)

من هنا روي عن جابر قال: «قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر على الله عن حدثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله عن جبرئيل هم عن الله وكل ما أحدثك بهذا الإسناد. وقال: يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها». (٢)

إشارة هامة:

إِنَّ أَهِلِ البيت سلام الله عليهم يؤكدون على الكتابة لا الحفظ، ففي الكافي (٤) عَنْ أَهِلِ اللهِ عَنْ أَهِلِ اللهِ عَبْدِ الله عَنْ قَالَ: «الْقَلْبُ يَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابَةِ».

وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

وعَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله ﷺ: «احْتَفِظُوا بِكُتُبِكُمْ فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَعْتَاجُونَ إِلَيْهَا».

- (١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٨٥ ح ٦٥٩/ ١.
 - (٢) أمالي الشيخ المفيد ص ٤٢ ح ١٠.
- ") الكافي للكليني: ج١، ص ٥١، بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ والْحَدِيثِ وفَضْلِ الْكِتَابَةِ والتَّمَسُّكِ بِالْكُتُبِ ح٤.
 - (٤) الكافي للكليني: ج١، ص٥٦، باب رواية الكتب والحديث، الأحاديث: ٨ و٩ و١٠ و١١.

وعَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله ﷺ: «اكْتُب، وبُثَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ، فَإِنَّه يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ هَرْجٍ لَا يَأْنَسُونَ فِيه إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ، فَإِنَّه يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ هَرْجٍ لَا يَأْنَسُونَ فِيه إِلَّا بِكُتُبِهِمْ».

وكذا أوصانا أساتذتنا في الحوزة العلمية المباركة، ولقد كان الأستاذ الشيخ باقر الأيرواني (حفظه الله) يقول: هذه المطالب العلمية مثل السمكة، كلما أمسكتها من جهة أفلتت من جهة أخرى؛ لذا يجب أنْ تُقيد بالكتابة والمراجعة.

فإذا أدركنا أهمية الكتابة في حفظ العلوم وتوارثها، تبين لنا مدى فداحة الجريمة التاريخية العظمى في منع تدوين أحاديث النبي الأعظم على والروايات صريحة جدًا وثابتة حتى عند أهل العامة، بأنَّ الخلفاء: أبا بكر وعمر وعثمان وأول الملوك الجبابرة في الإسلام معاوية، عملوا على منع ليس فقط تدوين الحديث وإنّها تناقل الحديث أيضًا سوى الأحاديث التي كانت موجودة في زمن أبي بكر وعمر. وليت الأمر توقف عند منع تدوينها وتناقلها، بل تعداهما إلى الأمر بإحراق الأحاديث المدونة عن النبي على بكر برواية عن عائشة بنت أبي بكر.

قال عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله على فكانت خمسائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيرا، قالت: فغمني فقلت تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فأحرقها وقال، خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد تقلدت ذلك.(١)

فحُرقت أحاديث الرسول الأكرم عَلَيْ على الرغم من علمهم بأنه ليس فيها سوى الحق، بل يظهر من بعض الروايات أن هناك محاولات للتقليل من شأن أحاديث

⁽١) كنز العمال للمتقى الهندي ج١٠ ص ٢٨٥.

النبي عَنْ في حياته، ومنع البعض من تدوين الأحاديث لأجل ذلك، فقد روي عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله عَنْ أُريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك، وقالوا: تكتب ورسول الله عَنْ يقول في الغضب والرضا! فأمسكتُ، حتَّىٰ ذكرت ذلك لرسول الله عَنْ الله عَنْ الكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلَّا حتًىٰ ذكرت ذلك لرسول الله عَنْ الله ع

⁽١) مسند أحمد بن حنيل ٢: ١٩٢.

⁽٢) عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: اشتكىٰ النبيُّ عَلَيْه يوم الخميس، فجعل - يعني ابن عبّاس - يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتدَّ بالنبيِّ عَلَيْه وجعه، فقال: «ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً»، قال: فقال بعض من كان عنده: إنَّ نبيَّ الله ليهجر! قال: فقيل له: ألا نأتيك بها طلبت؟ قال: «أوبعد ما قال!؟ - أو بعد ماذا؟ - فلم يدع به...» (الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢٤٢٢).

أقول: لاحظ كيف أنَّهم لا يُصرِّحون بالقائل لتلك الكلمة رغم وضوح أنَّه عمر، وما ذاك إلَّا لأنَّهم يريدون الحفاظ علىٰ قداسته عندهم وإن كانت من نوع المكابرة، ولو علىٰ حساب إخفاء الحقيقة.

⁽٣) عن ابن عبّاس، قال: لمّا حضر رسول الله الله الله على البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال النبيُّ على: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، فقال عمر: إنّ النبيّ على قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيُ على كتاباً لن تضلّوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ على قال رسول الله على: «قوموا». قال عبيد الله: وكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله على وين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. (صحيح البخاري ٤٠).

الأكرم عَلِيْرَالَهُ.

ثم ما الذي حدث ليتحول الممنوع إلى مسموح به؟! حيث أخذ القوم _ وعلى خلاف أثمتهم _ بتدوين الأحاديث في كتب الصحاح واعتهادها بل وجعلها بالمرتبة الثانية بعد القرآن مباشرة.

الثالث: أصول العلم.

من الواضح إنَّ للعلم أصولًا، والأصول تعني: قواعد عامة يمكن أنْ يستخرج منها أحكام وجزئيات لتلك القاعدة العامة، والذي يستطيع استخراج الأحكام الجزئية هو من يعرف تلك الأصول، لذلك ورد أنَ أهل البيت صلوات الله عليهم ألقوا إلى أصحابهم أصول العلم وتركوا التفريع لعلماء الشيعة ليفتحوا بذلك باب الاجتهاد الأصولي الشيعي المعروف. فقد روي عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله على قال: "إنها علينا أن نلقى إليكم الأصول، وعليكم أن تفرعوا».

وما روي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضاهة قال: «علينا إلقاء الأصول إليكم، وعليكم التفريع». (١١)

وبمطالعة الروايات الشريفة يتضح أنَّ لأهل البيت (سلام الله عليهم) أصول علم، تُفتح لهم من تلك العلوم علوم أخرى، عن أبي جعفر على قال: «قال علي علمنى رسول الله على ألفَ باب، يفتح ألفَ باب». (٢)

⁽١) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص ٥٧٥.

⁽٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٤٧.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: «لما حضرت رسول الله الله قال دعاني فلما دخلت عليه قال لي: يا علي أنت وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي، في حياتي وبعد موتي، وليك وليي ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، يا علي المنكر لوسالتي في حياتي لأنك مني وأنا منك، ثم أدناني فأسر إلي ألف باب من العلم، كل باب يفتح ألف باب».(١)

الرابع: كتب الأنبياء السابقين (غير المُحرَفة)

لا شك أنَّ جميع الديانات السهاوية النازلة من الله كانت أصول الشرائع فيها واحدة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّى بِهِ إَبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾. (٢)

فأصول الدين واحدة والكتب التي نزلت من الله تعالى غير المحرفة لا شك أن فيها علوماً تنفع الأمم، وفيها معارف ثرة تعالج كثيرًا من جوانب الحياة، فمن يعلمها لاشك أنها تُغنيه بعلوم تنفعه في إفتائه ووعظه وإرشاده، وأهل البيت علي كانت عندهم تلك العلوم، لذا نجد الكثير من الروايات أنَّ الإمام الصادق عبد يروي حديثاً عن النبي عيسى مثلاً، أو حكم لقهان أو قضايا عن النبي إبراهيم ، وهذا يعني: أنَّه يدعونا إلى الامتثال لقول النبي عيسى .

وهناك روايات كثيرة تؤكد هذا المعنى، منها ما روي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَبْدِ اللهِ عَالَ اللهِ عَلْمَ اللهِ عَلْمَ اللهِ عَلْمَ اللهِ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهِ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ ع

أمير المؤمنين 🕮 ح (٥).

⁽١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٢٥٢.

⁽٢) الشورى: ١٣.

قَالَ: وقَدْ أَعْطَى مُحَمَّداً جَمِيعَ مَا أَعْطَى الأَنْبِيَاءَ، وعِنْدَنَا الصُّحُفُ الَّتِي قَالَ الله ﴿ وَ فَكُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللل اللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ اللللللَّا اللللللْمُ اللللللَّهُ اللّلَهُ اللللللَّلْمُ الللللَّهُ الللللَّ اللللَّهُ الللَّهُ الللللّ

وعَنْ يُونُسَ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثِ بُرَيْه، «أَنّه لَمّا جَاءَ مَعَه إِلَى أَبِي عَبْدِ الله فَ فَلَقِي أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرِ فَ فَحَكَى لَه هِشَامٌ الْحِكَايَة، فَلَمّا فَرَغَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ فَ فَلَيْ فَيَ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ فَ فَحَكَى لَه هِشَامٌ الْحِكَايَة، فَلَمّا فَرَغَ قَالَ : كَيْفَ ثِقَتُكَ الْحَسَنِ فَ لِبُرَيْه، كَيْفَ عِلْمُكَ بِكِتَابِك؟ قَالَ: أَنَا بِه عَالِم فَ قَالَ: كَيْفَ ثِقَتُكَ بِتَأْوِيلِه؟ قَالَ: مَا أَوْثَقَنِي بِعِلْمِي فِيه. قَالَ: فَابْتَدَأَ أَبُو الْحَسَنِ فَي يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ. فَقَالَ بُريْه، وَلَمْنَ بُرِيْه وَحَسُنَ إِيهَانُه وَآمَنَتِ المُرْأَةُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله فَ مَكَى لَه هِشَامٌ الْكَلَامَ النّبِي كَانَتْ مَعَه. فَذَخَلَ هِشَامٌ وبُريْه والمُرْأَةُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله فَى فَحَكَى لَه هِشَامٌ الْكَلَامَ النّي كَانَتْ مَعَه. فَذَخَلَ هِشَامٌ وبُريْه والمُرْأَةُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله فَى فَحَكَى لَه هِشَامٌ الْكَلَامَ النّبِي عَبْدِ الله عَبْدِ الله فَى فَعَلَى أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى فَ وَيَثْنَ بُرِيْه، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله فَى فَحَكَى لَه هِشَامٌ الْكَلَامَ النّبِيء عَرَى بَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى فَ وَيَثْنَ بُريْه، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله فَى فَحَكَى لَه هِشَامٌ الْكَلَامَ مَنْ بُرَيْه، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله هَى: ﴿ فَرَبِي هُ اللّهُ اللّه وَكُمُ التَّوْرَاةُ والإِنْجِيلُ وكُتُبُ الأَبْبِيَاء ؟ قَالُوا، إِنَّ الله لَا عَنْ شَيْء فَيَقُولُ: لَا أَدْدِي ». (٢)

لذلك ورد في روايات المستقبل أنَّ الإمام الحجة الله سيجلس مع أصحاب كل الديانات وكل حسب كتابه يناظره ويناقشه، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام الباقر الله قال: «... فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، فإنَّما سُمّي المهدي لأنَّه يهدي لأمر خفي، يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين

⁽١) الكافي للكليني ج١ ص ٢٢٥ بَابُ أَنَّ الأَثِمَّةَ وَرِثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وجِمَيعِ الأَنْبِيَاءِ والأَوْصِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ح٥.

⁽٢) الكَافِي للكليني ج ١ ص ٢٢٧ بَابُ أَنَّ الأَثِمَّةَ ﷺ عِنْدَهُمْ جِمَيعُ الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ الله ﴿ وأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَلْسِنَتِهَا ح ١ .

أهل الفرقان بالفرقان...»(۱).

وهذا لا يُعد إقرارًا لهم على دياناتهم، وإنَّما هي مناقشة لعلمائهم بكتبهم في مقام البيان العلمي ليثبت لهم أنَّه الحق من كتبهم.

الخامس: كتاب علي

وقد تقدّم معنى هذا المصحف^(۱)، وأنَّ فيه خصيصتين الأولى: أنَّه مرتب حسب النزول، والثانية: أنه كُتِب فيه تفسير القرآن الكريم الذي أخذه عن النبي عَلَيْه، وهذا بحد ذاته يعتبر علمًا يستفاد منه، وصحيفة على صلوات الله عليه التي تحوي على الأمور الفقهية.

السادس: مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

وقد رويت فيه عدة روايات: عن أبي بصير، عن الإمام الصادق، قال: "إنَّ عندنا لمصحف فاطمة الله الله عندنا لمصحف فاطمة الله الله عندنا لمصحف فاطمة الله عندنا الله ما فيه مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»(٣).

وعن حمّاد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله على يقول: «تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أنّي نظرت في مصحف فاطمة على قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: «إنَّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه على خلى فاطمة على من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا الله ، فأرسل الله إليها ملكاً يُسلّي غمّها ويُحدِّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين ، فقال: إذا أحسستِ بذلك وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك،

⁽١) بحار الأنوار ٥١: ٢٩/ ح ٢، عن علل الشرائع ١: ١٦١/ باب ١٢٩/ ح ٣.

⁽٢) انظر: عقيدتنا في القرآن الكريم.

⁽٣) الكافي ١: ٢٣٩/ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة على السَّالِي ح١.

فجعل أمير المؤمنين على يكتب كلَّما سمع حتَّىٰ أثبت من ذلك مصحفاً»، قال: ثمّ قال: «أَمَا إنَّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»(١).

وعن الحسين بن أبي العلاء قال: «سمعت أبا عبد الله على يقول: عندي الجفر الأبيض. قال: قلنا: وأي شيء فيه؟ قال: فقال إلى نبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم ان فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أن فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش..».(٢)

والمصحف لغة هو ما فيه أوراق تُتصفح، أي هي أوراق مجموعة في جلد واحد وتُتصفح، وهذا المعنى المراد من مصحف فاطمة (سلام الله عليها)، وفيها بعد انتقل لفظ (مصحف) إلى القرآن الكريم.

ويظهر من الروايات أنَّ هناك مصحفين للزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهما: 1/ مصحف العلوم الغيبية المستقبلية، وهو ما روي عن حماد بن عثمان.

٢/ مصحف التكاليف الشرعية، وهو ما روي عن الحسين بن أبي العلاء، فهو
 رسالة عملية فيها الأحكام الشرعية وعلى الأقل كتاب فقهي في الديات وأحكامها.

السابع: الجامعة:

يظهر من بعض الروايات الشريفة أنَ الجامعة كتاب فيه الأحكام الشرعية التي يحتاجها المسلم، فهو شبيه بالرسالة العملية أو بأحد مصاحف فاطمة صلوات الله عليها، لكنها من إملاء رسول الله عليها.

عن أبي بصيرٍ، عن الإمام الصادق ، أنَّه قال له: «يا أبا محمَّد، وإنَّ عندنا الجامعة،

- (١) الكافي ١: ٢٤٠/ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليه المرادي ح ٢.
 - (٢) بصائر الدرجات للصفار ص ١٧٠ باب الجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام ح١.

وما يدريهم ما الجامعة؟»، قلت: جُعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله على وإملائه من فلق فيه وخطّ على بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّىٰ الأرش في الخدش»، وضرب بيده إليّ فقال: «تأذن لي يا أبا محمّد؟»، قلت: جُعلت فداك، إنّا أنا لك فاصنع ما شئت، فغمزني بيده وقال: «حتّىٰ أرش هذا _ كأنّه مغضب _...» الخ (۱).

الثامن: الجفر:

الظاهر من الروايات أنّه العلم المشتمل على علم المنايا والبلايا، كما في رواية عن الإمام الصادق عن يتكلّم مع أصحابه، فقال فيها قال: «... نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خُصَّ به محمّداً والأئمّة من بعده عليه وتأمّلت منه مولد غائبنا وغيبته وابطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم...»(٢).

فهذه الرواية تُبيِّن معنى الجفر، وتدلُّ على أنَّه من العلوم الموجودة عند الإمام هم، وهو ما دلَّت عليه أيضاً رواية الإمام الرضاه في علامات الإمام حيث يقول: «... عنده الجفر الأكبر والأصغر...»(٣).

نعم، ورد في رواية عن الإمام الصادق ﴿ أَنَّ الجَفْرِ لَيْسَ عَلَماً خَاصَّاً، وإنَّما هو وعاءٌ فيه علوم، فهو بمثابة الخزينة أو المكتبة (٤)، ففي الرواية: «وأمَّا الجَفْرِ الأَحْمرِ فوعاء

⁽١) الكافي ١: ٢٣٨ و٢٣٩/ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عاليه / ح١.

⁽٢) كمال الدين: ٣٥٣ و ٢٥٤/ باب ٣٣/ ح ٥٠.

⁽٣) عيون أخبار الرضاك ١: ١٩٢ و١٩٣/ ح١.

⁽٤) جاء في تاج العروس (ج ٦/ ص ٢٠٥/ مادَّة جفر) ما يمكن أن يكون مشيراً إلى هذا المعنى، قال: والجفير: جعبة من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود، وفي بعض الأُصول الجيّدة: لا

التاسع: الإلهام.

وقد ذكره الشيخ على في كتابه.

روي عَنْ عَيَّادٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَنِ الإِمَامِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ ﷺ: لَا، ولَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَه الله ذَلِكَ». (٢)

وعن الحرث بن المغيرة النضري قال: «قلت لأبي عبد الله عند خعلت فداك، الذي يُسأل عنه الامام وليس عنده فيه شيء، من أين يعلمه؟ قال عنه الامام وليس عنده فيه شيء، من أين يعلمه؟ قال عنه الاذن نقراً». (٣)

فالإلهام قوة خاصة عند الإمام المعصوم عند ألا يعلم ما لا يعلمه، يُمكنه من خلالها أنْ يعلم ما لا يعلمه، وهي مرتبة متقدمة وعالية جدًا من الذكاء الذي إحدى مراحله الحدس -كما أشار الشيخ على -، إذ قد يحدس الإنسان شيئًا فيقع، فإنْ تطور الحدس صار إلهامًا.

وللإمام أعلى مستويات الذكاء والإلهام بلا شك، فإذا أراد شيئًا أعلمه الله تعالى،

جلد فيها، وهي من جلود مشقوقة في جنبها، يُفعَل ذلك بها ليدخلها الريح، فلا يأتكَّل الريش. وقال الأحمر: الجفير والجعبة: الكنانة. وقال الليث: الجفير شبه الكنانة إلَّا أنَّه أوسع منها، يُجعَل فيها نشاب كثير. وفي الحديث: «من اتَّخذ قوساً عربيةً وجفيرها نفي الله عنه الفقر».

⁽١) بحار الأنوار ٢٦: ١٨/ ح ١، عن الإرشاد ٢: ١٨٦، والاحتجاج ٢: ١٣٤.

⁽٢) الكافي للكليني ج١ ص ٢٥٧ بَابٌ نَادِرٌ فِيه ذِكْرُ الْغَيْب ح٤.

⁽٣) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٣٦ باب (٣) باب ما يفعل بالامام من النكت والقذف والنقر في قلو مهم واذنهم ح١.

فعلمه حينئذٍ ليس ذاتيًا إنّما مكتسب من الله تعالى، والإلهام مصدر علمي قوي جدًا لا يتوقف معه الإمام عند حدٍ من العلوم.

قال الشيخ على: «...أن قوة الالهام عند الإمام التي تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكهال في أعلى درجاته، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة، فمتى توجه إلى شئ من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الإلهامية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم. وتنجلي في نفسه المعلومات كها تنجلي المرئيات في المرآة الصافية لا غطش فيها ولا إبهام..».

العاشر: الزيادة المستمرة للعلوم:

حيث ورد في بعض الروايات الشريفة أنَّ الإمام في في ازدياد مستمر للعلوم، منها ما روي عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرِ فَي يَقُولُ: «لَوْ لَا أَنَّا نَزْدَادُ لأَنْفَدْنَا. قَالَ: قُلْتُ: تَزْدَادُونَ شَيْئاً لَا يَعْلَمُه رَسُولُ الله يَلِيُ ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّه إِذَا كَانَ ذَلِكَ عُرِضَ عَلَى رَسُولِ الله يَلِيَّةُ وَلَا الله عَلَى الأَمْرُ إِلَيْنَا». (١)

ورب سائل يتساءل: إن كان النبي على قد بين الحلال والحرام فها مورد هذه الزيادة؟ الجواب فيها روي عن سليهان قال: «سألت أبا عبد الله فقلت: جعلت فداك، سمعتك وأنت تقول غير مرة لولا أنا نزاد لأنفدنا. قال: أما الحلال والحرام، فقد والله أنزله الله على نبيه بكهاله ولا يزاد الامام في حلال ولا حرام. قال: فقلت: فها هذه الزيادة؟ قال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام». (٢)

الحادي عشر: الناموس:

وهو عبارة عن كتاب فيه أسماء الشيعة كلّهم، فأهل البيت على يعرفون شيعتهم

⁽١) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٥٥ بَابُ لَوْ لاَ أَنَّ الأَئِمَّةَ هَ يَزْدَادُونَ لَنَفِدَ مَا عِنْدَهُمْ ح٣.

⁽٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٤١٣ باب ٩ ح ٥.

بواسطته.

عن رجل من بني حنيفة، قال: كنت مع عمّي فدخل على على بن الحسين، فرأى بين يديه صحائف ينظر فيها، فقال له: أيّ شيء هذه الصحف جُعلت فداك؟قال: «هذا ديوان شيعتنا»، قال: أفتأذن أطلب اسمي فيه؟! قال: «نعم»، فقال: فإنّي لست أقرأ و ابن أخي معي على الباب فتأذن له يدخل حتّىٰ يقرأ؟! قال: «نعم»، فأدخلني عمّي، فنظرت في الكتاب، فأوّل شيء هجمت عليه اسمي، فقلت: اسمي وربّ الكعبة، قال: ويحك، فأين أنا؟ فجزت بخمسة أسهاء أو ستّة ثمّ وجدت اسم عمّي. فقال علي بن الحسين الله على ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون، إنّ الله خلقنا من أعلى عليين وخلق شيعتنا من طينتنا أسفل من ذلك، وخلق عدوّنا من سجّين وخلق أولياءهم منهم من أسفل ذلك»(۱).

وعن ابن فضّال، عن ظريف بن ناصح وغيره، عمَّن رواه، عن حبّابة الوالبية (۲)، قالت: قلت لأبي عبد الله عن إنَّ لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم، وإنِّي أُحِبُّ أن تُعلِمني أمن شيعتكم؟ قال: «و ما اسمه؟»، قالت: قلت: فلان بن فلان. قالت: فقال: «يا فلانة، هات الناموس، فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة، فنشرها، ثمّ نظر فيها فقال: نعم هو ذا اسمه و اسم أبيه هاهنا» (۳).

(۱) بحار الأنوار ٢٦: ١٢١ و ١٢٢/ ح ١١، عن بصائر الدرجات: ١٩١/ باب ما عند الأئمَّة على الله المنافقة ال

⁽٢) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله هذه قال: "إنَّ حبّابة الوالبية كان إذا وفد الناس إلى معاوية وفدت هي إلى الحسين ه وكانت امرأة شديدة الاجتهاد قد يبس جلدها على بطنها من العبادة...». (بصائر الدرجات: ١٩١/ باب ما عند الأئمَّة على من ديوان شيعتهم.../ ح ٤).

الثاني عشر: التوسم:

التوسّم هو القدرة على تمييز النوايا والخفايا والاطّلاع عليها من خلال نظر العين، وهذه القدرة لا تكون لأيّ أحد كما هو واضح، إنّما تكون للمؤمنين الذين وصلوا إلى مراتب كمالية تُهيّئهم لهذا المقام.

وهي كما صرحت الروايات الشريفة سيكون عند الإمام المهدي فعن الإمام الباقر في نجف الكوفة، كأنَّ على رؤوسهم الباقر في نجف الكوفة، كأنَّ على رؤوسهم الطير، قد شنت مزادهم، وخُلِقت ثيابهم، متنكّبين قسيّهم، قد أثَّر السجود بجباههم، ليوث بالنهار رهبان بالليل، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد، يُعطىٰ الرجل منهم قوَّة أربعين رجلاً، ويعطيهم صاحبهم التوسم، لا يقتل أحد منهم إلَّا كافراً أو منافقاً، فقد وصفهم الله بالتوسم في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾(١)»(٢).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﴿ فِي قَوْلِ الله ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (٣) قَالَ: هُمُ الأَئِمَّةُ ﴿ اللهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﴿ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

وعن معاوية الدهني عن أبي عبد الله في قول الله في أيعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيهاهُمْ فَيُوْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ (٥٠). فقال في: «يا معاوية، ما يقولون في هذا؟ قال: قلت: يزعمون أن الله تبارك وتعالى يعرف المجرمون بسيهاهم يوم القيمة فيأمر بهم فيؤخذ

⁽١) الحجر: ٧٥.

⁽٢) منتخب الأنوار المضيئة: ٣٤٤.

⁽٣) الحجر: ٧٥.

⁽٤) الكافي للكليني ج ١ ص ٢١٨ بَابُ أَنَّ المُتَوَسِّمِين الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ هُمُ الأَئِمَّةُ ﷺ والسَّبِيلُ فِيهِمْ مُقِيمٌ ٣٠.

⁽٥) الرحمن ٤١.

بنواصيهم واقدامهم ويلقون في النار.

قال: فقال لي: وكيف يحتاج الجبار تبارك وتعالى إلى معرفة خلق أنشأهم وهو خلقهم؟!

قال: فقلت: في ذاك، جعلت فداك؟

قال : ذلك لو قد قام قائمنا اعطاء الله السيا، فيأمر بالكافر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم ثم يخبط بالسيف خبطاً».(١)

وبعد أن علمنا مصادر علم الأئمة الشرورة بشكل اجمالي، ينبغي أنْ نلتفت إلى ضرورة أن لا نطلب العلم إلا منهم الشروة. وقد جاء في وصية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى كميل بن زياد: يا كميل لا تأخذ إلا عنا تكن منا. (٢)

كما روي عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر على يقول: «ليس عند أحد من الناس حقٌ ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حقِّ إلَّا ما خرج منّا أهل البيت، وإذا تشعّبت بهم الأُمور كان الخطأ منهم والصواب من عليِّ اللهِ (٣).

كما علينا أنْ نأخذ بعين الاعتبار أنَّ أعمالنا تعرض عليهم، وكل مؤمن بيده أنْ يدخل السرور على قلب الإمام أو يحزنه، في مكاتبة الإمام المهدي الشيخ المفيد; يقول فيها: «فليعمل كلُّ امرئ منكم بها يقرب به من محبَّتنا، ويتجنَّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإنَّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»(١٠).

⁽١) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٧٦ باب ١٧ ح ٨.

⁽٢) تحف العقول للحراني ص ١٧١.

⁽٣) الكافي للكليني ١: ٣٩٩/ باب أنَّه ليس شيء من الحقِّ في يد الناس إلاَّ ما خرج من عند الأئمَّة على الكليني ١. ١٩٩

⁽٤) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣٢٣ و ٣٢٤.

عقيدتنا في طاعة الأئمة

قال الشيخ على:

«عقديتنا في طاعة الأئمة

ونعتقد أنَّ الأثمة هم أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وأنهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه، وأنهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وخزان معرفته، ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض كها أن النجوم أمان لأهل السهاء على حدِّ تعبيره على حدِّ توله أيضاً «أن مثلهم في هذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى»، وأنهم حسبها جاء في الكتاب المجيد ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

بل نعتقد أنّ أمرهم أمر الله ، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله . فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم.

ولهذا نعتقد أنّ الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من نمير مائهم، ولا يصحُّ أخذها إلا منهم، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئن بينه وبين الله إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم. أنّهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق في هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه والضلالات،

والادعاءات والمنازعات.

ولا يهمنا من بحث الإمامة في هذه العصور إثبات أنّهم هم الخلفاء الشرعيون وأهل السلطة الإلهية، فإن ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ، وليس في إثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد أو يعيد الحقوق المسلوبة إلى أهلها. وإنّا الذي يهمنا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به. وأنّ في أخذ الأحكام من الرواة والمجتهدين الذين لا يستقون من نمير مائهم ولا يستضيئون بنورهم ابتعاداً عن محجة الصواب في الدين، ولا يطمئن المكلف من فراغ ذمته من التكاليف المفروضة عليه من الله والآنه مع فرض وجود الاختلاف في الآراء بين الطوائف والنحل فيها يتعلق بالأحكام الشرعية اختلافاً لا يرجى معه التوفيق، لا يبقى للمكلف مجال أن يتخير ويرجع إلى أي مذهب شاء ورأى اختار، بل لا بد له أن يفحص ويبحث حتى تحصل له الحجة القاطعة بينه وبين الله على تعيين مذهب خاص يتيقن أنّه يتوصل به إلى أحكام الله وتفرغ به ذمته من التكاليف المفروضة، فإنّه كها يقطع بوجود أحكام مفروضة عليه يجب أنْ يقطع بفراغ ذمته منها، المفروضة، فإنّه كها يقطع بوجود أحكام مفروضة عليه يجب أنْ يقطع بفراغ ذمته منها، فإنّ الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني.

والدليل القطعي دالٌ على وجوب الرجوع إلى آل البيت وأنهم المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله المنزلة. وعلى الأقل قوله عليه أفضل التحيات «إنّي قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السهاء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ألا وإنّها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». وهذا الحديث اتفقت الرواية عليه من طرق أهل السنة والشيعة.

فدقِّق النظر في هذا الحديث الجليل تجد ما يقنعك ويدهشك في مبناه ومعناه، فها أبعد المرمى في قوله: «إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً» والذي تركه فينا هما الثقلان

معا إذ جعلها كأمرٍ واحدٍ ولم يكتفِ بالتمسك بواحد منها فقط، فبها معاً لن نضل بعده أبداً.

وما أوضح المعنى في قوله: «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» فلا يجد الهداية أبدا من فرق بينها ولم يتمسك بها معا. فلذلك كانوا «سفينة النجاة» و «أماناً لأهل الأرض» ومن تخلّف عنهم غرق في جُج الضلال ولم يأمن من الهلاك. وتفسير ذلك بحبهم فقط من دون الأخذ بأقوالهم واتباع طريقهم هروب من الحق لا يلجأ إليه إلا التعصب والغفلة عن المنهج الصحيح في تفسير الكلام العربي المبين.» انتهى.

إنَّ بحث لزوم طاعة الأئمة الله على بحث الاعتراف بإمامتهم أولًا، والطاعة _ كها هو ثابت عقلًا _ لا يمكن أن تلزم على أحدٍ إلا لسبب ومسوّغ؛ لأنَّ الأصل هو عدم لزوم طاعة الآخر، فإذا لزمت الطاعة على أحدٍ كان له الحق أنْ يسأل: لماذا لزمت؟ ما سبب لزومها؟

أسباب أو مقتضيات لزوم الطاعة

هناك عدّة مُقتضيات تقتضي على الفرد لزوم طاعته للغير عقلًا، وهي:

الأول: أنْ يكون ذلك الغير مُنعِمًا على الفرد، كما إذا كان خالقًا أو رازقًا أو كان قادرًا وذلك الفرد عاجز، فيكون لزوم الطاعة حينئذ نابعًا إما من لزوم شكر المُنعم، فالعقل يحكم بلزوم شكر الله مثلًا؛ لأنه أخرج ذلك الفرد من كتم العدم إلى حيز الوجود، ورزقه بمختلف النعم، أو يكون لزوم الطاعة نابعًا من الاحتياج، كاحتياج العاجز إلى القادر، واحتياج الجاهل إلى العالم، فالنبي موسى عندما طلب من الخضر أن أن النبي موسى القادر، ومن المناسب الإشارة إلى أنَّ النبي موسى كان أعلم من الخضر، وأما اتباعه إيّاه لأجل التعلم فله تخريجٌ ليس هذا محل ذكره.

الثاني: أنْ تكون طاعة الغير مؤدية إلى إرضاء من تجب طاعته، كما إذا علم العبد - وبصورة قطعية - أنَّ امتثاله لأوامر ابن المولى الصغير من الأمور التي تحقق رضا المولى، فالعقل حينئذ يجد طاعة العبد لابن المولى أمرًا حسنًا، بل ويأمره بذلك أيضًا، تحصيلاً لرضا المولى نفسه.

الثالث: أنْ يأمر من تجب طاعته بإطاعة شخص ما، كأمر الملك عبده بالذهاب مع فلان، وأن يسمع أمره كما لو أنه أمر الملك، فحينئذ يوجب العقل على العبد أن يطيع فلاناً طاعةً للملك، فإن لم يطع هذا العبد فلاناً كان مُلامًا ومذمومًا عند العقلاء؛ لأنه عندما خالف فلاناً ولم يُطعه، فإنَّه في الحقيقة خالف الملك ولم يُطعه.

وبناءً على هذا المُقتضي وجبت طاعة الرسول الأكرم على، في قوله ﴿ فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ اَمْنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الله وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴿ (')، وبها أَنَّ الله وَ تجبُ طاعته على جميع المخلوقات، وقد أمر بإطاعة الرسول على فقد وجبت طاعته على جميع المخلوقات أيضًا، فإن ادعى شخصٌ الاكتفاء بطاعته لله وون طاعة الرسول و كان مُلامًا ومذمومًا بنظر العقلاء، تمامًا كالعبد الذي خالَف أمر الملك في المثال السابق، بل كان أكثر منه وأشد؛ لأنَّ وجوب طاعة العبد للملك وجوب عرضي، أيّ لأجل المملوكية الاعتبارية، لكونه ملكاً عليه، فإنْ هو تنحّى عن الملوكية أو غُصِبت منه، فلربها ينتفي لزوم طاعته على العبد، وأما طاعة الله فهي واجبة دائمًا وأبدًا وفي كلِّ زمان ومكان بل وفي كلِّ عالم من العوالم كلها. وعليه فإنَّ عدم طاعة الرسول الأكرم عليه إنها هي عدم بل وفي كلِّ عالم من العوالم كلها. وعليه فإنَّ عدم طاعة الرسول الأكرم عليه إنها هي عدم

⁽١) النساء ٥٥.

طاعة الله ﷺ ومن ثم فهي معصية له .

ولم يكتفِ القرآن الكريم بأمره بطاعة الرسول وأولي الأمر الله في الآية المتقدمة، بل وقال أيضًا: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله َ إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقابِ ﴿ () حيث أوجب الله في طاعة الرسول الأكرم على جميع المسلمين، وأمرهم بوجوب الأخذ بها يأتيهم من أوامر والانتهاء عمّا نهاهم عنه، وقد أمر الرسول الأكرم على بوجوب طاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في، فمن خالف ذلك بعدئذ ولم يُطِع الإمام علياً فهو في حقيقة الأمر لم يُطِع الرسول الأكرم على ومن ثم لم يُطع الله ورد في الحديث المشهور عن الرسول الأكرم على : «أيها الناس، من عصى علياً فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله في، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله » . (٢)

وهذا هو معنى أن الراد عليهم كالراد على الله ، وهو على حدِّ الشرك بالله على الله الله الله الله الله

فقد روي عن سَعِيد الأَعْرَج قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وسُلَيَّانُ بْنُ خَالِدٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله ﴿ فَابْتَدَأَنَا فَقَالَ: ﴿ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله ﴿ فَابْتَدَأَنَا فَقَالَ: ﴿ يَا سُلَيُّانُ ، مَا جَاءَ عَنْ أَمِيرِ اللَّؤْمِنِينَ ﴿ يُؤْخَذُ بِه ، ومَا نَهَى عَنْه يُنْتَهَى عَنْه ، جَرَى لَه مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَى لِرَسُولِ الله ﴿ وَلِرَسُولِ الله ﴿ وَلِيَسُولِ الله ﴾ الْفَضْلُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ الله ، المُعَيِّبُ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ﴿ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِه كَالمُعَيِّبِ عَلَى الله ﴿ وَعَلَى حَدِّ الشَّرْكِ بِالله .. » . (٣) رَسُولِه ﷺ ، والرَّادُ عَلَيْه فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشَّرْكِ بِالله .. » . (٣)

فإذا أُيدَت هذه المؤيدات العقلية بمؤيداتٍ وأوامر شرعية، كان اللزوم والوجوب لا مناص منه ولا مهرب، وهذا ما ندّعيه في لزوم طاعة أهل البيت الماسية، فإنَّ جميع

⁽١) الحشم ٧

⁽٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص ٣٧٣.

⁽٣) الكافي للكليني ج١ ص ١٩٧ بَابُ أَنَّ الأَثِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الأَرْضِ ح٢.

مقتضيات الطاعة متوفرة فيهم علا الله ولا سبيل للنجاة إلا بطاعتهم والامتثال لأوامرهم.

والخُلاصة: أنَّ طاعة أهل البيت الله لها أسبابها العقلية والنقلية (الشرعية)، وقبل الولوج في الأدلة النقلية (الشرعية) التي توجب طاعتهم الله الأبدَّ من الإشارة إلى ملاحظات مهمة.

ملاحظات مهمة:

الأولى: أن طاعة أهل البيت الله عين في طاعة الرسول عليه

نعتقدُ أنَّ طاعة الأئمة على ليست في عرض طاعة الله ورسوله يَه بل هي في طولها، ومعنى ذلك: أنَّ طاعتهم مترشحة من طاعة رسول الله يَه ونابعة منها، كما أنَّ طاعة الرسول يَه هي الأخرى نابعة من طاعة الله على.

ومعه، فلا يصحُّ أن يُشكل علينا أحد بدعوى أننا نطيع أهل البيت الله أكثر من طاعتنا لرسول الله على أو أننا نقدِّم طاعتهم على طاعته؛ وذلك لأنَّ طاعتنا لأهل البيت الله الله على أمرنا بطاعتهم.

فالإشكال المذكور لا صحة له ولا واقع، بل على العكس، هم من عصى الرسول الأكرم على ولم يُطيعوه إذ لم يأتمروا بأوامره، وما تمسكهم به إلا كتمسكهم بسائر الشبهات التي يسددونها إزاء المدرسة الإمامية ظلمًا وزورًا والناتجة عن جهلهم وعدم معرفتهم بالعقيدة الحقّة لهذه المدرسة الطاهرة، وهم لا يُعذرون فيه بعد أنْ بينها ووضحها الأئمة على بأنفسهم، وأكدوا أنَّ كل ما عندهم هو من رسول الله على كما أكد أميرهم أمير المؤمنين في أنّه ما هو إلا عبد من عبيد محمد على الله عند من عبيد محمد الله الله عند من عبيد محمد الله الله عند من عبيد من عبيد من عبيد الله عند من عبيد الله عند من عبيد الله عند الله عند الله عند من عبيد الله عند الله عند الله عند الله عبد الله

⁽١) الكافي للكليني ج١ ص ٩٠ بَابُ الْكَوْنِ والْكَانِح٥.

عقيدتنا في طاعة الأئمة

٧٢

الثانية: أنَّ معنى طاعة أهل البيت عِلَيْ السِّلا تعني التالي:

ا/ أنَّ أخذ أحكام الإسلام وتفسير القرآن والقضاء في الأمور المتنازع عليها وكلَّ ما يتعلق بالتكاليف الشرعية سينحصر بطريق واحد هو طريقهم الشرعية وهذا يعني أن أخذ العلم «أي التكاليف الشرعية والحلال والحرام والتفاسير...» يجب أنْ يكون منهم لا من غيرهم، فإنَّ أخذ العلم الشرعي منهم يساوق طاعتهم الشرعية والعكس بالعكس، وهذا ما أشار له الشيخ المجارتة: «ولهذا نعتقد أنَّ الأحكام الشرعية الإلهية لا تُستقى إلا من نمير مائهم، ولا يصح أخذها إلا منهم، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم...».

٢/ ويتفرع عليه: أن طاعتهم المسلس تعني ترجيح وتقديم قولهم على قول غيرهم فيها لو تعارضا واختلفا، فمثلًا لو سافر شخصٌ ما وكان سفره ليس فيه معصية ولا سفر عمل ولا بنية إقامة لمدة عشرة أيام، فها حكم صلاته؟ ومن أين يستقيه؟ هل يأخذ بها تحكم به مدرسة أهل البيت القصر وهو أنْ يُقصر في صلاته، أو بها تحكم به مدارس غيرهم وهو التخيير بين القصر والتهام؟

فقولهم نص شرعي، وأما قول غيرهم فلا يعدو أنْ يكون اجتهادًا شخصياً غير مستند على دليل قطعي شرعياً كان أو عقلياً، وحينئذٍ ما من عاقل يجوِّز وضع كلا القولين

⁽١) النجم ٣-٤.

على منضدة المقايسة، وبالتالي فإنَّ قولهم دائمًا هو المُقدّم، وهذا معنى طاعتهم على الله الله عنى طاعتهم المالية.

فالاعتراف النظري بهم الله لا بدأن يستتبعه عمل بها يقولون ويأمرون به، أي أن تتحول الطاعة من النظرية إلى العملية، فهذا هو المنجي.

الدليل الأول: استلزام مفهوم الإمامة لوجوب الطاعة.

إنَّ معنى الإمامة في حدِّ نفسه يستلزم وجوب الطاعة، فلا معنى لإمام لا يُطاع، فهذا بمثابة التفرقة بين الذات والذاتي، كالتفرقة بين الإنسان والناطق؛ لأنه تقدم أنَّ معنى الإمامة هي الخلافة عن رسول الله على في جميع شؤونه ووظائفه، وأنَّ الفرق بين النبي والإمام ينحصر بالوحي الرسالي، وحيث إنَّ وظائف وشؤون النبي على لا تتم إلا بالطاعة، فلذلك من يقوم مقام النبي (صلّى الله عليه وآله) في تلك الشؤون يجب أنْ يُطاع.

وبعبارة أخرى: حيث إنَّ تلك الوظائف لا تتم ولا تتفعل إلا إذا كان المسلمون

يطيعون رسول الله على كذلك من يقوم مقام النبي على في تلك الوظائف لا يتم إلا بطاعة المسلمين له، وهم الأئمة على قال في: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ مُن اللهُ عَرِّمُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُواللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

وهذا الأمر نفسه يجري في أئمة أهل البيت الللالا.

إذًا لزوم الطاعة نابع من نفس الاعتقاد بالإمامة، وإلا كان شبه التفرقة بين الذات والذات.

الدليل الثاني: حديث الثقلين:

وهو حديثٌ ثابت عند كلِّ من العامة والخاصة، وبتعبير بعض العلماء أنه حديث لا يُدانيه في الثبوت حديث سوى حديث الغدير، فهو حديثٌ متواتر مُتَفَق عليه وإنْ حصل بعض التحريف في بعض الكتب العامية، حيث حرّ فوه بتبديل عبارة «كتاب الله وعترتي» بـ «كتاب الله وسنتى»، وقد ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة ومعناها واحد.

فقد روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله على: «إني تارك فيكم أمرين: ألا أحدهما أطول من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...».(٢)

وأما من حيث دلالته، فإنَّه وما يُحيط به من قرائن يدلُّ على العديد من الدلالات المهمة، ومن أهم تلك القرائن التي وضّحت مُراد الرسول الأكرم على من الحديث ما ورد في بعض الروايات بأن العلاقة بين القرآن والعترة هي كالعلاقة بين السبابتين، لا بين الوسطى والسبابة، لئلا تزيد إحداهما على الأخرى، فقد روي أنه قَالَ رَسُولُ الله على الله على المنافقة بين السبابة، لئلا تزيد إحداهما على الأخرى، فقد روي أنه قَالَ رَسُولُ الله على المنافقة بين الوسطى والسبابة، لئلا تزيد إحداهما على الأخرى، فقد روي أنه قَالَ رَسُولُ الله على المنافقة بين الوسطى والسبابة، لئلا تزيد إحداهما على الأخرى، فقد روي أنه قالَ رَسُولُ الله عليه المنافقة بين الوسطى والسبابة المنافقة بين المنافقة بينافقة بين المنافقة بينافقة بين المنافقة بينافقة بينافقة بينافقة بينافقة بيناف

⁽١) النساء ٢٥.

⁽٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٥ ح ٩٧. وانظر مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص ١٤ وسنن الترمذي ج٥ ص ٣٢٩ وغيرها من المصادر.

فِي آخِرِ خُطْبَتِه يَوْمَ قَبَضَه الله ﴿ إِلَيْه: ﴿ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، مَا إِنْ تَمَسَّكُتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله وعِتْرَقِ أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّ اللَّطِيفَ الخُبِيرَ قَدْ عَهِدَ إِلِيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحُوْضَ كَهَاتَيْنِ -وجَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتَيْه - ولا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ -وجَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتَيْه - ولا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ -وجَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتَيْه - ولا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ -وجَمَعَ بَيْنَ المُسَبِّحَةِ والْوُسْطَى - فَتَسْبِقَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَا تَزِلُّوا ولا تَضِلُوا، ولا تَضِلُوا، ولا تَقْدَلُوا، ولا تَقْدَلُوا ولا تَقْدَلُوا ولا تَوْدُلُونَا ولا تَقْدَلُوا ولا تَقْدُولُ ولا تَقْدَلُوا ولا تَقْدَلُولُ اللَّهُ وَيُقَالُوا ولا تَقْدَلُولُ اللَّهُ ولَيْنَ الْمُعَالَى الْمُعْدَلِقَالَهُ اللْهُ الْقُولُ الْمُعْرَى الْمُعْدَلِقَالَ اللْهُ عَلَيْهِ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُنْ اللَّهُ اللْهُ الْعُنْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ الْمُؤْمِنُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُولُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْفُولُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ الللْهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ الل

وهناك عدة دلالات في حديث الثقلين، نذكر منها:

الأولى: دلالته على إمامة أهل البيت الله فكما أنَّ القرآن الكريم إمام الناس وطاعته لازمة عليهم، فكذلك هم أهل البيت الله الله بمقتضى المساواة والإقران بينهما.

الثالثة: دلالته على الهداية، فحيث إنَّ القرآن الكريم ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ الْتُومِ، وهم أهل البيت اللَّالِي فهم يهدون إلى الطريق الأقوم.

الرابعة: دلالته على أنَّ الهداية إنَّما تتحقق بهما معًا على نحو الكلِّ المجموعي، ونقصد بالكلِّ المجموعي أن المجموع بما هو مجموع مطلوبٌ، ولتقريب المعنى نضرب مثالًا:

لو طلبتُ منك إكرام كلّ من في الدار، وكنت أقصد بالكلّ في قولي الكل المجموعي الاستغراقي، فالامتثال لهذا الأمر إنّا يكون بإكرام كلّ فردٍ في الدار، فلو كان عددهم مثلا (١٠٠) فردٍ، فقد وجب إكرامهم كلهم لتكون ممتثلًا للأمر، فإنْ أكرمتَ (٩٩) فردًا

⁽١) الكافي للكليني ج٢ ص ٤١٥ بَابُ أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُوْمِناً أَوْ كَافِراً أَوْ ضَالاً - ح١.

⁽٢) فصلت ٤١ – ٤٤

⁽٣) الإسراء ٩

مثلًا، فلا يُقال عنك عندئذٍ إنّك امتثلت للأمر بنسبة (٩٩)، بل يُقال: إنّك لم تمتثل الأمر أصلًا، وتستحق عقوبة من لم يمتثل الأمر رأساً.

وعليه، فإنَّ قوله الله الله الله الله الله الله المجموعي، أيّ المجموعي، أيّ الهداية وعدم الضلالة تتحقق بالتمسك بها (القرآن الكريم والعترة المُطهّرة) معًا، فبها معًا يهتدي المُكلّفون وينجون من الضلالة، ولن يهتدي أبدًا من أخذ بأحدهما دون الآخر، كما لن يهتدي أبدًا من تمسك ببعض العترة دون بعض؛ وذلك لأنَّ العترة تعني الني عشر إمامًا، ومن لم يؤمن ولو بإمام واحدٍ منهم، فهو كمن لم يؤمن بجميعهم أصلاً.

وعليه، فإنَّ من قال بالاكتفاء بكتاب الله ودن العترة فهو ضال، وهو ممن انقلب على عقبيه في قوله تعالى ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾.(١)

وقوله ليس بكلمة حقٍّ يراد بها باطل، بل هي كلمة باطلة؛ لمخالفتها كتاب الله العزيز من جهة، والسنة النبوية المطهرة من جهةٍ أخرى.

ومثل من قال بالاكتفاء بكتاب الله في الضلالة وعدم الهداية والانقلاب على الأعقاب، من قال بالاكتفاء ببعض الأئمة دون بعض، نحو بعض الفرق الشيعية كالزيدية والواقفية مثلًا.

السادسة: دلالته على أنَّ الأرض لا تخلو من إمام؛ وذلك للإقران بينهما في قوله على أنَّ

⁽١) آل عمران ١٤٤.

«وإنَّها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، والقرآن الكريم باقي دستورًا للأمة ومرجعًا لها ما بقيت الأرض، فالعترة الهادية هي الأخرى باقية ما بقيت الأرض مرجعًا وهاديًا.

كما يُثبت هذا الحديث أيضًا ضرورة وجود الإمام الثاني عشر في زمننا هذا؛ لأنَّ القول بعدم وجوده يلزم منه التفكيك بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة، ويلزم من هذا تكذيب النبي في إذ قال: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وحاشاه من ذلك، وحيث إنَّ النبي لا يكذب فلابُدَّ من انطباق هذا الحديث بتمام معنى الكلمة، وهذا لا يتم الا بالاعتراف بوجود الامام الثاني عشر في وأما مسألة إثبات أنَّه خصوص الإمام المهدي وأنه على الله موكولةٌ إلى الأدلة النقلية المستفيضة والكثيرة التي تدل وبشكل قاطع على أنَّه هو في وأنّه المولود في الخامس عشر من شعبان... إلى آخر الأدلة النقلية التي تحدثت عنه (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

الدليل الثالث: قوله عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْر منكُمْ ﴾. (١)

وللاستدلال بهذه الآية المباركة على وجوب طاعتهم الله لأبُدَّ من تقديم مقدمات:

المقدمة الأولى: كلمة (أطيعوا) فعل الأمر، جاءت بصورةٍ منفردة مع الله، وأما مع الرسول وأولى الأمر (عليهم الصلاة والسلام) فقد جاءت بصورةٍ مشتركة لكليها، وهذا يدلُّ على أنَّ هناك اختلافًا بين حقيقة طاعة الله في وبين طاعة (النبي الأعظم وأولى الأمر)، فطاعته واجبة بالذات على العباد؛ لأنَّه الخالق والمدبر والرازق والرب، وأما طاعة النبي وأولى الأمر فهي واجبة بالعرض؛ أي لأنَّ الله الموجبها.

وفي نفس الوقت، فإنه لا يخفى أنَّ استعمال فعل أمرٍ واحد لكلِّ من الرسول وأولي

⁽١) النساء ٥٥.

الأمر يدلُّ على وحدة الطاعة، أيّ إنَّ طاعة الرسول تتحقق بطاعة أولي الأمر، وطاعة أولي الأمر، وطاعة أولي الأمر هي طاعة الرسول للله.

المقدمة الثانية: من هم أولوا الأمر؟

اختلف المفسرون على ثلاثة أقوال:

الرأي الأول: هم الأمراء.

الرأي الثاني: هم العلماء.

بقطع النظر عن الروايات، وبتأمل قليل في معنى وجوب طاعة أولي الأمر، يُفهَم منه وجوب كونهم معصومين؛ لاستحالة أن يأمر الله وهو الحكيم بوجوب طاعة من يمكن أن يعصي ويخطئ ويسهو، فذلك تغرير بالمعصية بلا شك.

ومنه يتضح أنَّ الرأي الثالث هو الصحيح وأنَّ أولي الأمر الواجب طاعتهم هم أهل البيت المعصومون الله الله دون غيرهم.

تفصيل المُلازمة بين وجوب الطاعة والعصمة.

لابُدَّ أَنْ يكون من تجب طاعته معصومًا، وذلك للنقاط الآتية:

أولًا: أطلق الله وجوب طاعة أولي الأمر ولم يُقيدها بقيد، مما يعني وجوب طاعتهم في كلِّ أوامرهم، وهذا يستلزم أنْ تخلو جميع أوامرهم من كلِّ معصية مها صغرت، وأنْ تكون مطابقة لما يريده الله ، أي إنَّ أفعال وأقوال وتقريرات كلِّ شخصٍ منهم مطابقة لما يريده الله ، وهذا هو معنى العصمة.

ويؤيد المعنى المتقدم -مُلازمة الاطلاق في الطاعة للعصمة- تقييد الله الأمره بوجوب طاعة الوالدين مثلاً بقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً ﴿ (١) ، فطاعة الوالدين رغم أَنهَا قُرِنت بعبادة الله ﴿ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً ﴾ (١) ، إلا أنهًا مُقيّدة بها تقدم، على حين إنَّ طاعة أولي الأمر مطلقة ولم تقيد بأيّ قيد.

ثانيًا: تقدّم أنَّ كلمة (أطيعوا) في الآية المباركة قد وردت مرتين، مرةً أفردت للأمر بطاعة الله ، وأخرى كانت مشتركة، أيّ للأمر بطاعة الرسول على وأولي الأمر بطاعة الرسول على ومُقتضى الاشتراك بأمر بالطاعة لكليهما هي وحدة الطاعة، وبها أنَّ طاعة الرسول على نحو الإطلاق لقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) لأنه على معصومٌ لقوله (عزّ من قائل): ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (١) فكذلك هي طاعة أولي الأمر؛ لوحدة الملاك الموجب لكل منهما، وهي العصمة.

كما أنَّ من الواضح جدًا أنَّ الأمراء وحتى العلماء لا تؤمَن منهم المعصية، ومثلهم في الحكم الخلفاء المسمون بالراشدين وأمراء السرايا، وعليه، فلا تصدق الآية والحال هذه إلا على المعصومين، وبالتالي علينا أنْ نرجع إلى الأدلة القطعية لنعرف من هم المعصومون ليكونوا هم أولي الأمر، وحديث الثقلين المُتقدِّم يُثبت عصمة العترة الطاهرة بالبيان المتقدم.

ونخلص من كل ذلك إلى أنَّ المقصود من أولي الأمر هم المعصومون وهم أهل البيت الله المعصومون وهم أهل المعصوم المعصومون وهم أهل المعصوم أهل المعصومون وهم أهل المعصوم المعصومون وهم أهل المعل المعصومون وهم أهل المعصومون وهم أهم أهل المعصوم المعل المعصومون وهم أهل المعصومون

⁽١) لقمان ١٥

⁽٢) الإسراء ٢٣

⁽٣) الحشر ٧؛

⁽٤) النجم ٣ - ٤

أولوا الأمرهم أهل البيت على العُلاد.

تبين بالقرائن والأدلة العقلية أنَّ أولي الأمر الذين أوجب الله المعقومين، وقد تقدم إثبات عصمة أهل البيت الله في حديث الثقلين، وبذا يكون المقصود بأولي الأمر هم أهل البيت الله ولكنْ هناك طريق أقصر للوصول إلى هذه النتيجة، من خلال الروايات التي صرّحت أنَّ المقصود بأولي الأمر هم أهل البيت التي صرّحت أنَّ المقصود بأولي الأمر هم أهل البيت البيت الله منها روي عن جابر بن يزيد الجعفي أنّه قال: سمعت جابر بن عبد الله النصاري يقول: «لما أنزل الله على نبية محمد الله على الله عرفنا الله ورسوله، فمن وأطيع والأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال الله عرفنا الله ورسوله، فمن المسلمين [من] بعدي؛ أوهم علي بن أبي طالب، ثمّ الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم علي بن موسى، ثمّ محمد السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمد بن علي، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمد بن علي، ثمّ علي بن علي، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسن بن علي، ثمّ علي بديه مشارق الارض ومغاربها...»(۲).

⁽١) سورة النساء: ٥٩.

⁽٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج١، ص ٢٥٣ باب ٢٣ ح٣.

دلالات حديث السفينة

ورد عن النبي عَلَيْه بعِدّة ألفاظٍ كلّها تُشبّه أهلَ بيته على بسفينة نوح، وأنَّ من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وأحد ألفاظ هذا الحديث ما ورد عنه عَلَيْه: «يا علي مثلك في أمتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».(١)

هناك عدة وجوه نذكر منها التالي:

١/كلتا السفينتين وُجدَت بأمر الله عَلَى :

فكما أنَّ صنع السفينة من قبل نوح هم لم يكن من تلقاء نفسه، وإنَّما بأمرٍ ووحيٍ من الله وي وي الله وي قوله (عزَّ من قائل): ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا الله وي قوله (عزَّ من قائل): ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا الله وي الله وي

⁽١) الخصال للشيخ الصدوق ص٥٧٣/ أبواب السبعين. وفي لفظ آخر ما ورد عنه الله فيها رواه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا سلام الله عليه ج١ ص٠٣٠: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار».

⁽۲) هو د ۳۷

⁽٣) المؤمنون ٢٧

⁽٤) المائدة ٢٧

وقد اتفقت الروايات على أنَّ هذه الآية قد نزلت في يوم غدير خُم (١)، حيث جمع الرسول عَلَيْ الناس وقال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه».

وما يؤيد هذا المعنى ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: «لمّا كان رسول الله عليه بغدير خم، فنادى في الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسولَ الله وهو في مَلاً من أصحابه، على ناقة، حتى أتى المدينة فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، وأتى النبي على فقال: يا محمد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمّا فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلنا، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلنا، ثمّ لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضًا لته علينا؟ وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، وهذا شيء منك أم من الله؟ فقال على الله إلا هو أنه من أمر الله.

فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقول محمدٌ حقًا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر

⁽١) وقد اتفقت الشيعة الإمامية على نزول الآية في يوم غدير خم، وافقهم على ذلك لفيف من المحدثين والمؤرخين، فقد ذكر الواقعة الطبري في تفسيره، كها رواها السيوطي في الدر المنثور عن جماعة من الحفاظ، منهم:

١ - الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي (المتوفى ٣٢٧ هـ).

٢ - الحافظ أبو عبد الله المحاملي (المتوفى ٣٣٠هـ).

٣ - الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي (المتوفى ٤٠٧ هـ).

٤ - الحافظ ابن مردويه (المتوفى ٧١٦هـ).

وغيرهم من أعلام الحديث والتاريخ، وقد جمع المحقق الأميني أسماء من روى نزول هذه الآية في يوم غدير خم من أصحاب السنة فبلغ ٣٠ رجلًا. [انظر: مفاهيم القرآن للشيخ جعفر سبحاني ج١٠ ص

دلالات حديث السفينة ٨٥

فسقط على هامته فخرج من دبره فقتله، وأنزل الله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ ﴿ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾»(١) ٢)

٢/كلٌ من النبي نوح النبي محمد عَلَيْ واجها الاستهزاء من قومهما بسبب سفينة النجاة.

فقد استهزأ قوم نوح به حتى نعتوه بالجنون، ولكنَّ ذلك لم يكن ليؤثر فيه أو يتسبب في تراجعه عن صنع سفينته، بل كان يتلذذ أيضًا؛ لعلمه ويقينه التام بأنَّ ما يفعله إنَّما هو بعين الله ، وقد قال (عزَّ من قائل): ﴿وَاصْنَع الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا﴾. (٣)

وقد واجه النبي على مثل هذا الأمر عندما نصّب أمير المؤمنين وذلك في حديث الدار، «يقول المفسرون: لما نزل قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرِبِينَ * وَاخْفِضْ الدار، «يقول المفسرون: لما نزل قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرِبِينَ * وَاخْفِضْ جَناحَكَ لَمِنِ النّبِعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ * (٤) أمر رسول الله على بن أبي طالب ان أن يُعد طعامًا ولبنًا، فدعا خمسة وأربعين رجلًا من وجوه بني هاشم، ولما فرغوا من الطعام تكلم رسول الله على فقال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتُن كما تنامون، ولتبعثُن كما تستيقظون، ولتحاسبُن بما تعملون، وإنها الجنة أبدًا أو النار أبدًا.

ثم قال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

⁽١) المعارج ١-٢.

⁽٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه/ محمد تقي المجلسي (الأول) ص ٢٤٥، ومناقب ابن شهر آشوب ج٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١.

⁽٣) هو د ٣٧.

⁽٤) الشعراء ٢١٤ - ٢١٥.

ولما بلغ النبي عليه إلى هذه النقطة، وبينها أمسك القوم وسكتوا عن آخرهم وأخذوا يفكرون مليًا في ما يؤول إليه هذا الأمر العظيم، وما يكتنفه من أخطار، قام علي فجأة، وهو آنذاك في الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، وقال وهو يخترق بكلهاته الشجاعة جدار الصمت والذهول: أنا يا رسول الله أكون وزيرك على ما بعثك الله.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع وجعله عليك أميرًا.

هـذا موجز ما ذكـره المفسرِّون والمحدِّثون حـول الآيــة، وفي صحاحهم ومسانيدهم».(١)

لذلك شجّع الله ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ اللهِ الأكرم اللهُ اللهُ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾. (٢)

٣/ لم يقتنع كل من قوم النبي نوح في وقوم النبي محمد علي بما أمرهم الله به في أمر سفينتهما.

فأما عدم قناعة قوم النبي نوح على فكما في قوله في: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ

⁽۱) انظر: مفاهيم القرآن للشيخ جعفر سبحاني ج ۱۰ ص ۱۰۹ – ۱۱۰، نقل هذه الحادثة عن: تاريخ الطبري: ۲/ ۲۲ – ۲۳، الكامل في التاريخ: ۲/ ۶۰ – ۲۱، مسند أحمد: ۱/ ۱۱۱، شرح نهج البلاغة: ۱/ ۲۱۰ – ۲۱۰.

⁽٢) المائدة ٧٧.

دلالات حديث السفينة ٨٧ ////

مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾. (١)

واما قوم النبي محمد على فاعتهم وسخريتهم بأمر تنصيب الإمام على الله في حديث الدار المذكور آنفًا.

٤/انحصار النجاة بالسفينتين فقط، كل منهما في زمنها.

فقد حدثنا القرآن الكريم عن أنَّ الحل الوحيد في النجاة من الهلاك كان منحصرًا في السفينة التي صنعها نوح هذه ولم يكن حتى لمثل الجبل أن يُجدي في النجاة!

قال ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا المُوْجُ فَكَانَ مِنَ المُعْرَقِينَ ﴾ (٢)

فكان مصير كل من تخلّف عنها الهلاك بما فيهم ابنه!

والأمر مشابةٌ لذلك تمامًا بالنسبة إلى أهل البيت الله الوحيد للخلاص من الضلالة والهلاك الدنيوي ومن ثم الآخروي، فقد روي عن الإمام الرضاف أنّه قال: رسول الله الله الله وما العروة الوثقى؟ قال: ولاية سيد الوصيين، بالعروة الوثقى؟ قال: ولاية سيد الوصيين، قيل: ومن سيد الوصيين؟ قال: أمير المؤمنين، قيل: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين؟ قال: مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قيل: يا رسول الله من مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قيل: يا رسول الله من مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قبل: يا رسول الله من مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قبل: يا رسول الله من مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قبل: يا رسول الله من مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قبل: يا رسول الله من مولى المسلمين وإمامهم بعدك؟ قال: أخي على بن أبي طالب». (٣)

وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قلت: يا رسول الله، أرشدني إلى النجاة، فقال: «يا

⁽۱) هو د ۳۸

⁽۲) هو د ۲۲ – ۲۳

⁽٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٦ ص ٢٠.

ابن سمرة، إذا اختلفت الأهواء، وتفرقت الآراء، فعليك بعلي بن أبي طالب، فإنه إمام أمتي، وخليفتي عليهم من بعدي، وهو الفاروق الذي يميز بين الحق والباطل، من سأله أجابه، ومن استرشده أرشده، ومن طلب الحق من عنده وجده، ومن التمس الهدى لديه صادفه، ومن لجأ إليه آمنه، ومن استمسك به نجاه، ومن اقتدى به هداه».(١)

ه/الكلُّ محتاج إلى السفينتين، كل في زمنها.

ولا غرو في ذلك طالما كانت كل من السفينتين المنجى الوحيد لمن عاصر زمنها من المكلفين، ففي زمن النبي نوح على كان هو فقط وفقط السفينة، اذ كان الكلُّ محتاجًا اليها لتُنجيه من الغرق، وكذلك أهل البيت على كان ولازال الكلُّ محتاجًا إليهم، إذْ لم يستغنِ عنهم أحدُّ أبداً، فكم من مرةٍ قال عمر بن الخطاب: «لولا على لهلك عمر»(١)، وقال عنه عثمان «لولا على لهلك عثمان»(١) وقال عنه عمر «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»(١)...

⁽١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٧٨ ح ٥٤/ ٣.

⁽٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢ ص ١٧٩ وغيره من المصادر.

⁽٣) الغدير للشيخ الأميني ج٨ ص ٢١٤ قال: أخرج الحافظ العاصمي في كتابه (زين الفتى في شرح سورة هل أتى) من طريق شيخه أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد يرفعه: أن رجلا أتى عثمان بن عفان وهو أمير المؤمنين وبيده جمجمة إنسان ميت فقال: إنكم تزعمون النار يعرض على هذا و إنه يعذب في القبر وأنا قد وضعت عليها يدي فلا أحس منها حرارة النار. فسكت عنه عثمان وأرسل إلى على بن أبي طالب المرتضى يستحضره، فلما أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال للرجل: أعد المسألة. فأعادها، ثم قال عثمان بن عفان: أجب الرجل عنها يا أبا الحسن! فقال على: ايتوني بزند وحجر. والرجل السائل والناس ينظرون إليه فأتي بها فأخذهما وقدح منهما النار، ثم قال للرجل: ضع يدك على المزند. فوضعها عليه فقال: هل أحسست منهما حرارة النار فبهت الرجل فقال عثمان: لو لا على لهلك عثمان.

⁽٤) في أنساب الأشراف للبلاذري ج٢ ص ١٠٠ ح ٢٩ - حدثني إسحاق بن الحسين، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، عن مؤمل ابن إسماعيل عن سفيان بن عيينة، عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب

دلالات حديث السفينة ٨٩ ////

وهو أمرٌ ثابت، وعلى من يشكك فيه مراجعة كتب العامة، كما أنَّ أبا بكر عندما استولى على الخلافة كان أول أقواله: لست بخيركم. (١)

وعندما سئلَ عن الكلالة، قال: أقول فيها برأيي فإنْ اصبتُ فمن الله وإنْ أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان.(٢)

وأما أمير المؤمنين على فقد كان يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلاَّنَا بِطُرُقِ الطَّرُقِ الأَرْضِ». (٣)

وقد كان الكلُّ محتاجًا إليهم الله والروايات في هذا المجال كثيرة، فقد روي أنَّ عبد الملك بن مروان واجه مشكلة بينه وبين ملك الروم حول طباعة شعار الكفر (الاب والابن وروح القدس) على العملة النقدية المتداولة في الدولة الإسلامية والتي كانت تُسك في بلاد الروم، فأراد عبد الملك أنْ يُغيِّر الشعار ورفض ملك الروم ذلك، وضرب حصارًا اقتصاديًا على البلاد الإسلامية، فوقع حينها عبد الملك في حيرة كبيرة، لم يُخرجه منها إلا الإمام الباقر الله بناءً على اقتراح أحد وزرائه، فبعث إلى الإمام الباقر

قال: قال عمر: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن.

⁽۱) في كنز العمال للمتقي الهندي ج٥ ص ٦٣١ ح (١٤١١٢) عن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر الغد حين بويع فخطب الناس فقال: يا أيها الناس إني قد أقتلكم رأيكم إني لست بخيركم فبايعوا خيركم.

⁽٢) في الإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ٢٠١: وسئل أبو بكر عن الكلالة فقال: أقول فيها برأيي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان. فبلغ ذلك أمير المؤمنين فقال: ما أغناه عن الرأي في هذا المكان! أما علم أن الكلالة هم الإخوة والأخوات من قبل الأب والأم، ومن قبل الأب على الفراده، ومن قبل الأم أيضا على حدتها، قال الله عز قائلا: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ المُرُوِّ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُو يَرِثُهُا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ﴾.

وَقَال جلت عظمته: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

⁽٣) نهج البلاغة ج٢ ص ١٣٠.

يترجاه ويتوسل إليه بأنَّ أمَّة النبي عَلَيه في خطر، عندها علَّمهم الإمام الباقر على كيفية سكِّ النقود وبأوزانٍ خاصة، وطبعوا عليها سورة التوحيد من جهة والشهادتين من الجهة الثانية. (١)

(١) في حياة الحيوان للدميري ج١ ص ٩٥ - ٩٧: قال الكسائي: دخلت على الرشيد ذات يوم، وهو في ديوانه، وبين يديه مال كثير، قد شق عنه البدر شقا. وأمر بتفريقه في خدمه الخاصة، وبيده درهم تلوح كتابته، وهو يتأمله وكان كثيرا ما يحدثني، فقال: هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة؟ قلت: يا سيدي هو عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي، غير أنه أوّل من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصر انيا على دين ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية، وكان طرازها أبا وابنا وروحا، فلم يزل ذلك كذلك صدر الإسلام كله، يمضي على ما كان عليه، إلى أن مَلَكَ عبد الملك بن مروان، فتنبه له، وكان فطنا فبينها هو ذات يوم، إذ مربه قرطاس، فنظر إلى طرازه، فأمر أن يترجم بالعربية، ففعل ذلك فأنكره، وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام، أن يكون طراز القراطيس، وهي تحمل في الأواني والثياب، وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد، على سعته وكثرة ماله، والبلد يخرج منه هذه القراطيس تدور في الآفاق والبلاد، وقد طرزت بسطر مثبت عليها، فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز ابن مروان، وكان عامله بمصر، بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأمر صناع القراطيس، أن يطرزوها بصورة التوحيد: شهد الله أن لا إله إلا هو، وهذا طراز القراطيس خاصة، إلى هذا الوقت، لم ينقص ولم يزد ولم يتغير، وكتب إلى عمال الآفاق جميعا بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع، والحبس الطويل. فلما ثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد، وحمل إلى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم وترجم له ذلك الطراز، فأنكره وغلظ عليه واستشاط غيظا، فكتب إلى عبد الملك: أن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم، إلى أن أبطلته فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيها شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه، في جميع ما كان يطرز من أصناف الأعلاق، حاجة أشكرك عليها، وتأمر بقبض الهدية، وكانت عظيمة القدر. فلم قرأ عبد الملك كتابه، رد الرسول وأعلمه أنه لا جواب له، ورد الهدية فانصر ف مها إلى صاحبه، فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك، وقال: إني ظننتك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي، دلالات حديث السفينة السفينة

فأضعفت الهدية وإني أرغب إليك إلى مثل ما رغبت فيه، من رد الطراز إلى ما كان عليه أولا. فقرأ عبد الملك الكتاب، ولم يجبه ورد الهدية فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي، فتوهمتك استقللت الهدية، فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح، لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه، أو لأمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها شتم نبيك فإذا قرأته أرفض جبينك عرقا فأحب أن تقبل هديتي، وترد الطراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها، ونبقى على الحال بيني وبينك. فلها قرأ عبد الملك الكتاب، صعب عليه الأمر وغلظ، وضاقت به الأرض، وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأني جنيت على رسول الله علي من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم، فلم يجد عند أحد منهم رأيا يعمل به، فقال له روح بن زنباع: إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه، فقال: ويحك من؟ فقال: عليك بالباقر من أهل بيت النبي سَنَّهُ! قال: صدقت، ولكنه ارتج على الرأي فيه فكتب إلى عامله بالمدينة أن أشخص إلى محمد بن على بن الحسين مكرما ومتعه بائة ألف درهم لجهازه، وبثلاثهائة ألف لنفقته، وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه، من أصحابه، وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن على فلما وافاه، أخبره الخبر، فقال له محمد رحمه الله تعالى: لا يعظم هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أن الله، لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم، في رسول الله عَلَيْهُ، والأخرى وجود الحيلة فيه. قال: وما هي؟ قال: تدعو في هذه الساعة بصناع، فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها صورة التوحيد، وذكر رسول الله عليه، أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما عددا من الأصناف الثلاثة، التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعا إحدى وعشرين مثقالا، فتجزئها من الثلاثين، فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل. وكانت الدراهم، في ذلك الوقت، إنها هي الكسروية [نسبة إلى كسرى ملك الفرس]، التي يقال لها اليوم البغلية، لأن رأس البغل ضربها لعمر رضى الله تعالى عنه، بسكة كسروية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية «نوش خور» أي كل هنيئا. وكان وزن الدرهم منها، قبل الإسلام، مثقالا والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل، والعشرة وزن خمسة مثاقيل، هي السمرية والخفاف والثقال، ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك، وأمره محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها. وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل و ترد إلى مواضع العمل، حتى تعاد إلى السكك الإسلامية ففعل عبد الملك ذلك.

ورد رسول ملك الروم إليه بذلك بقوله: إن الله الله مانعك مما قد أردت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا، وبإبطال السكك والطروز الرومية. فقيل لملك الروم إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب، فقال: إنها أردت أن أغيظه بها كتبت إليه لأني كنت قادرا عليه، والمال وغيره برسوم الروم، فأما الأن فلا أفعل، لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام، وامتنع من الذي قال. وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين رضى الله تعالى عنه إلى اليوم.

وقد علق المرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي هذه الرواية في مقال له بعنوان (ضرب النقود في الإسلام) بقوله ما نصه:

إن هذه الرواية تقول: إن الإمام الباقر هو الذي أمر عبد الملك بذلك. و إن روح بن زنباغ إنها أشار على عبد الملك به.. و هذا غير معقول؛ لأن البعض يقول: إن عبد الملك قد ضرب النقود سنة ٧٤ على عبد الملك به.. و هذا غير معقول؛ لأن البعض يقول: إن عبد الملك قد ضرب النقود سنة ٧٤ و العقد [فتوح البلدان ـ للبلاذري: قسم ٣ ص ٧٥ و و ٥٧٥، و التراتيب الإدارية: ج ٣ ص ٥٤٠، و المنير: ج ١ ص ٤٤٠)، والبعض الآخر يقول: إنه ضربها في سنة ٥٧ه [مآثر الانافة: ج ٣ ص ٥٤٠، و تاريخ الخلفاء: ص ٢١٨، و البحر الزخار: ج ٣ ص ٥٠ عن التخليص عن ابن سعد في الطبقات، و تاريخ الخلفاء: ص ٢١٨ و ٢٢٤ عن الطبقات، وعن المدائني.]، وفريق ثالث يرى أن ذلك كان في التراتيب: ج ١ ص ٢١٨ و ٢٢١ عن الطبقات، وعن المدائني.]، وفريق ثالث يرى أن ذلك كان في سنة ٢٧ه، و قال البلاذري: «عبد الملك بن مروان أول من ضرب الذهب و الورق بعد عام الجهاعة» [فتوح البلدان ـ للبلاذري القسم الثالث: ص ٢٧٥]، وعلى كل حال فإنهم متفقون على أن ضرب عبد الملك للنقود كان ما بين الـ ٤٧و٧٧ وعليه فإننا إذا ما أضفنا إلى ذلك: أن ولادة الباقر ك كانت في سنة الملك للنقود كان ما بين الـ ٤٧و٧٧ وعليه فإننا إذا ما أضفنا إلى ذلك: أن ولادة الباقر ك كانت في سنة الملك للنقود كان ما بين الـ ٤٧و٧٧ وعليه فإننا إذا ما أضفنا إلى ذلك: أن ولادة الباقر ك كانت في سنة وفاة والده زين العابدين ك كانت سنة ٤٤ هـ.

فإننا سنرى: أن عُمْرَ الباقر حين ضرب النقود كان ما بين ١٧ و ١٩ سنة ؛ فهو في مقتبل عمره؛ و لم يكن له بعد من الشهرة ما يغطي على شهرة أبيه، و لا من الشخصية ما يضارع شخصيته، و لا كان ذكره قد سار في الآفاق بحيث يغطي على أبيه، إلى حد أن يهمل أمره، و تذهب منزلته لا سيها و أن أباه كان يتمتع باحترام كبير جداً، و شهرة واسعة، فاقت كل ذلك الذي منحه الناس و بالأخص الأمويون لأي من أبنائه، بل و حتى آبائه الطاهرين.

فالظاهر: أن صاحب هذه القضية مع عبد الملك هو الإمام زين العابدين بالذات، و ليس هو الإمام الباقر هي.

دلالات حديث السفينة السفينة

وفي زمن الإمام الهادي الاعت امرأة أنّها زينب بنت علي الله ، فاضطر المتوكل أنْ يبعث إلى الإمام الهادي ، فحلَّ الإمام الإمام الإمام الإمام الإمام الإمام الإمام الإمام الإمام الله وكان أمير المؤمنين فإنَّ لحوم بني فاطمة الله فحرّمة على السباع، فسمع المتوكل ذلك وكان يتحين الفرص لقتل الامام الهادي ، وكان عنده سباع فجوّعها، وطلب من الإمام الهادي أن ينزل أولًا، فنزل الإمام، وإذا بالأسود جاءت وسجدت عند الإمام

قال الصعدي: «قال في الانتصار: و أول من ضرب الدراهم في الإسلام عبد الملك بن مروان سنة خمس و سبعين من الهجرة، و كان السبب في ذلك: أن القرطاس كان يحمل إلى الروم، و كان يكتب على عنوانه: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فشق ذلك على صاحب الروم لما كان كافراً؛ فكتب إلى عبد الملك: أما أن تزيلوا ما تكتبون على القرطاس، أو يأتيكم على الدراهم ما تكرهون. فتحير عبد الملك في الجواب؛ فاستحضر علي بن الحسين زين العابدين؛ فاستشاره في ذلك. فقال: حَرِّم التبايع إلا بها تضربه من الدراهم، فبطل بذلك كيد صاحب الروم. فأمر أن يكتب عليها فقل هُوَ الله أحد السورة غيظاً للروم» انتهى، و في الشفاء نحو حديث الدراهم [راجع: جواهر الأخبار و الآثار - المطبوع بهامش البحر الزخار: ج٣ ص١٥٠]

و قد صرح بذلك الشهيد رحمه الله في البيان، في باب زكاة النقدين، حيث قال: «و الدنانير في الدينار بزنة المثقال، و هو لم يختلف في الإسلام و لا قبله، و في الدرهم: ما استقر عليه في زمن بني أمية بإشارة زين العابدين الخ..» [البيان: ط هجرية ص١٨٥]. و حكى في الوسائل ذلك عنه في الذكرى.

كما أن صاحب الجواهر قد صرح في كتاب الزكاة، في مسألة أن عشرة دراهم سبعة مثاقيل: بأن ذلك كان بإشارة زين العابدين .

و قال ابن كثير وهو يتحدث عن السجاد: «و قد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق، فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه في أمر السكة، و طراز القراطيس».[البداية و النهاية: ج٩ ص١٤٤].

و يؤيد ذلك: ان في بعض نسخ المحاسن و المساوئ قوله: «الباقي من أهل بيت النبي». بدل: الباقر من... الخ.. و قوله: إلى موافاته علياً؛ فلم وافاه أخبره الخبر؛ فقال له علي الخ.. بدل قوله: موافاة محمد بن علي.. و فقال له محمد بن علي الخ. [العقد المنير: ج١ ص٧٢/ ٧٣]..

لكن باقى ما في الرواية بقى على حاله.

و بعد كل الذي قدمناه نقول: إن كون زين العابدين هو المشير على عبد الملك هو الحق الذي لا محيص عنه.

الهادي ها، وعند ذلك رأت المرأة ما رأت قالت: يا بن رسول الله أنا أتوب على يديك فأنا امر أة محتاجة...(١)

(١) في الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ج١ ص ٤٠٦ روي أن أبا هاشم الجعفري قال: ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدعى أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله عَيالة فقال لها المتوكل: أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت وفاة رسول الله عَلَيْ ما مضى من السنين. فقالت: إن رسول الله عَلَيْ مسح على رأسي وسأل الله أن يرد على شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس إلى هذه الغاية، فلحقتني الحاجة فصرت إليهم. فدعا المتوكل كل مشايخ آل أبي طالب، وولد العباس وقريش فعرفهم حالها. فروي جماعة وفاة زينب [بنت فاطمة عليه] في سنة كذا، فقال لها: ما تقولين في هذه الرواية؟ فقالت: كذب وزور، فإن أمرى كان مستورا عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت. فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟ قالوا: لا. قال: أنا برئ من العباس إن [لا] أنزلها عما ادعت إلا بحجة [تلزمها]. قالوا: فأحضر [على بن محمد] ابن الرضا - الله فلعل عنده شيئا من الحجة غير ما عندنا. فبعث إليه فحض فأخيره المرأة. فقال: كذبت فإن زينب توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا. قال: فإن هؤلاء قد رووا مثل هذه الرواية وقد حلفت أن لا أنزلها عما ادعت إلا بحجة تلزمها. قال: ولا عليك فههنا حجة تلزمها وتلزم غيرها. قال: وما هي؟ قال: لحوم ولد فاطمة محرمة على السباع، فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرها [السباع]. فقال لها: ما تقولين؟ قالت: إنه يريد قتلي. قال: فههنا جماعة من ولد الحسن والحسين علي فأنزل من شئت منهم. قال: فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع. فقال بعض المتعصبين: هو يحيل على غيره، لم لا يكون هو؟ فمال المتوكل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع. فقال: يا أبا الحسن لم لا يكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك. قال: فافعل! قال: أفعل [إن شاء الله]. فأتى بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسد. فنزل [الامام] أبو الحسن على إليها، فلما دخل وجلس صارت [الأسود] إليه، ورمت بأنفسها بين يديه، ومدت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه. فجعل يمسح على رأس كل واحد منها بيده، ثم يشير له بيده إلى الاعتزال فيعتزل ناحية، حتى اعتزلت كلها وقامت بإزائه. فقال له الوزير: ما كان هذا صوابا، فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر خبره. فقال له: أبا الحسن ما أردنا بك سوءا وإنها أردنا أن نكون على يقين مما قلت، فأحب أن تصعد. فقام وصار إلى السلم وهي حوله تتمسح بثيابه. فلم وضع رجله على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع. فرجعت وصعد فقال: كل من زعم أنه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس. فقال لها المتوكل: انزلي. قالت: الله الله ادعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضرعلي ما قلت. فقال [المتوكل]: ألقوها إلى السباع، فبعثت والدته واستو هبتها منه وأحسنت إليها. ٦/كلتا السفينتين آوت كلُّ من لجأ إليها وأنجته من الهلاك.

وقد قصَّ الله و قصة سفينة نوح على حيث آوت كل من لجأ اليها ولم تترك أحدًا ممن آمن بقائدها وبرسالته ليغرق ويموت في الدنيا أو يحترق بنار جهنم في الآخرة، قال المحتقى إذا جاء أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنَا المُحِلْ فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ الله بَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبُ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ * قالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الله عِقلَ لا يَعْصِمُنِي مِنَ الله عِقلَ لا يَعْصِمُ الله عَوْرَا الله إلَّا مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَيْنَهُمَا المُوْجُ فَكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ * (1)

وهكذا هم أهل البيت فقد كانوا ولازالوا يُمثلون الإسلام الحقيقي الذي بولايتهم كمُلَ، فإن تكلّمنا عن أهل البيت فإنّا نكون قد تكلّمنا عن الإسلام، فهم كانوا النعمة السابغة التي عمّت الجميع، وكانوا يسيرون على هدى رسول الله على الذي قال فيه القرآن الكريم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وفي آيةٍ أخرى ﴿ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالِمَينَ ﴾ (٣)

لذا كان أهل البيت الله رحمة عامة للعالمين، فتجدهم يحاولون أنْ يهدوا كل من لخأ إليهم، سواء كان جاهلًا أو عالمًا أو يدّعي الإسلام أو يهوديًا أو نصرانيًا بل وحتى إنْ كان زنديقًا ومُلحدًا.

⁽۱) هو د ۲۰ – ۲۳.

⁽٢) سبأ ٢٨.

⁽٣) الأنبياء ١٠٧.

٧/وحدة القيادة في كل من السفينين.

فكما كان القائد الوحيد للسفينة هو النبي نوح على وكل شيءٍ في السفينة يرجع إليه، كان القائد لأهل البيت على السول الأكرم على الله وهم بلسانهم كانوا يصرحون بأنَّ كلُّ ما عندهم هو من عند رسول الله عَيْلَةَ.

فقد روي عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمِ وحَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ وغَيْرِه، قَالُوا: سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ الله عَلْ يَقُولُ: «حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي، وحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي، وحَدِيثُ جَدِّي، الْحُسَيْنِ ﷺ، وحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحُسَنِ اللَّهِ، وحَدِيثُ الْحُسَنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَالَيْهِ وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ اللهَ عَلَيْهُ، وَحَدِيثُ رَسُولِ اللهَ عَلَيْهُ قَوْ لُ الله عِلَى . (١)

وعن جابر قال: قال أبو جعفر ﷺ: «يا جابر، لو كنا نفتى الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بآثار من رسول الله ﷺ وأصول علم عندنا، نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم».(٢)

٨/كلتا السفينتين كانت فاتحة عهد جديد.

فأما سفينة نوح ﷺ فقد أبقت المؤمنين فقط على وجه البسيطة، حتى كُنيَ نوحٌ ﷺ بـ (الأبِ الثاني للبشر)، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قائلًا: ﴿ فُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوح ﴿ ١٣٠٠

وكذلك هم أهل البيت الله فقد فتحوا عهدًا جديدًا؛ وذلك من جهاتٍ عديدة: الجهة الأولى: فتحوا عهدًا جديدًا في الخلافة؛ إذْ لم يكن خليفةً فيها سبق إلا وهو

⁽١) الكافي للكليني ج ١ ص ٥٣ بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ والخَدِيثِ وفَضْل الْكِتَابَةِ والتَّمَسُّكِ بِالْكُتُبِ ح ١٤. (٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٢٠ باب ١٤ ح ٤.

⁽٣) الإسماء ٣

دلالات حدیث السفینة السفینة

نبي، وأما الأئمة عليه فليسوا بأنبياء؛ لأنَّ النبوّة خُتِمت بالرسول الخاتم عَليَّة.

الجهة الثانية: كانت سفينة نجاة الأمة الإسلامية (أهل البيت عليه) فاتحة عهد جديد؛ لأنها أكملت الدين الإسلامي، حيث لم تنزل آية إكمال الدين وإتمام النعمة إلا بعد تبليغ الرسول الأكرم على المسلمين بولاية أمير المؤمنين في غدير خُم.

الجهة الثالثة: كانت إمامة أهل البيت هي الخاتمة لجميع الخلافات والوصايات لجميع الأنبياء، فإنَّ الإمام المهدي الله على الأوصياء.

٩/ لم يركب السفينتين إلا خلفاء الأرض، كلُّ في زمنه.

فقد صرَّح القرآن الكريم بأنَّ الذين ركبوا سفينة نوح هم كانوا خلفاء الأرض، يقول ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا يقول ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ المُنْذَرِينَ ﴾ (١) وكذلك القرآن الكريم يؤكد أنَّ خلفاء أهل الأرض هم أهل البيت عليه ومن تبعهم، إذْ قال: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ﴾ (١)

وقد روي عن أمير المؤمنين في تفسيرها: هم آل محمد الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم. (٣)

فكما أنَّ من ركب سفينة نوح في ورث الأرض، فكذلك من ركب سفينة أهل البيت الله سيرث الأرض ولو بعد حين.

١٠/قلة من ركب كلًا من السفينتين.

يُصرِّح القرآن الكريم بأنَّ الذين آمنوا بنوحٍ اللهِ كانوا قليلاً، قال تعالى: ﴿مَا آمَنَ

⁽۱) يونس ٧٣.

⁽٢) القصص ٥.

⁽٣) الغيبة للطوسي ص ١٨٤ ح ١٤٣.

مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (١)، وهم ثمانية (٢)، وروي أنَّهم ثمانون في أكثر الاحتمالات (٣).

وكذلك الذين يؤمنون بأهل البيت (سلام الله عليهم) فإنَّ نسبتهم إلى المسلمين عمومًا لا تصل حتى إلى الربع، وهي نسبة ضئيلة، بل حتى من يدّعون التشيّع أنفسهم، كم منهم اتبع أهل البيت المالية حقًا؟!

فعَنْ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ ﴿ يَقُولُ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ بِوَلَايَتِنَا مُؤْمِنِينَ ». (٤)

وعن أمير المؤمنين (ولم يخل أرضه من عالم بها يحتاج إليه الخليقة، ومتعلم على سبيل النجاة، أولئك هم الأقلون عدداً، وقد بين الله ذلك في أمم الأنبياء وجعلهم مثلا لمن تأخر، مثل قوله في قوم نوح (و هما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٥٠) (١٠)

١١/الارتباط بكلُّ من سفينتي النجاة ارتباط عقائدي لا نُسَبي.

فكما أنَّ النجاة انحصرت بمن ارتبط بسفينة نوص التباطًا عقائديًا لا نسبيًا، يشهد على ذلك هلاك ابن نوح في قوله في: ﴿وَنادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِكَ إِنَّا ابْنِي مِنْ أَهْلِكَ إِنَّا ابْنِي مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحُقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحُاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ عَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَّاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُودُ بِكَ أَنْ أَسْئَلُكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ *. (٧)

⁽۱) هود: ۲۰.

⁽٢) عن حمران، عن أبي جعفر هَ في قول الله ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾، قال: «كانوا ثمانية». (معانى الأخبار للصدوق: ١٥١/ باب معنى القليل/ ح ١).

⁽٣) راجع: تفسير مجمع البيان للطبرسي ٥: ٢٧٩.

⁽٤) الكافي للكليني ج٢ ص ٢٤٤ بَابٌ في قِلَّةِ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ ح٧.

⁽٥) هود: ٤٠

⁽٦) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص ٣٦٨.

⁽۷) هوده ۶ – ۲۷

أتحرقني بالناريا غاية المنى فأين رجائي ثم اين محبَّني أيت عبَّني أيت عبَّني أيت عبَّني أتيت ومافي الورىٰ خلقٌ جنىٰ كجنايتي

ثمّ بكىٰ وقال: «سبحانك تُعصىٰ كأنّك لا ترىٰ، وتحلمُ كأنّك لم تُعْصَ، تتودّد إلىٰ خلقك بحسن الصنيع كأنَّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيّدي الغنيُّ عنهم».

ثمّ خرَّ إلىٰ الأرض ساجداً، فدنوت منه وشلتُ رأسه ووضعته علىٰ ركبتي وبكيت حتَّىٰ جرت دموعي علىٰ خدِّه، فاستوىٰ جالساً وقال: «من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربي؟!».

فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أنْ نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون! أبوك الحسين بن عليٍّ، وأُمُّك فاطمة الزهراء، وجدُّك رسول الله.

فالتفت إليَّ وقال: «هيهاتَ هيهاتَ يا طاووس، دع عنّي حديث أبي وأُمّي وجدّي، خلق الله الجنَّة لمن

⁽١) المؤمنون ١٠١.

⁽٢) في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ج ٣/ ص ٢٩١ و٢٩٢): عن طاووس الفقيه، قال: رأيت الإمام زين العابدين على يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فليّا لم يرَ أحداً رمق السياء بطرفه وقال: «إلهي غارت نجوم سهاواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدّي محمّد في عرصات القيامة»، ثمّ بكى، وقال: «وعزّتك وجلالك، ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكٌ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترُك المرخى به عليّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، وبحبل من اعتصم إنْ قطعت حبلك عني، فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين: جوزوا، وللمثقلين: حطُّوا، أمع المخفّين أجوز أم مع المثقلين أحطُّ؟ ويلي كلّما طال عمرى كثرت خطاياى ولم أتب، أمّا آن لي أنْ أستحى من ربي؟»، ثمّ بكيٰ، ثم أنشأ يقول:

١٢/ركوب كلِّ من السفينتين لا يعصم من الذنوب.

لم يُعصم من الذنب والخطأ أو من دخول جهنم كلُّ من ركب سفينة نوح المجرد ركوبه السفينة، وبعبارة منطقية: ركوب السفينة لم يكن علةً تامة لدخول الجنة والعصمة من الخطأ، بل كان مقتضيًا لدخول الجنة مع لزوم رفع الموانع.

وكذلك من آمن بأهل البيت الله لا يكفيهم مجرد ادعاء مودتهم ومحبتهم، بل لا بد من طاعتهم، روي أنه قال رجل للحسن بن علي الله أنا من شيعتكم. فقال الحسن بن علي الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها! لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم، ومعادي أعدائكم، وأنت في خير، وإلى خير». (۱)

إن حديث السفينة يلزمنا بطاعة أهل البيت الذلك روي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق السفينة قال: «امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظُهم لها عند عدوِّنا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها»(۱).

وعن أبي عبد الله هي، قال: «ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء: لا يكون فيهم من يسأل بكفِّه، ولا يكون فيهم بخيل، ولا يكون فيهم من يُؤتى في دُبُره». (٣)

أطاعه وأحسن ولو كان حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيِّداً قرشياً، أمَا سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِحَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئْذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، والله لا ينفعك غداً إلَّا تقدمة تُقدِّمها من عمل صالح».

⁽١) التفسير المنسوب للإمام العسكري على ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ح ١٥٣.

⁽٢) الخصال للشيخ الصدوق (ص ١٠٣/ ح ٦٢).

⁽٣) الخصال للشيخ الصدوق: ص ١٣١.

دلالات حديث النجوم

ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله عَلَيْهُ: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمانٌ لأهل السماء».(١)

وروي عن النبي على النبوم أمان لأهل السهاء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبتِ النجوم أتى أهل السهاء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون». (٢)

وروي عن رسول الله على: «إنَّ النجوم في السهاء أمان من الغرق، وإنَّ أهل بيتي أمان لأمتي من الضلالة في أديانهم لا يهلكون فيها مادام فيهم من يتبعون هديه وسنته». (٣)

وروي عن الإمام علي ﴿ أَلَا إِنَّ مثل آل محمدٍ لَيَ اللهُ عَنْ السَّاء إذا خوى (غاب) نجمٌ طلع نجم». (٤)

⁽١) ينابيع المودة ج١ ص٧٧.

⁽٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص١٢٣ و١٢٤.

⁽٣) التفسير المنسوب للإمام العسكري على ص ٥٤٦.

⁽٤) نهج البلاغة لأمير المؤمنين على ج١ ص١٩٤.

دلالات حديث النجوم

على الرغم من قصر تراكيب حديث النجوم وقلة ألفاظه إلا أنَّه يحمل من الدلالات المهمة ما يحمل، وبيانه بالتالى:

أولًا: دلالة فوائد النجوم:

للنجوم فوائد عديدة ذكرها القرآن الكريم في آياته المباركة أبرزها:

١/الهداية.

كما في قوله، ﴿ وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾. (١)

فقد كانت النجوم وسيلة مهمة لهداية الناس فيما مضى إلى الاتجاهات، حيث لم تكن الآلات الحديثة والخرائط البحرية متوفرة، فكانوا يهتدون من خلال النجوم، لاسيما أولئك الذين يسافرون عبر البحار أو الصحاري، إذ كان بعضها يُشير إلى بعض الاتجاهات، فالدب القطبي دائمًا يُشير إلى جهة الشهال، فإن كان خلف الشخص علم أنّه متجه نحو الجنوب، والعكس بالعكس، وبذا يستطيع أيضًا أنْ يعرف المشرق والمغرب؛ لذلك عبّرت بعض الأحاديث أنّ النجوم أمانٌ للناس من الغرق، وقد بلغ اعتمادهم على النجوم في الاهتداء إلى السبيل الصحيح درجةً أنْ يتوقفوا عن الإبحار عندما تكون السماء ملبدةً بالغيوم؛ لأنهم من دونها لا يعرفون المقصد الذي يبغون إليه.

وتشبيه أهل البيت على بالنجوم يُشير إلى هذه الحقيقة، وهي عدم إمكان اهتداء الناس إلى الحق من دون التمسك بهم وبنهجهم على السيما في فتن الدنيا وكثرة السبل المتفرقة، حيث يكونون بأمس الحاجة إلى علامة توصلهم إلى الصراط المستقيم، والى الله ...

⁽١) النحل ١٦

دلالات حديث النجوم المنابع الم

وعَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا ﷺ عَنْ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قَالَ: نَحْنُ الْعَلَامَاتُ، والنَّجْمُ رَسُولُ الله يَئِلِيَّ. (٢)

وعن أمير المؤمنين على قال: ﴿ بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ ﴾. (٣)

وقد أشار الله تعالى في ايات عديدة عن فوائد النجوم منها قوله عز من قائل: ﴿ وَهُوَ اللَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُهَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.(٤)

٢/المنع من الضلال.

يصرح القرآن الكريم بأنَّ مهمة بعض النجوم هو رجم الشياطين، فهي رجومٌ للشياطين، فهي رجومٌ للشياطين، فإذا أراد شيطانٌ ما أنْ يطّلع على ما في السهاء من غيب، فهناك نجومٌ ترصدُ تحركاته وتمنعه من الوصول إلى ذلك، قال : ﴿إِنَّا زَيَّنَا السَّهاءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكُواكِبِ * وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ * لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الْأَعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ * وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ * إلَّا مَنْ خَطِفَ الخُطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ *. (٥)

إننا وإن لم نصل إلى فهم معنى وكيفية رصد النجوم للشياطين ودحرهم، ولكن

⁽١) الكافي للكليني ج١ ص ٢٠٦ بَابُ أَنَّ الأَثِمَّةَ هَاكُ هُمُ الْعَلاَمَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا الله ﴿ فِي كِتَابِهِ ح١.

⁽٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٠٧ بَابُ أَنَّ الْأَثِمَّةَ ﴿ هُمُ الْعَلاَمَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا الله ﴿ فِي كِتَابِهِ ح ٣.

⁽٣) نهج البلاغة ج١ ص ٣٨.

⁽٤) الأنعام ٩٧.

⁽٥) الصافات ٦ - ١٠.

علينا التسليم والأخذ به ولو تعبدًا، لنصّ القرآن الكريم على ذلك، فالنجوم تمثل مانعًا من توسع خط الضلالة، وهم الشياطين، وبذا يشبه أهل البيت النجوم؛ إذ إنّه مسلس يُمثّلون المانع الأقوى ضد حزب الشيطان وحزب الضلالة، فمن أراد أنْ يعرف المخرج من الفتن والشبهات فعليه أنْ يتمسك بأهل البيت الله.

ثانيًا: دلالة دوام البقاء ما بقيت الدنيا.

فكما أنَّ الله في قد قضى بوجود النجوم ما دامت السهاء، أي قضى باستمرار وجودها إلى يوم القيامة؛ لأنها الأمان لأهل السهاء، فإن انعدم وجودها هلكوا، فكذلك قد قضى أنْ يستمر وجود أهل البيت الله إلى يوم القيامة أماناً لأهل الأرض، فإن رُفِعوا منها ولو قليلًا من الزمن ساخت الأرض بأهلها، وهذا معنى ما روي متواتراً: لولا الإمام لساخت الأرض.

وهذا يدل على ضرورة وجود الإمام المهدي في لحظة استشهاد الإمام العسكري وحتى يومنا هذا وإلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور.

ثالثًا: دلالة دوام الهداية.

قد تقدّم أنَّ الله قد قضى بوجود النجوم أمانًا لأهل السماء، ومعلومٌ أنَّ وجودها لا ينفك عن هدايتها لبني البشر إلى سبيل الصواب دائمًا وأبدًا، وكذلك هم أهل البيت فإنَّ وجودهم لا ينفك عن هدايتهم لهم، إذ إنَّ هدايتهم للإنسان ليست بالمنقطعة أو المؤقتة بوقتٍ محدود، بل مستمرة إلى يوم القيامة، وفي أية لحظةٍ تنتفي فإنَّ الناس يضلون، وهذا دليلٌ واضحٌ على عدم إمكانية غصب إمامتهم وإن تمكن الظالمون من غصب بعض شؤونها ظاهرًا وهي الخلافة السياسية فقط. فهم الأئمة المفروضة طاعتهم على الأمة دائمًا وأبدًا، فإن نُحيّت عنهم الخلافة السياسية فذلك لأنَّ الأمة لم تطعهم ولم تقم بالواجب عليهم في ذلك، لا لأنهم الله فقدوا الإمامة أو غصبت تطعهم ولم تقم بالواجب عليهم في ذلك، لا لأنهم الملكانية فقدوا الإمامة أو غصبت

عنهم؛ لأن الإمامة منصبٌ إلهي لا يمكن غصبه كالنبوة تمامًا.

رابعًا: دلالة عصمة الهداية.

فالنجوم حيث إنها ثابتة في السهاء فإنها تهدي من يرجع إليها إلى سبيل الصواب دائمًا وأبدًا، ولا تخدعه يومًا أو توقعه في الخطأ ولو ساعةً ما؛ لأنَّ عصمتها تكوينية، فالله هو الذي جعلها وفق نظام ثابت خاص وهو نظام معصوم، وكذلك هي هداية أهل البيت معصومة لا يعتريها خطأ ولا يجوز عليها البتة، والحديث موضوع البحث، حيثُ إنه شبههم بالنجوم، فهو أحد الأدلة -أو على الأقل المنبهات - التي تثبت عصمتهم عليه. وتوجد غيره الكثير من الأدلة العقلية والنقلية بشقيها الآيات المباركة والروايات الشريفة.

خامسًا: دلالة التعاقب:

من الواضح جدًا أنَّ النجوم تتعاقب في البزوغ، أي تبزغ في السماء ثم تأفل، لكن كُلّما يأفل نجمٌ يبزغ نجمٌ آخر، وتشبيه أهل البيت النجوم له نفس المعنى حيثُ إنه كُلّما غابَ إمامٌ ظهرَ امامٌ آخر، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين في نهج البلاغة حيث قال: «أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ اللهِ كَمَثَلِ نُجُوم السَّمَاء، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ». (١)

سادسًا: دلالة عدم أو مانعية الخلو.

ونقصد بها أنه كما أنَّ النجوم لا تخلو منها السماء ولو لجزء من الثانية، إذ إنَّما موجودةٌ حتى في النهار -وإن لم نتمكن من رؤيتها- فضلًا عن الليل، فكذلك هم الائمة الله الله الله المرض ولو لجزء من الثانية، وهذا يشير إلى ضرورة أن يكون الإمام المهدي مولودًا وموجودًا واقعًا، وإنْ لم يظهر للناس في غيبته حتى يأذن الله

⁽١) نهج البلاغة ج١ ص ١٩٤.

في الوقت المناسب.

ومن الجدير بالذكر قول البعض بإمكانية رؤية النجوم نهارًا إذا ما نظر الناظر في البئر، فإنَّ ذلك مُشابهٌ لما يُقال من أنَّ رؤية الإمام المهدي وإن كانت غير متاحة للجميع إلا أنَّها تتاح عند توفر شروطٍ خاصة.

سابعًا: دلالة مجهولية الحقيقة.

في كثيرٍ من الأحيان لا يُمكننا أنْ ندرك غور النجوم حتى مع التلسكوبات الحديثة، حيث إنها تصل إلى غور السهاء إلى حدٍ معين من السنوات الضوئية وإنْ بلغت المليون أو أكثر لكنها تقف عند حدِّ معين لا يُمكننا معرفة حقيقة وغور النجوم بعده، وكذلك هي حقيقة أهل البيت (سلام الله عليهم) مجهولةٌ عندنا، فلا يستطيع أحدُ أنْ يُدركها، بل إنَّ أحاديثهم لا يُمكن لنا إدراكها تمام الإدراك، فكيف بحقيقتهم؟!

روي عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ: ﴿قَالَ رَسُولُ اللهَ ﷺ: إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يُؤْمِنُ بِه إِلَّا مَلَكُ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدُ امْتَحَنَ الله قَلْبَه لِلإِيمَانِ». (١)

وفي حديث الإمام الرضاها: «إن في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها؛ فتضلوا».(٢)

وأما حقيقتهم فمن بابٍ أولى لأنها مما لا يمكن إدراكه، ومن ذلك ما روي عن النبي على الله على الله وأنت، وما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا

⁽١) الكافي للكليني ج١ ص ٤١٠ بَابٌ فِيها جَاءَ أَنَّ حَدِيثَهُمْ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ح١.

⁽٢) عيون أخبار الرضاك للشيخ الصدوق ج١ ص ٢٦١ ح٣٩.

دلالات حديث النجوم المادي النجوم

الله وأنا». (١)

كما روي عن أبي عبد الله الله قال: « ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ الليلة فاطمة، والقدر الله تعالى، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها... » (٢)

في نعرفه نحن عن أهل البيت المالية مجرد خطوطٍ عامة وشعاعٍ يصلنا من نورهم، أما حقيقتهم فهي مجهولة بالنسبة لنا.

ثامنًا: دلالة عدم التعارض.

فكما لا تصادم بين النجوم في السماء، بل ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٣)، فكذلك هم أهل البيت على الله تصادم بينهم وبين أحاديثهم، لذلك كان هناك بحثُ طويل ومهم في علم الأصول يحلُّ مسألة التعارض الظاهري بين الأدلة؛ إذ لا يمكن أنْ يكون تعارض حقيقي بين أقوالهم عليه؛ فهم كالقرآن لا ينقض بعضه بعضًا، قال ؛ ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَ جَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ . (١)

بل ورد في أحاديث الأئمة على أمرٌ بردِّ الحديث إلى أهله فيها إذا جاء عنهم على الله حديث ولم يُعرف معناه او حلُّه، ومن ذلك ما روي عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَر هَا: (قَالَ رَسُولُ الله عَلَيْ: إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يُؤْمِنُ بِه إِلَّا مَلَكٌ مُقرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ الله قَلْبَه لِلإِيمَانِ، فَمَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَدِيثِ آلِ مُحَمَّدٍ هَا الله فَلاَنتْ لَه قُلُوبُكُمْ وَأَنْكُرْ مُحُوه وَرَدُ عَلَيْكُمْ وَأَنْكُرْ مُحُوه وَرُدُوه إِلَى الله فَلاَنتْ لَه قُلُوبُكُمْ وَأَنْكُرْ مُحُوه وَرَدُوه إِلَى الله فَلَانَتْ لَه قُلُوبُكُمْ وَانْكُرْ مُحُوه فَرُدُّوه إِلَى الله

⁽١) مختصر بصائر الدرجات للشيخ الحلي ص ١٢٥.

⁽٢) تفسير فرات الكوفي ص ٥٨١ ح ٧٤٧/ ٢.

⁽٣) الأنبياء ٣٣

⁽٤) النساء ٨٢

وإِلَى الرَّسُولِ وإِلَى الْعَالِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وإِنَّمَا اهُالِكُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْه لَا يَحْتَمِلُه، فَيَقُولَ: والله، مَا كَانَ هَذَا، واللهِ مَا كَانَ هَذَا، والإِنْكَارُ هُوَ الْكُفْرُ». (١)

ولذا فإن علماءنا في بعض الأحيان عندما يصلون إلى رواياتٍ صحيحة ولكن لا يجدون مخرجاً لها، فإنهم يقولون: هذا الحديث لا نُنكره ولكن نردُّ علمه إلى أهله، فإذا أدركنا الإمام الحجة على فإنَّه سيبين لنا ما اختلف فيه.

تاسعًا: دلالة وحدة المحور.

من المعلوم أنَّ كلَّ مجموعةٍ نجمية ترجع إلى محورٍ واحد، فمجموعتنا الشمسية مثلًا تدور حول الشمس، وكذلك هم أهل البيت الله فإنَّهم يدورون حول محورٍ واحدٍ وهو الرسول الأعظم (صلوات الله وسلامه عليه وآله)، كما تقدم في رواية داود الجصاص.

عاشرًا: الدلالة على قدرة الله تعالى وحكمته.

أقسم الله بالنجوم، وذكر أنّه قسمٌ عظيم؛ وذلك لأنّ ثبات مواقع النجوم رغم دوران الأرض حول الشمس، والنسق الدقيق في ذلك، هو أمرٌ تتجلى فيه عظمة قدرة الله وحكمته غير المتناهيتين، وتشبيه أهل البيت بالنجوم يُشير أيضًا إلى هذا المعنى، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) عندما اختارهم الله ليكونوا خلفاء للرسول بالله اختارهم بقدرته وحكمته غير المتناهيتين؛ لما علم أنْ ليس هناك من هو مؤهل ليكون خليفةً عن رسول الله بالا هم الإهمي إلا المسلم، فلا بد أنْ يرضخ له كلُّ بني البشر لذلك، فليس أمام هذا الجعل الإلهي إلا التسليم.

⁽١) الكافي للكليني ج١ ص ٤١٠ بَابٌ فِيها جَاءَ أَنَّ حَدِيثَهُمْ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ح١.

دلالات حديث النجوم الماد الماد

أحد عشر: دلالة عدم التصادم بين الوظائف.

فكلُّ نجمٍ من النجوم يدور في مسارٍ ثابت ليؤدي وظيفته الخاصة، فالشمس تجري لمستقر لها لتؤدي وظيفته الخاصة، وكذلك القمر يسير في مساره الخاص ليؤدي وظيفته الخاصة، وهكذا بقية النجوم، فكلُّ له دوره الخاص الذي يُكمِّل دور النجم الآخر ولا يعارضه، فالشمس تضيئ في النهار، ليأتي دور القمر ليلًا، من دون أي تعارض بينها، فكما لا تصادم في وظائفها، وكذلك أهل بينهما، فكما لا تصادم في المسارات بين النجوم، ولا تصادم في وظائفها، وكذلك أهل البيت على فأمير المؤمنين على جلس ما يقارب خمسًا وعشرين سنةً في بيته؛ لأن وظيفته كانت الجلوس، وعندما صارت وظيفته الحكم الظاهري قام بها، كما قام بكل ما يترتب عليها من مهام، فقاتل على التأويل كلَّا من الناكثين والقاسطين والمارقين، وأما الإمام عليها من مهام، فقد كانت وظيفته أنْ يُهادن، والإمام الحسين كانت وظيفته أنْ يقاتل.

إنَّ لكلٍ منهم الخصائص ذاتها، فكلٍ منهم ثائر وكلٍ منهم مُطالب بالإصلاح، وكلٍ منهم كاظم وهكذا، وعليه فلو كان الإمام الحسن في موضع الإمام الحسين القاتل، فأدوارهم شتى والهدف واحدٌ، بحيث إن كلّ دورٍ من الأدوار يكون مكمّلاً للدور الآخر، فصلح الإمام الحسن هو الذي مهد لثورة الإمام الحسين، وثورة الإمام الحسين، وعليه فهناك علاقة الإمام الحسين، وعليه فهناك علاقة بين الإصلاح الحسيني وتحقيق العدل المهدوي، فنتيجة الإصلاح هو العدل الذي لم يتحقق في ثورة الإمام الحسين، حيث وقف الناس موانع. وللسيد الشهيد محمد باقر الصدر كل كتابٌ مهمٌ يوضح هذه المسألة بعنوان (تنوع أدوار ووحدة هدف).

إشارة: في مناقشة حديث: أصحابي كالنجوم.

ورد في بعض أحاديث العامة أنَّهم رووا عن رسول الله عَيْلَةَ أنَّه قال: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

واستدلوا به على ضرورة تقديس كلِّ صحابةِ النبي عَلَّهُ، وعدم جواز تخطئة أحدٍ منهم، أو القول بمجانبته للصواب، فما مدى صحة هذا الحديث؟

الجواب:

بداية وبضميمة ما كان يقوم به بعض الرواة من وضع الروايات على لسان النبي الأكرم على لقاء ملذات دنيا رخيصة يلعقونها من يد حاكم تتصبب يداه من دماء الأبرياء، فإنَّ من الواضح جدًا أنَّ هذا الحديث إنّا وُضِعَ ليثبت كرامة لمن لا يستحق، إزاء كرامة أثبتها من لا ينطق عن الهوى، لمن هو يستحق وبكلِّ جدارة، أيّ ليقابل الحديث الثابت عن رسول الله على في تشبيهه لأهل بيته الله النجوم، وقد تكررت بصات الجريمة ذاتها في حديث «أبو بكر وعمر سيدا شيوخ أهل الجنة»، إزاء حديث مروي عن الصادق الأمين على «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»؛ بدليل اقتضاء حكمة الله أنْ يقوم نظام الجنة -إن صحَّ التعبير - على اقتصار أهلها على الشباب فقط، وانعدام وجود الشيوخ فيها.

وأما بالنسبة إلى الجواب، فإنَّ هذا الحديث من المحال نسبته إلى الرسول الأكرم عَلَيْهُ؛ للأسباب التالية:

أولًا: لمعارضته الحديث الصحيح الوارد عن الرسول الأكرم على عند كتب الفريقين، فقد روي عن النبي على في صحيح البخاري أنّه قال: «ألا وإنه يُجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا ربي أصحابي، فيُقال إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٠)، فيُقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ

⁽١) المائدة ١١٧

دلالات حديث النجوم

فارقتهم».(۱)

ثانيًا: لاستلزامه عصمة جميع أصحابه على حيث إنَّ لفظ: «بأيّهم اقتديتم اهتديتم» لا تعني إلا أن التمسك بأيٍّ منهم موصلٌ إلى الجنة، على حين أنَّ التاريخ المحرف فضلًا عن الصحيح قد روى قصص اختلافهم إلى حدِّ التقاتل! فكلٌّ من معاوية الذي يعدونه صحابيًا وأمير المؤمنين الإمام علي قد دخلا في حربٍ طحنت الكثير من النفوس وسفكت فيها الكثير من الدماء، فكيف يمكن أن يكون كلاهما على حقٍ وصوابٍ ويهديان إلى الجنة؟!

بل كيف يمكن للمسلم أن يتمسك بكليهما وهما على طرفي نقيض! فطريقَ من يسلك وبمن يقتدي؟! فها هذا إلا جمع بين متضادين، بل كيف يكون كلاهما على سرر متقابلة في الفردوس وأحدهما قد قاتل بل قتل الآخر!

وقد أخبر النبي الله صراحة ببغي فئة من المسلمين من بعده، بقوله اله عار النبي الله عليه الفئة الباغية» (۱۲)، وقد تحقق قتل عمار (رضوان الله عليه) على يد جيش معاوية، فبعد التصريح ببغي معاوية كيف يُعقل أنْ يُقتدى به ويهتدى به إلى الجنة؟!

ثم كيف نؤدي عباداتنا وصلواتنا؟ هل نتكتف أو نُسبل؟ لا سيها أنَّ مذهبًا يقول بوجوبه وآخر يقول ببطلان الصلاة به!

لكلِّ ما تقدّم لا يُمكن نسبة هذا الحديث إلى الرسول الأكرم عَليًّا.

ثالثًا: الحديث المروي حتى وإن كان حقًا قد صدر من الرسول الأكرم على ، فإنه لا يمكن الاحتجاج به على عدالة جميع الصحابة؛ وذلك لأنّه ليس بمطلق، إذ لا بد من تقييده بمن لم يغير ولم يبدل، كما روي عن الإمام الرضائي أنه سُئِل عن قول النبي على:

⁽١) البخاري/ج٥/ص١٩١-١٩٢.

⁽٢) دعائم الإسلام للقاضي المغربي ج١ ص ٣٩٢.

«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وعن قوله عن دعوا لي أصحابي».

فقال عنده ولم يبدّل عنه الله عنه ولم يبدّل».

قيل: وكيف يعلم أنهم قد غيروا أو بدلوا؟

قال: لما يرُوونه من أنه على قال: «ليذادن برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد غرائب الإبل عن الماء فأقول: يا رب أصحابي، أصحابي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: بعداً وسحقاً لهم. أَفَترى هذا لمن لم يغير ولم يبدل؟!». (١)

⁽١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق/ج٢/ ص ٩٣/ ح٣٣.

دلالات حديث المنزلة

وهو من الأحاديث المسندة والمتواترة عند الفريقين، فلا ينبغي الكلام في هذه الجهة؛ لأنّها ثابتة ولا مناص من الاعتراف بصدور هذا الحديث من الرسول الأعظم محمد عليه كل ما في الأمر أنّه روي بعدة ألفاظ متقاربة جدًا لا تضر بالمعنى العام للحديث الشريف، ومن هذه الألفاظ:

عن سعيد بن المسيب، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله عن الله عن بعدي».

قال سعيد: فأحببتُ أن أشافه بها سعدًا، فلقيت سعدًا فحدثته بها سمعته من عامر، فقال: أنا سمعته، قلت: أنت سمعته؟! قال: فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم، وإلا استُكتا.(١)

و عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله على فلن أسبه لان تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم، سمعت رسول الله على يقول لعلي وخلفه في بعض مغازيه؟ فقال له على: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله على: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يجب الله، ورسوله ويجبه الله

⁽۱) صحیح مسلم ج۷ ص ۱۲۰.

ورسوله...»(۱)

وسأل رجل معاوية عن مسألة فقال: «سل عنها عليّ بن أبي طالب فانّه أعلم، قال له: يا أمير المؤمنين قولك فيها أحبُّ إليَّ من قول عليٍّ بن أبي طالب، فقال: بئس ما قلت، ولَوَّ مَ ما جئت به، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله عَنَّ يُغرُّه بالعلم غرّاً. ولقد قال له رسول الله عَنَّ : أنت مِني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي، ولقد كان عمر ابن الخطّاب يسأله فيأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه شيء قال: هاهنا عليّ؟ قم لا أقام الله رجليك. ومحا اسمه من الديوان..». (٢)

و عن عبد الله بن عبّاس: «سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب ؛ فقد رأيت من رسول الله عبيه فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله عبيه فانتهيت إلى باب أُمّ سلمة وعليٌ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله عبيه، فقال: يخرج إليكم. فخرج رسول الله عبيه فسرنا إليه، فاتّكا على عليّ بن أبي طالب ثمّ ضرب بيده منكبه، ثمّ قال: إنّك مخاصم تخاصم ؛ أنت أوّل المؤمنين إيهانا، وأعلمهم بأيّام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسويّة، وأرأفهم بالرعيّة، وأعظمهم رزيّة، وأنت عاضدي، وغاسلي، ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي.

ثمّ قال ابن عبّاس من نفسه: ولقد فاز عليّ بصهر رسول الله عَيَالَة، وبسطةً في العشيرة، وبذلاً للماعون، وعلماً بالتنزيل، وفقهاً للتأويل، ونيلاً للأقران. (٣)

⁽۱) سنن الترمذي ج٥ ص٣١٠ - ٣٠٢

⁽٢) مناقب على بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٥١ - ٥٢ ح ٥٣.

⁽٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج١١٦ ص ١١٦ - ١١٧ ح ٣٦٣٧٨.

دلالات حديث المنزلة

وغيرها من الطرق الكثيرة.

إشكالٌ وجوابه:

وبالرغم من كلِّ ما تقدم، فقد أشكل بعض المنحرفين عن خط أمير المؤمنين على عليه، وهو الطريق الذي يسلكه النواصب عادةً، إذ إنهم ما إنْ يُغلق أمامهم طريق الطعن في صحة سند الحديث، حتى يسلكوا طريق إفراغ متن الحديث من محتواه الصحيح ودلالته الحقّة، وقد وقع هذا التعامل مع حديث الغدير، كما وقع مع هذا الحديث أيضًا، حديث المنزلة، وحاصل هذا الإشكال:

عدم دلالة هذا الحديث على أكثر من أن عليًا خليفة للرسول الأكرم عليه في حياته فقط دون ما بعد وفاته، أي اقتصار دلالته على أنّ عليًا خليفة للرسول الأكرم عليه في حياته فقط، أي إن هذا الحديث واردٌ في موردٍ خاص، وهو في غزوة تبوك، فلا يشمل ما بعد وفاة رسول الله عليه...

وفي مقام الجواب نقول(١):

إن هذا الكلام باطل؛ للأسباب الآتية:

أولًا: ورود الاستثناء في سياق حديث النبي يَنَا للله واضحٌ على عمومه؛ لأن الاستثناء لا يرد إلا على العام - كما اتفقت على ذلك كلمات النحاة -. ومن ثم فإن نفس كلام الرسول الأعظم على كان عامًا لا خصوص فيه، فكيف أمكنهم الادعاء بتخصيصه في مورد!

ثم إنّك تلاحظ أن النبي على يؤكد دائمًا على جملة «إلا أنّه لا نبي بعدي»، أي على استثناء خصوص النبوة، ولو كان استخلاف الرسول الأعظم على الله خاصًا بغزوة

⁽١) انظر التفاصيل في المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعة رقم (٣٠).

تبوك، لما احتاج الرسول الأعظم عليه إلى التأكيد على هذه المسألة، ونفي النبوة من بعده.

إذن، تأكيد الرسول الأعظم على ذلك يدل على عموم استخلاف علي المعلم المعلم المعلم ولكن قطعًا لادعاء النبوة قال تلك الجملة.

ثانيًا: خصوص المورد لا يخصص الوارد، فحتى لو سلَّمنا أنَّ مورد هذا الحديث خاص، ولكن خصوص مورده لا يخرجه عن عمومه!

وهذه القاعدة مسلمة عند العلماء، فلو رأيت أحدًا يريد أن يشرب كأس خمر فقلت له (هذا الخمر حرام شربه)، فهل هذا الحكم خاص بخصوص هذا الكأس، وغيره من الخمر حلال؟! قطعًا لا، وكذا لو رأيت الجنب يمس آية الكرسي مثلاً فقلت له: لا يمسن آيات القرآن محدثٌ، أيكون هذا خاصًا بمورده أم عامًا شاملًا لجميع آيات القرآن الكريم، ولكل محدثٍ؟!

وقد وردت الكثير من الأحكام على لسان أهل البيت الله جوابًا لأسئلة سُئلوا بها أو تعليقًا على حادثة وقعت أمامهم، ولو كانت قاعدة تخصيص المورد بالوارد لانتفى الاستدلال بها جميعًا، ولما أمكن للعلماء الاستناد عليها في بيان الأحكام الشرعية.

إذن، حتى لو كان هذا الحديث خاصًا بغزوة تبوك، فهذا لا يجعل خلافة أمير المؤمنين على خاصة بتلك الغزوة؛ لأنّ خصوص المورد لا يخصص الوارد.

ثالثًا: ورود الحديث في موارد عديدة وكثيرة

فلو سلّمنا أنَّ المورد (وهو قول النبي الله هذا الحديث) يُخصص الوارد (وهو استخلاف النبي للإمام (عليهما وآلهما السلام))، فإنَّ هذا الحديث قد ورد في موارد عديدة وكثيرة، ففي قصة مؤاخاة النبي الأكرم الله علي قال رسول الله الله والذي بعثني بالحق نبيًا، ما أخّرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى

١١٧ ////

غير انه لا نبي بعدي، وأنت أخى ووارثى ... ١٠٠٠

وفي حديث الدار والإنذار قال رسول الله على الله الله الله على أنه أخي ووزيري ووارثي دون أهلي ووصيي وخليفتي في أهلي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدي؟ »(٢)

وفي قضية سدِّ الأبواب قال رسول الله عَلَيَّةِ: «وإن عليًا مني بمنزلة هارون من موسى» (٣) وغيرها من الموارد الكثيرة.

دلالات حديث المنزلة

وفيه فقرتان:

الفقرة الأولى: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى».

الفقرة الثانية: «إلا أنَّه لا نبى بعدي».

الفقرة الأولى: دلالات «أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِساني ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكُهُ فِي

⁽۱) كنز العمال للمتقي الهندي ج٩ ص ١٦٧ ح ٢٥٥٥٤ و ص ١٧٠ ح ٢٥٥٥٥ و ج١٣ ص ١٠٥ -- ١٠٦ ح ٣٦٣٤٥ وغيرها.

⁽٢) تفسير فرات الكوفي ص ٣٠٣.

⁽٣) ينابيع المودة للقندوزي ج١ ص ٢٥٩ باب ١٦ ح ٨.

أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ۞ إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً ﴾(١)

المنزلة الأولى: الوزارة.

قال و حكاية عن موسى ، ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ﴾ (٢) وقال و وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَىٰ الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً ﴾ . (٣)

وفقًا لهاتين الآيتين يكون هارون وزيرًا لموسى، وعليه فيكون عليٌ وزيرًا لرسول الله عَيْلُةَ.

والوزير لغةً مشتق من: (الوِزر) بمعنى الثقل، أو قل من: (الوَزَر) بفتحتين بمعنى الجبل الذي يُلتجأ إليه، وبناءً على المعنى الأول إنها سُمي الوزير وزيرًا؛ لأنه يحمل ثقل الملك، وأما بناءً على المعنى الثاني فقد سُمي كذلك؛ لأن الملك يلتجأ إليه في آرائه وأحكامه.

وعليه، فإنَّ طلب موسى من الله أن يجعل أخاه هارون وزيرًا له، إنها يدل على معرفته بكثرة وصعوبة وثقل أعباء الرسالة، مما يحتاج إلى من يساعده ويؤازره ويشد أزره؛ لذا قال: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ فموسى طلب أن يكون له من يحمل ثقله ويساعده فيه، وأن يكون له من يساعده في آرائه وأحكامه وأدائه للرسالة، فكان هارون وزيره.

وعلي قد حاز هذه المرتبة والمنزلة أيضًا، فكان وزير الرسول الأعظم على ، وقد ورد أنّ رسول الله على قال لابن عباس: «إنّ أول ما كلمني به [أي الله في ليلة الإسراء والمعراج] أنْ قال: يا محمد، انظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت، وإلى أبواب

⁽۱) طه ۲۵ – ۳۵.

⁽٢) طه ٢٩.

⁽٣) الفرقان ٥٥.

دلالات حديث المنزلة ال

السهاء قد فُتحت، ونظرت إلى علي وهو رافع رأسه إليّ، فكلمني وكلمته، وكلمني ربي،

فقلت (أي ابن عباس): يا رسول الله عِنالَة ، بمَ كلمك ربك؟

قال عَلَيْ: قال لي: يا محمد، إنّي جعلته وصيَّك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه».(١)

وقد قال ﷺ لعلي ﷺ: «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ..».(٢)

المنزلة الثانية: الأخوّة وشدّ الأزر.

قال حكاية عن موسى الله وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ الله وَالْحِيهُ الله وَالله وَا وَالله وَلّه وَالله وَالله

لا بُدَّ من التنويه أولًا إلى أنَّ الأنبياء أعلى وأرقى من التقيد بالقيود المادية، فهم ينظرون إلى الروابط من منظارٍ روحي عقائدي، وعليه، فإنَّ الأخوة هنا لا تُقصر على المعنى النسبي المادي المعروف؛ فقد اتخذيه أبا لهب عدوًا رغم قرابته، وسلمان المحمدي من أهله رغم أنه غريب، ومن ثم فإنَّ الرسول الأعظم على لم يتخذ الإمام علي الأجل قرابته فحسب، كما أنَّ موسى الله لم يتخذ هارون الأجل الإخوة الإيمانية، وهكذا فحسب، بل لأجل قوله و إنَّهَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٤)، أيّ لأجل الإخوة الإيمانية، وهكذا

⁽۱) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص ١٤١ – ١٤٢ و الأملي للشيخ الطوسي ص ١٠٤ – ١٠٥ و الأملي للشيخ الطوسي ص ١٠٤ – ١٠٥

⁽٢) نهج البلاغة ج٢ ص ١٥٨.

⁽٣) الفرقان ٣٥.

⁽٤) الحجرات ١٠.

جاء جوابه ، التأكيد على أنَّ هارون أخوه ﴿وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ ﴾.

وهكذا علي كان أخًا لرسول الله يَلَيُ بالإخوة الإيهانية، فضلًا عن كونه ابن عمه، وقد أكد هذا المعنى رسول الله يَلِي عندما آخى بينه وبين علي ولعدة مراتٍ، القدرُ المتيقن منها مرتان، وذكر حديث المنزلة، كها تقدم قبل قليل.

ولقد أكّد أمير المؤمنين على الصلة الوثيقة بينه وبين الرسول الأعظم على حينها قال: «وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ الله على، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ والمُنْزِلَةِ الْحُصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِه، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه ويُمِسُّنِي جَسَدَه، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً فِي وَيُشِمُّنِي عَرْفَه، وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً فِي وَيْ مُولِ ولَا خَطْلَةً فِي وَيْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ فِعْلٍ، ولَقَدْ قَرَنَ الله بِه عَلَي مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيهاً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ المُكارِم، وتحاسِنَ أَخْلَاقِه عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه، ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاء، فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي، ولَمْ عَنْ أَخْلَاقِه عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه، ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاء، فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي، ولَمْ عَنْ أَنْكُ الله عَلَى أَنْ الله عَلَى والله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَنْ وَالْمُ الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى المَعْلَى الله ولكِينَكَ لَوْزِيرُ الْوَحْي عَلَى المُ الله مَا هَذِه الرَّنَةُ الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى المَعْلَى خَيْرِ» (١)

وكما أنَّ هارون عنه قد شد أزر موسى الله أزر موسى المؤمنين قد شد أزر النبي الله ويوم أحد إذ تركه النبي الله ويذل مهجته فيه في كل المواطن، ليلة بات على فراشه، ويوم أحد إذ تركه المسلمون، وغيرها من المواقف الكثيرة التي شهد التاريخ بها.

⁽١) نهج البلاغة ج٢ ص ١٥٧ - ١٥٨.

دلالات حديث المنزلة

المنزلة الثالثة: الإشراك في الأمر.

ولا شك أنَّ أمر موسى له لم يكن سوى الرسالة والتبليغ الإلهي وهداية الناس، وقد أجاب الله نبيه موسى إلى ذلك، فقال ن وقال قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى الله وقد أجاب الله الله الله الله الله وقد أرسلها كليها وَ أُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَهارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلاَئِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (٢)

وقال ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسىٰ وَأَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ ﴾. (٣)

وقد ثبتت هذه المنزلة لأمير المؤمنين بدلالة حديث المنزلة، ولا يعني هذا أنَّ عليًا في نبيٌ، كلا، إذ لا نبيَّ بعد نبيِّ الإسلام، ولكنّه يعني أنّه كان شريكَ الرسول الأعظم في تبليغ الرسالة الإلهية، ولذا قال له رسول الله في عندما خرج لغزوة تبوك: «إنه بد من أن أقيم أو تقيم». (3)

ولذا أرسل رسول الله عليا عليا عليا عليا الله عليا وراء أبي بكر ليأخذ منه سورة براءة ويبلغها هو مني وأنا هو مني وأنا منه». (ف) كما في حديثٍ لابن عباس.

وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «... ولكن جبرائيل جاء فقال: لن يؤدي

⁽۱) طه ۲۶.

⁽۲) يونس ۷۵.

⁽٣) المؤمنون ٥٥.

⁽٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص ٢٤.

⁽٥) مسند أحمد ج١ ص ٣٣١.

عنك إلا أنت أو رجل منك».(١)

كذلك كان الإمام علي هو المبلغ الوحيد عن الرسول الأعظم الله باليل تبليغ سورة براءة الذي تقدم، علاوة على ما ورد عن رسول الله الله الله قال له الله الله الله على الله على ما اختلفوا فيه من بعدي). (3)

ومن هنا نجد أنَّ القرآن الكريم لم يعتبر تبليغ الإسلام كاملًا إلا عندما بلّغ الرسول الأعظم على الناس بإمامة على الله عدير خم، ولمّا أتم التبليغ نزل قوله الرسول الأعظم مَنْ الناس بإمامة على الله على أكْمُ الْمِسُلامَ دِينَكُمْ وَأَغْمُتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً (٥)

إشارة: معنى العقدة في لسان النبي موسى الله السان

قيل: إنّ النبي موسى إنها قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾؛ لأنه كان في حجر فرعون ومدَّ يده على لحيته ثم سحبها، فقال فرعون: إنَّه اسرائيلي، وخشي أنْ يقتله، فقالوا له: إنَّه طفل لا يفهم، فقال لهم: ما الدليل على ذلك؟ فقربوا إليه جمرة وحلاوة، فمدَّ يده على الجمرة ووضعها في فمه، فصار في لسانه (رتة لا يفصح معها بالحروف شبه

- (١) مسند أحمد ج١ ص ١٥١.
 - (٢) الشعراء ١٣.
 - (٣) القصص ٣٤.
- (٤) تاريخ ابن عساكر ج٤٢ ص ٣٨٧.
 - (٥) المائدة ٣.

دلالات حديث المنزلة ال

التمتمة)»(١)

ويمكن النقاش في هذه الدعوى؛ لأنّ الأنبياء النعمة التي تربى فيها في بيت مختلف الأصعدة، وأما العقدة التي ذكرها النبي فهي النعمة التي تربى فيها في بيت فرعون فلا يستطيع أنْ يُحاجّهم ويُكلمهم؛ لأنهم سرعان ما سيعيرونه بإقامته عندهم لسنين من عمره المبارك، وفعلًا هذا ما قد حصل على ما حكاه قوله في: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَيْتُ وَلَيْتًا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿ وَفَعَلْتَ فَعُلْتَ فَعُلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ . (٢) مما ولي موسى الله كان ملتفتًا إلى هذه القضية.

المنزلة الرابعة: الخلافة:

قال ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَثْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبَعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . (٣)

تصرح هذه الآية بأنَّ هارون الله كان خليفةً لموسى الله حين ذهب إلى الميقات، فهو خليفته.

ولا يقال: إنَّ المورد خاص، حيث إنَّ خلافة هارون كانت عندما ذهب موسى للميقات فقط.

لأننا نقول: تقدّم أن خصوص المورد لا يخصص الوارد، فراجع التفصيل.

وبمقتضى حديث المنزلة قد ثبتت هذه المنزلة للإمام علي ، أيّ إنَّه خليفة للرسول الأعظم على الله فصل.

⁽١) مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج٧ ص ١٨ - ١٩ عن سعيد بن جبير ومجاهد والسدي.

⁽٢) الشعراء ١٦ – ١٩.

⁽٣) الأعراف ١٤٢.

وهذا من الأمور المختلف فيها بين المدرستين، فعلى الرغم من اتفاقهما على أنَّ الإمام علي الله خليفةٌ للمسلمين، إلا أن الخلاف وقع في كون خلافته بلا فصل كما تذهب إلى ذلك الإمامية وهو الحق بدلالة حديث المنزلة وغيره من الأحاديث، أو كون خلافته تأتي بعد الفصل بينها وبين الرسول الأعظم على بثلاثة خلفاء؟

إنّ حديث المنزلة مطلقٌ، فيدل ويقتضي أن يكون خليفةً للرسول على مباشرة وبلا فصل، فعندما يقول الرسول الأعظم على بأنّ عليًا منه بمنزلة هارون من موسى، وكانت تلك المنزلة هي الخلافة، فإطلاق ذلك الكلام يدلُّ على أنّه خليفته على مباشرةً وبلا فصل.

وحينئذٍ يكون كلُّ من تجرأ وغصب ذلك المنصب ظاهرًا بعد الرسول الأعظم على مباشرة قد عصى الله ورسوله على النَّ نص ذلك الحديث دال على أنَّ عليًا هو الوحيد الذي يكون خليفةً للرسول على مباشرةً وبلا فصل.

المنزلة الخامسة: التصديق:

قال، حكاية عن موسى، ﴿وَأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّ فِنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾(١)

إن موسى على طلب من الله أنْ يكونَ معه أخوه هارون ردًّا أي معينًا، ويُصدِّقه ببيان الحجة ورفع الشبهة، وقد أجابه الله بقوله في: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمْ بِآياتِنا أَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ ﴾. (٢)

وقد حاز هذه المنزلة أميرُ المؤمنين، فقد كان الردء والمعين للرسول الأكرم الله وقد حاز هو قاضي دَينه ومنجز عداته من بعده، وقد كان أول من صدّق الرسول

⁽١) القصص ٣٤.

⁽٢) القصص ٣٥.

(دلالات حدیث المنزلة

الأعظم عَلَيْهُ، روي عن أبي جعفر هَ أَنَّه قال: قال رسول الله عَلَيْهُ: «إِنَّ أمتي عُرضت عليّ عند الميثاق، وكان أول من آمن بي وصدّقني حين بعثتُ، فهو الصدّيق الأكبر». (١)

بل قد روي عن أبي هريرة، عن رسول الله على، قال: «مكتوب على العرش: أنا الله لا إله إلا أنا، وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي. فأنزل الله وهمو الله وينك بنصر و وبالمؤمنين وبالمؤمنين فدخل في الوجهين جميعا (صلى الله عليه)». (٣)

لقد كان الله ردءًا للرسول على فراشه، وحينها صدع بالدعوة فأجابه في حديث الدار، وعندما تركه الجميع في أحد، وعندما تركه الجميع عند وفاته وتغسيله وتكفينه إلا القليل من خُلص الصحابة كابن عباس، كها صدّق أمير المؤمنين الله من أعلى الله الله عنها بالحجة والبيان والبنان، وصدّقه في إسرائه ومعراجه؛ ولذا قال فيه رسول الله من الكلّ أمة صدّيق وفاروق، وصدّيق هذه الأمة وفاروقها على بن أبي طالب». (٤)

و لا غرو في ذلك ما دام عليٌّ من الرسول (عليهما وآلهما السلام) بمنزلة هارون من موسى السلام) موسى المالية المال

ومن اللطيف، أنَّ الله عندما أجاب موسى الله فإنه قد جعل السلطان لها معًا، وجعل الغلبة لها كليها ولمن اتبعها كليها، وهكذا الحال مع الرسول الأعظم الله وأمير

⁽۱) مختصر بصائر الدرجات/ حسن بن سليمان الحلي ص ١٦٥. وبصائر الدرجات للصفار ص ١٠٣. باب ١٤ ح٣.

⁽٢) الأنفال ٦٢.

⁽٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٢٨٤ ح ٣١٢/ ٣.

⁽٤) عيون أخبار الرضاك للشيخ الصدوق ج٢ ص ١٧ ح ٣٠.

المؤمنين هُم فإن السلطان والغلبة لهم كليهما، والنجاة إنما تكون باتباعهم كليهما؛ ولذا قال رسول الله على كذب من زعم أنه يجبنى ويبغضك». (١)

وسيأتي إنْ شاء الله الله الله المطلب.

وقد قال تعالى في شأن موسى وهارون الله ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهارُونَ ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهارُونَ ﴿ وَنَجَيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿ وَنَصَرْناهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْعَالِبِينَ ﴾ . (٢)

وكذا الرسول الأعظم يَبالله وأمير المؤمنين على .

المنزلة السادسة: إتيان الكتاب:

قال الكِتابَ المُسْتَبِينَ ١٠٠٠ قال الكِتابَ المُسْتَبِينَ ١٠٠٠ قال الكِتابَ المُسْتَبِينَ ١٠٠٠ قال

إنَّ الكتاب -الذي هو التوراة- قد آتاه الله الكلم من موسى وهارون الله الناس ذلك الكتاب الذي "يستبين المجهولات الخفية فيبينها، وهي التي يحتاج إليها الناس في دنياهم وأخرتهم... "(٤)، ذلك الكتاب قد أنزل على موسى الله وكان هارون المطبق الأول له، والناطق الرسمى.

وهكذا أمير المؤمنين، فلقد كان الكتاب الناطق الذي نطق بالكتاب الصامت الذي نزل على رسول الله على وهو القرآن الكريم.

أضف إلى ذلك فإنه هو المحامي عنه والحافظ له بعد الرسول الأكرم على إذ قاتل على تأويله، كما سبقه على تازيله. فقد روي عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا جلوسًا ننظر إلى رسول الله على فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله فرمى به إلى على الله على

⁽١) المحاسن للبرقى ج١ ص ١٥١ باب الحب ح ٧١.

⁽٢) الصافات ١١٤ – ١١٦.

⁽٣) الصافات ١١٧.

⁽٤) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ج١٧ ص ١٥٧.

(دلالات حدیث المنزلة

فقال: إنَّ منكم رجلًا يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله. قال أبو بكر: أنا؟ قال: لا قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل.

قال: فأتينا علياً نبشره بذلك، فكأنه لم يرفع به رأساً، وكأنه قد سمعه قبل». (١١) فعلي هو القرآن الناطق، والمقاتل على تأويله.

وقد ارتبط القرآن الكريم بعلي ارتباطًا وثيقًا كما ارتبط برسول الله على وهذا ما أكده رسول الله على تثيرًا خصوصًا في حديث الثقلين المشهور والمتواتر: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبدًا، وإنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

من هنا تجدأن الإمام الصادق في يؤكد هذه العلاقة، فقد روي عن أبي عبد الله في «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها نوهت الكتب ويستبين الايهان، وقد أمر رسول الله في أن يقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: انى تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي؛ فاحفظوني فيها فلن تضلوا ما تمسكتم بها». (٢)

المنزلة السابعة: الهداية:

لقد هُدي موسى وهارون الله إلى الصراط المستقيم، ذاك الصراط الذي ورد

⁽١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٥٤ حديث النعل ٥٠ / ٥٠.

⁽٢) تفسير العياشي ج١ ص ٥ ح ٩.

⁽٣) الصافات ١١٨.

في سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرِاطَ المُّسْتَقِيمَ ۞ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾(١)

فالصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم، وفي قضية موسى وهارون الله والله وال

والمُراد بها الهداية بتهام معنى الكلمة، ولذا خصها بهها ولم يشرك فيها معهها قومهها، وهكذا رسول الله عليه وأمير المؤمنين في قد هُديا إلى الصراط المستقيم، إذ هما من أنعم الله عليهها، وهذه الهداية خاصة بها دون سائر الأمة.

إذن، الصراط المستقيم هو الرسول الأعظم على وعلى الله

روى الثعلبي في تفسير ﴿اهْدِنَا الصّرِاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ قال: قال مسلم بن حيان: سمعت أبا بريده يقول: صراط محمد وآل محمد. (٢)

وهم الهُداة إليه، قال الله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾. (٣)

وبعد أنْ بيّن الله من هم الصراط المستقيم الذين يدعون المؤمنين لاتباعه، أمر المؤمنين باتباع هذا الصراط: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِياً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ المؤمنين باتباع هذا الصراط: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِياً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ وَسَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ ﴾ (٤) بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿ معتبراً إياه وصيته لنوع الإنسان ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ ﴾ (٤)

وما أمره على الباع الصراط إلا أمره باتباعهم وطاعتهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)

⁽١) الفاتحة ٦ – ٧.

⁽٢) الطرائف في معرفة مذهب الطوائف للسيد بن طاووس ص ١٣١ ح ٢٠٤.

⁽٣) المؤمنون ٧٣.

⁽٤) الأنعام ١٥٣.

دلالات حدیث المنزلة

والهداية إلى الصراط المستقيم أمرٌ لا يوفق إليه إلا من آمن بالله واعتصم به، قال وَ الله واعتصم به، قال وَ الله واعتصم به، قال وَ الله والله وا

وقال على الآيات الكثير.

ولأنَّ طاعتهم هي سبيل النجاة، فقد حرص الشيطان أنْ يحول دون وصول المؤمنين إليها جهد إمكانه؛ لأجل غوايتهم وإضلالهم؛ ولذا ﴿قَالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ المؤمنين إليها جهد إمكانه؛ لأجل غوايتهم وإضلالهم؛ ولذا ﴿قَالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدُنَّ لَمُ مُراطَكَ المُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِينَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْبانِهِمْ وَعَنْ أَيْبانِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾.(١)

فإنه - أي الشيطان - إنها يقعد أولًا على الصراط المستقيم ليغوي الناس بإبعادهم عن خط أهل البيت النه وعن طاعتهم، فإن استطاع ذلك سَهُل عليه حينئذ إتيانهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيهانهم وعن شهائلهم؛ ولذا فقد وصف الله الذين لم يؤمنوا بصراط النبي أنهم ناكبون عنه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ اللَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ *. (٥)

كما وصفهم بأنهم غاوون في قوله ﴿ قَالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبادِي

⁽١) النساء ١٧٥.

⁽۲) النساء ۲۲ – ۲۸.

⁽٣) آل عمران ١٠١.

⁽٤) الأعراف ١٦ - ١٧.

⁽٥) المؤمنون ٧٣ - ٧٤.

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ ﴾. (١)

كما روي في قوله ﴿ : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ (١) أنّ الإمام أبا جعفر الباقر الله قال في تفسيره: « يا ليتني اتخذت مع الرسول عليًا ». (٥)

و عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عن قال: «سألته عن قول الله ﴿ وَأَنَّ هذا صِر اطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (٢)؟ قال عن الله عليُّ، الميزان والصر اط». (٧)

وعن رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيهاً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ اسألت الله أن يجعلها لعلي ففعل. (٩)

نسأل الله إنْ يجعلنا من المتمسكين بالصراط المستقيم، صراط محمد وعلي (صلى

⁽١) الحجر ٤١ - ٤٢.

⁽٢) الصافات ٢٤.

⁽٣) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٩٠ ح ٥٦٤/ ١١.

⁽٤) الفرقان ٢٧.

⁽٥) تفسير القمى ج٢ ص ١١٣.

⁽٦) الأنعام ١٥٣.

⁽٧) بصائر الدرجات للصفار ص ٩٩ باب ١١ ح ٩.

⁽٨) الأنعام ١٥٣.

⁽٩) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ١٠٦.

دلالات حدیث المنزلة ال

الله عليهما وآلهما) الذي هو الإسلام الحقيقي.

المنزلة الثامنة: السلام:

قال ﴿ فَسَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهارُونَ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبادِنَا اللّؤمِنِينَ ﴾ . (١)

وهو رمزٌ لسلامة الدين والإيهان والرسالة والاعتقاد والمذهب، السلام الذي يوضح النجاة والأمن من العقاب والعذاب في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وكذلك سلّم الله على على محمد وعلى (صلوات الله عليهم) في قوله الله عليهما) في قوله الله على إلْ ياسِينَ الله على الله

وقرأ ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب: «آل يس». (٣) وهذا يعني «محمداً وآل محمد».

كها روي «في المعاني بإسناده إلى قادح عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن على الله في قول الله في: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ إِلْياسِينَ ﴾ قال: يس محمد الله ونحن آل ياسين». (٤)

وعليٌ هو أول آل محمد، فيكون، قد سلّم على محمد الله وعلي كما سلّم على موسى وهارون الله الله .

⁽١) الصافات ١٢٠ – ١٢٢.

⁽٢) الصافات ١٣٠.

⁽٣) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج٨ ص ٣٢٨.

⁽٤) أمالي الشيخ الصدوق ص ٥٥٨ ح ٧٤٣/ ١.

فإنْ أبى البيان المتقدم مَن في قلبه مرض، فإنَّ قوله ﴿ فَإِنَّ اللهُ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيها ﴾ (١) واضحٌ وضوح الشمس، إذ أمر الله ﴿ بالصلاة على محمد والتسليم له يَلَهُ، وقد روي عن كعب بن عجزة: «خرج علينا رسول الله يَلِهُ فقلنا: يا رسول الله، كيف السلام عليك، كيف الصلاة عليك؟ قال يَلَهُ: قولوا: اللهم صلى على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك أنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». (٢)

فيتحصل أنَّ الصلاة الصحيحة هي التي تضم إلى محمدٍ آله (صلوات الله عليهم أجمعين)، وعليُ هو أول آله كما هو معلوم.

٢/ أنهما من المحسنين:

نستفيد من الآيات المباركة المتقدمة أنَّ موسى وهارون الله من المحسنين، ثم ﴿إِنَّ اللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ (١) ﴿ وَإِنَّ اللهُ لَمَعَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ ﴾ (١) بل ﴿ وَإِنَّ اللهُ لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾ (٥)

وهل يشكُ منصفٌ في أنَّ محمدًا وعليًا على أول المحسنين؟!

أضف إلى ذلك: فقد ثبت أنها من المحسنين بمقتضى حديث المنزلة، وبمقتضى أنَّ أفضل الأنبياء والمرسلين هو محمد أنَّ فيكون من المحسنين وبلا ريب، وأمير المؤمنين هو نفسه بنص القرآن الكريم -كما في آية المباهلة- فيكون كذلك، علاوةً

⁽١) الأحزاب٥٦.

⁽٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ٣٢٢- ٣٢٣.

⁽٣) البقرة ١٩٥.

⁽٤) الأعراف ٥٦.

⁽٥) العنكبوت ٦٩.

دلالات حديث المنزلة

على أنَّ منزلته من الرسول الأعظم عليه هي بمنزلة هارون من موسى.

٣/ أنهما من المؤمنين:

فكذلك محمد وعلي (صلوات الله عليهما وآلهما)، وقد روي أنه قال رسول الله عليها وآلهما)، وقد روي أنه قال رسول الله عليه الله أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أُسري بي: أنه سيد المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وإمام المتقين». (١)

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله على الله على الله آية (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعلي ما أميرها وشريفها. (٢)

المنزلة التاسعة: الإصلاح:

وكذلك كان أمير المؤمنين هو مصلح هذه الأمة، ولذا فهو الذي قاتل على تأويل القرآن كما تقدمت الأحاديث في ذلك.

هذا مجمل ما ذكره القرآن الكريم من منازل كانت لهارون من موسى الله والتي أثبتها حديث المنزلة لعلي من محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وليس ما ذكرناه هو كلّ الأوجه، فربها يستطيع أحدٌ أن يستخرج أكثر مما ذكرناه هنا.

أوجه الشبه بين هارون وعلي السلام.

وتتميًّا للفائدة، نذكر فيها يلي بعض أوجه الشبه بين هارون وعلى الله على على ابان على

⁽١) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص ١٢١.

⁽٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ١٠٤.

⁽٣) الأعراف ١٤٢.

الواقع الخارجي، لتؤكد تلك الأوجه أن منزلة علي من الرسول الأعظم الله هي نفسها منزلة هارون من موسى الله الله الله المناطقة ال

١/ خيانة الأمة والاستضعاف.

إن القرآن الكريم يحدثنا عن قوم موسى وكيف خانوه ولم يطيعوا وصيته في جعل هارون خليفة عليهم عندما ذهب إلى الميقات، وكيف أنهم عبدوا العجل، وأن هارون اعتذر لموسى ابنه بقي ملتزمًا بوصيته له، ولم يرد أن يفرّق بين بني إسرائيل، قال : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لُمُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّهَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَتَبّعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَ قَالُ لَمُ مُ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّهَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسى قَالَ يَا فَاتَبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسى الله قَالَ يَا فَا يَا عُنْ أَمَّ لا تَأْخُذُ هارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ ألَّا تَتَبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي فَقَالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذُ بِلِهِ وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّ قُتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾. (١)

بل إن بني إسرائيل قد هددوا هارون بالقتل إن اعترض، وكان هذا أيضًا يمثل عذرًا لهارون، وهذا ما ينقله القرآن الكريم: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾. (٢)

وما حصل لهارون بعد غياب موسى به هو بعينه قد حصل لأمير المؤمنين بعد غياب الرسول الأعظم به فكل المسلمين يعلمون أنه به جعل الخلافة لعلي بعد وكلهم يعلمون أن لا أحد يستطيع تحمّل ذلك المنصب سواه به ومع ذلك فقد أقدموا على غصب هذا الحق منه وجعلوه في غير أهله، فقد روي عن أبي عمر خطبة خطبها الحسن بن علي في الناس بحضور معاوية قال بن فقد تركت بنو إسرائيل هارون، وهم يعلمون انه خليفة موسى فيهم واتبعوا السامرى، وقد تركت هذه الأمة

⁽۱) طه ۹۰ – ۹۶.

⁽٢) الأعراف ١٥٠.

١٣٥ //// دلالات حديث المنزلة

أبي وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول الله عليه يقول: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة»...».(١)

ولم يكن يمنع عليًا أن يقوم ليأخذ حقه -كها لم يكن يمنعه ذلك حين منع الظالمون الزهراء الله فدكاً، ولم يكن يمنعه حين قادوه بجنادل سيفه، ولم... - إلا ما أوصاه به الرسول الأعظم على بأن لا يشق عصا المسلمين، و أن يُقدم المصلحة العليا للإسلام على مصالحه الشخصية.

ولقد أوضح كل هذا في خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية: «أَمَا والله، لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنُ، وإِنَّه لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولَا تَقَمَّصَهَا فُلاَنُ، وإِنَّه لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحُلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولَا يَرْقَى إِلِيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ يَرْقَى إِلِيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَكْدَحُ بِيدٍ جَذَّاء، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاء، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّه، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرُتُ وفِي الْعَيْنِ قَذَى اللَّهِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً..». (٢)

وورد: وإن أبا بكر... تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له يا أبا حفص. إن فها فاطمة؟ فقال وإنْ!

فخرجوا فبايعوا إلا علياً، فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله على جنازة بين أيدينا، وقطعتم

⁽١) حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ج٢ ص ٨٠.

⁽٢) نهج البلاغة ج١ ص ٣٠ - ٣١.

أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لناحقا. فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفد وهو مولى له: اذهب فادع لي علياً، قال فذهب إلى على فقال له: ما حاجتك؟ فقال يدعوك خليفة رسول الله، فقال على: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكي أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفد: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفد، فأدى ما أمر به، فرفع على صوته فقال: سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفد، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلا، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلم سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبتِ، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلم سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقى عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضر ب عنقك، فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق على بقبر رسول الله عَنالَة يصيح ويبكي، وينادى: يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني».(١)

٢/ ما أُحل لهارون وعلي عَلَيْ السِّلا .

ويتلخص هذا الوجه بقضية سد الأبواب، فلقد أوضحت الأحاديث الشريفة هذا المعنى بها لا يحتاج إلى مزيد بيان، وبها يؤكد عموم المشابهة بين هارون وعلي الله فقد روي عن أبي رافع قال: إن رسول على خطب الناس فقال: «يا أيها الناس، ان الله أمر

⁽١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري (تحقيق الزيني) ج١ ص ١٩ - ٢٠.

١٣٧ //// دلالات حديث المنزلة

موسى وهارون أن يبنيا لقومها بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جُنُبٌ، ولا يقرب فيه النساء إلا هارون وذريته، وإن علياً ها مني بمنزلة هارون من موسى، فلا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجدي ولا يبيت فيه جُنُبٌ إلا علي وذريته، فمن ساءه ذلك فهاهنا. وضرب بيده نحو الشام». (١)

وعن محمد و عبد الرحمن ابني جابر [عن أبيهم] قال: «كنا نياماً في المسجد وفينا علي بن أبي طالب، فخرج علينا رسول الله عليه فقال: أتنامون في مسجدي؟ إنه لا يُنام في مسجدي قال: فخرجنا وخرج عليٌّ معنا، قال عَلَيْهُ: إلا أنت يا عليّ، أنت ليس كهيئتهم، إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي». (٢)

وعنه على: «يا على، لا يحل لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك». (٣)

وعن زيد بن أرقم قال: «كان لنفر من أصحاب رسول الله على أبواب شارعة في المسجد. قال: فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب على. قال: فتكلم في ذلك الناس. قال: فقام رسول الله على فحمد الله تعالى وأنثى عليه ثم قال: أما بعد، فإني أُمرتُ بسدّ هذه الأبواب إلا باب عليّ، وقال فيه قائلكم، وإني والله ما سددْت شيئاً ولا فتحتُه، ولكنى أُمرتُ بشيء فاتبعته». (٥)

⁽١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص٢٠٢.

⁽٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين المحمد بن سليان الكوفي ج٢ ص ٤٦ ح ٩٦٠.

⁽٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٣ ص ٢٧٢.

⁽٤) المعجم الأوسط للطبراني ج٤ ص ١٨٦

⁽٥) مسند أحمد ج٤ ص ٣٦٩.

٣/ أسماء أولادهما.

عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، قال: «لما ولدت فاطمة الحسن عن زيد بن علي» عن أبيه علي بن الحسين، قال: «لما وسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله على فأخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في [خرقة] صفراء، ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي في: هل سميته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه؟ فقال في الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل باسمه؟ فقال في الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط واقرئه السلام وهنئه، وقل له: إن عليا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل فهنأه من الله ، ثم قال: إن الله عربي يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسن، فسماه الحسن.

فلما ولد الحسين أوحى الله إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنئه، وقل له: إن عليا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. قال: فهبط جبرئيل فهنأه من الله تبارك وتعالى، ثم قال: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. قال: وما اسمه؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسين، فسماه الحسين، فسماه الحسين، فسماه الحسين، فسماه الحسين،

وقد روي أن رسول الله على قال: «إنها سميتهم بأسهاء ولد هارون: شبر وشبير ومشبر». (٢)

كل ذلك تحقيقًا منه عَلَيْ وتأكيدًا للمشاجة بين الهارونين: هارون وعلي الله و ونعم الشبه بينها في جميع المنازل وسائر الشؤون.

⁽١) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٩٧ ح ٢٠٩ ٣.

⁽٢) مسند أحمد ج١ ص ٩٨.

دلالات حديث المنزلة المنزلة

٤/ المحنة المشتركة:

وقد ورد في زيارة أمير المؤمنين المطولة ليوم الغدير التصريح بوجه شبه آخر جاء في هذه الزيارة، وهذا نصه: «ثُمَّ مِحْنَتُكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَقَدْ رُفِعَتِ المَصاحِفُ حِيلَةً وَمَكْراً فَأَعْرَضَ الشَّكُ وَعُرِفَ الحَقُّ وَاتَّبَعَ الظَّنُّ أَشْبَهْتْ مِحْنَةَ هارُونَ إِذْ أَمَّرَهُ مُوسى عَلى قَوْمِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَهارُونُ يُنادِي بِهِمْ وَيَقُولُ: ﴿يا قَوْمِ إِنَّا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْنُ فَوْمِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَهارُونُ يُنادِي بِهِمْ وَيَقُولُ: ﴿يا قَوْمِ إِنَّا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْنُ الرَّحْنُ فَاتَبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى ﴿، وَكذلِكَ أَنْتَ لَمَّا رُفِعَتِ المَصاحِفُ قُلْتَ: يا قَوْمِ إِنَّا فُتِنتُمْ بِها وَخُدِعْتُمْ فَعَصَوكَ، وَخالَفُوا عَلَيْكَ وَاسْتَدْعُوا نَصْبَ الْحَكَمَيْنِ فَأَبَيْتَ عَلَيْهِمْ وَتَبَرَّأُتَ إِلَى الله مِنْ فِعْلِهِمْ وَفَوَّضْتَهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَاسْتَدْعُوا نَصْبَ الْحَكَمَيْنِ فَأَبَيْتَ عَلَيْهِمْ وَتَبَرَّأُتَ إِلَى الله مِنْ فِعْلِهِمْ وَفَوَّضْتَهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَسْفَرَ الْحَقُّ وَسَفِهَ المُنْكَرُ وَاعْتَرَفُوا». (١)

الفقرة الثانية: (إلا أنه لا نبي بعدي).

وفي الحقيقة، يمكن استخراج حقيقتين من هذه الكلمة، وربها يأتي من يستخرج حقائق أكثر:

الحقيقة الأولى: ختم النبوة به عَلَيْوَلَّهُ.

وهذا ما قطع الطريق على كل من تسول له نفسه ادّعاء النبوة بعده، فهذا علي على عظمته وعلى ما حازه من المنازل العظيمة، إلا أنه ليس بنبي، بل لا نبي بعد نبي الإسلام. وبهذا قطع الطريق على أمثال مسيلمة الكذاب، ذاك الذي كتب إلى رسول الله على أمن مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشرِكتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريش

⁽١) المزار لمحمد بن جعفر المشهدي ص ٢٧٩.

قوم يعتدون..».

فلمّ جاء الكتاب، كتب رسول الله على من البه الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله على من الله على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين». (١)

وهكذا ليقطع الطريق على أمثال (طليحة بن خويلد الأسدي) و(سجاح بنت الحارث بنت سويد التميمية). ويروى أن أمرها قد أخاف مسيلمة، فاجتمعا وعرض عليها أن يتزوجا وقال: «هل لك أن أتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب؟» فأجابته، وانصر فت إلى قومها فقالوا: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فاتبعته فتزوجته. (٢)

وفي الحقيقة، لم تكن نبوتها إلا زفافًا على مسيلمة، وما كانت هي إلا امرأة! وهكذا ليقطع الطريق على أمثال الأسود العنسي.

على أن القرآن الكريم قد أوضح هذه الحقيقة في صريح آياته، قال ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدِ مِنْ رِجالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهً ﴾. (٣)

الحقيقة الثانية: خلافة الإمام ﷺ خلافة وصاية بلا نبوة.

وهي أن الرسول الأعظم على أراد أن يبين للأمة أن خلافته ليست كخلافة الأنبياء من قبله، إذ كان خلفاء الأنبياء أنبياء أيضًا، وأما خلفاؤه على فهم أوصياء لا أنبياء، يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر من :

والإمامة ظاهرة ربانية ثابتة على مرّ التاريخ، وقد اتخذت شكلين ربانيين:

⁽١) البداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص ٦٨٦.

⁽٢) تاريخ الطبري ج٢ ص ٤٩٩.

⁽٣) الأحزاب ٤٠

دلالات حديث المنزلة

أحدهما: شكل النبوة التابعة لرسالة النبي القائد، فقد كان في كثير من الأحيان يخلف النبي الرسول أنبياء غير مرسلين، يُكلّفون بحماية الرسالة القائمة ومواصلة حملها، وهؤلاء أنبياء يوحى إليهم، وهم أئمة بمعنى أنهم أوصياء على الرسالة وليسوا أصحاب رسالة، ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً وَكُلّا جَعَلْنا صالحِينَ * وَجَعَلْناهُمْ أَرْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْحَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ ﴾ (١) وقال ﴿ وَكَانُوا مِنْهُمْ أَرْمَةً يُهَدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبُرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ ﴾ (١)

... ويلاحظ في تاريخ العمل الرباني على الأرض: أن الوصاية كانت تعطى غالبًا لأشخاص يرتبطون بالرسول القائد ارتباطًا نسبيًا أو لذريته وأبنائه، وهذه الظاهرة لم تتفق فقط في أوصياء النبي محمد على، بل اتفقت في أوصياء عدد كبير من الرسل. قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْراهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ ﴾ [الحديد ٢٦] وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَتِهِ داوُدَ وَسُلَيْهانَ.. ﴾. [الأنعام ٨٤]

فاختيار الوصي كان يتم عادة من بين الأفراد الذين انحدروا من صاحب الرسالة ولم يروا النور إلا في كنفه وفي إطار تربيته، وليس هذا من أجل القرابة بوصفها علاقة مادية تشكل أساسا للتوارث، بل من أجل القرابة بوصفها تشكل عادة الإطار السليم

⁽١) الأنبياء ٧٢ – ٧٣.

⁽٢) لقيان ٢٤.

لتربية الوصي وإعداده للقيام بدوره الرباني. وأما إذا لم تحقق القرابة هذا الإطار فلا أثر لها في حساب السهاء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِهاتٍ فَأَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِينَ ﴾. (١)

ولذلك تجدأنَّ الرسول الأعظم عيالة كثيراً ما كان يعبر عن أمير المؤمنين الله بالوصي.

روي عن ابن عمر قال: «مرّ سلمان الفارسي وهو يريد أن يعود رجلاً ونحن في حلقة، وفينا رجل يقول: لو شئتُ لأنبأتكم بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وأفضل من هذين الرجلين (أبي بكر وعمر)، فشئل سلمان فقال: أما والله، لو شئتُ لأنبأتكم بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وأفضل من هذين الرجلين (أبي بكر وعمر) ثم مضى، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما قلت؟ قال: دخلت على رسول الله على وهو في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله على هل أوصيت؟ قال: يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن آدم كان وصيه شيث، وكان أفضل من تركه من بعده من ولده. وكان وصي نوح سام، وكان أفضل من تركه من بعده. وكان وصي موسى يوشع، وكان أفضل من تركه بعده. وإن أفضل من تركه بعده. وإن

وعن رسول السَّيَّة: «لكلِّ نبيِّ وَصِيُّ ووارث وإنَّ وَصِيِّي ووارثي عليُّ بن أبي طالب». (٣)

⁽١) الإمامة وأهل البيت النظرية والاستدلال، السيد محمد باقر الحكيم، ص ٦٠ عن الإسلام يقود الحياة: ١٥٧.

⁽٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين المحمد بن سليهان الكوفي ج١ ص ٣٨٩ ح ٣١١.

⁽٣) مناقب على بن أبي طالب ك لابن المغازلي ص ١٦٧ ح ٢١٢.

إشارات في عبارة الكتاب

الإشارة الأولى: هم الشهداء على الناس

قال على الناس». «وأنهم الشهداء على الناس».

فقد فسر الإمام الصادق هذه الآية بأنّها نزلت بخصوص النبي الأكرم ألله، وأنّ الشهداء الذين سيأتون من بعده هم أهل البيت العرف والنبي الله سيكون شهيدًا عليهم. وواضحٌ أنّ المراد من الشهادة هو ما يسمى في العرف بالتزكية، أي الشهادة بأن الشخص كان مطيعًا وممتثلًا لأوامر الله ، أو لا.

الإشارة الثانية: هم أبواب الله.

وقد ورد هذا المعنى في رواياتٍ عديدة منها، ما روي عن الأصبغ بن نباتة، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله على يقول: «معاشر الناس، اعلموا أن الله تعالى جعل لكم باباً من دخله أمن من النار ومن الفزع الأكبر.

⁽١) النساء: ١٤.

⁽٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٩٠ بَابٌ في أَنَّ الأَئِمَّةَ شُهَدَاءُ الله ﴿ عَلَى خُلْقِه ح ١ .

فقام إليه أبو سعيد الخدري، فقال: يا رسول الله، اهدنا إلى هذا الباب حتى نعرفه.

قال على: هو على بن أبي طالب، سيد الوصيين، وأمير المؤمنين، وأخو رسول رب العالمين، وخليفة الله على الناس أجمعين.

معاشر الناس من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسك بولاية علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي، وطاعته طاعتي، معاشر الناس من أحب أن يعرف الحجة بعدي فليعرف على بن أبي طالب معاشر الناس، من أراد أن يتولى الله ورسوله فليقتد بعلى بن أبي طالب بعدي والأئمة من ذريتي، فإنهم خزان علمي.

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله، وما عدة الأئمة؟

فقال: يا جابر، سألتني رحمك الله عن الاسلام بأجمعه، عدتهم عدة الشهور وهي عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السهاوات والأرض، وعدتهم عدة العيون التي انفجرت لموسى بن عمران عن ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وعدتهم عدة نقباء بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ (١)

فالأئمة يا جابر إثنا عشر إماماً، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم المهدى اللهدى الله الله المالية المهدى المهد

وهذا يعني: أنَّ المقصود من الباب هو ما يُستفاد منه أو الفائدة المترتبة عليه، وهو الدخول عبره إلى مكانٍ لا يمكن الدخول إليه إلا عبره فقط، لا بها هو هو، أو بها يعنيه من معنى مادي. وقد استعير هذا اللفظ في الدخول إلى الجنة بلحاظ هذا المعنى، فلا يمكن الدخول إليها إلا عبر باب واحدٍ، وهو باب أهل البيت المنافذ أو

⁽١) المائدة ١٢.

⁽٢) مائة منقبة لمحمد بن أحمد بن علي بن الحسين القمي (ابن شاذان) ص ٧١ - ٧٢ المنقبة الحادية والأربعون.

[إشارات في عبارة الكتاب المحارة المحارة الكتاب المحارة المحارة الكتاب المحارة ال

السبيل للخلاص من جهنم هي طاعة أهل البيت (صلوات الله سلامه عليهم).

الإشارة الثالثة: هم السبب إليه والأدلّاء عليه.

الإشارة الرابعة: هم عيبةُ علمه.

عيبة: بمعنى موضع السر، يُقال: فلان عيبة الرجل: أي فلان موضع سره.

والأئمة عليه هم موضع سر الله ، وهم موضع سر العلم؛ لذلك فإنَّ علومهم الهية.

الإشارة الخامسة: هم تراجمة وحيه.

الترجمان: هو المبيِّن والموضح، فاذا تكلمت مع من يتحدث بغير لغتك فإنَّك تحتاج إلى من يترجم لك ما يقوله ويترجم له ما تقوله.

وأهل البيت (سلام الله عليهم) هم ترجمان الوحي، بمعنى أنّهم هم من يبينون ما نزل على رسول الله عليه، أي يُبينون القرآن وأحكام الإسلام، وهذا ما تُشير إليه الكثير من الروايات الشريفة الواردة عن أمير المؤمنين من قبيل أنه عن الماروايات الله عن فوالله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار ولا مسير ولا مقام إلا وقد أقرأنيها رسول الله على وعلمنى تأويلها»...(۱)

⁽١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٣٥ ح ١١٥٨/ ٥٦.

الإشارة السادسة: هم أركان توحيده.

التوحيد له أركان يقوم عليها، والإيهان بأهل البيت يمثل تلك الأركان؛ لذلك كان التبليغ بولاية أمير المؤمنين هو اختزال لكلِّ رسالة النبي الأعظم عليه، قال الله والله والله

وكلام الله متواترٌ؛ لقطعية صدوره، وهذه الآية واضحةٌ لا لبس في مفهومها؛ لقطعية دلالتها؛ لذا لا يمكن لأيّ أحد إنكار مدلولها، مع ضم الروايات الكثيرة والمتواترة في حادثة الغدير.

الإشارة السابعة: هم خزان معرفته.

ومعناه واضح، كما تقدّمت الكثير من الآيات والروايات دليلًا وإثباتًا عليه.

ومن مجموع ما تقدّم من أنّهم هم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم، وبهم يدخل الناس إلى الجنة، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة، وهم الأبواب إلى الله (جلّ وعلا)؛ لذا كانوا أمانًا لأهل الأرض كما إنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء. على حد تعبيره على أكثر من موضع.

قال الشيخ على:

وقد تقدّم الكلام عن حديث السفينة ودلالاته.

الإشارة الثامنة: هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

قبل الولوج في توضيح المراد من هذه الإشارة، لا بُد من الإشارة إلى أنَّ هناك

آياتٍ قد تنزل في حادثةٍ معينة في شخص معين، لكنها تمثل قاعدةً عامة تنطبق على الحالات المشابهة، على الأشخاص الذين يتطابقون من حيث المواصفات مع الشخص الذي نزلت فيه الآية، أيّ إنّها تنظر إلى علة الحدث أو وصف الشخص لا إلى ذاتيها وتنزل، فيكون المدار لا على نفس الشخص أو نفس الحادثة، بل على العنوان العام الذي انطبق على الشخص أو الحادثة.

ولعلَّ هذه كبرى في التفسير القرآني، تندرج تحتها العديد من الآيات الكريمة، منها ما روي عن ابن عباس: ما أنزل الله في القرآن ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلّا وعلى أميرها وشريفها. (١)

لكن هذا لا يعني أنَّها خاصة بأمير المؤمنين، إنَّها تعني أنَّه عني أنَّه المصداق الأبرز لهذا العنوان.

والخلاصة: أنَّ هناك آياتٍ قرآنيةً تُشير إلى العنوان، فتنطبق هذه الآية على كلِّ مصداق ينطبق عليه ذلك العنوان.

⁽١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ١٠٤.

وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٥٢: روى جماعة من الثقات عن الأعمش عن عباية الأسدي عن علي الله والليث عن مجاهد، والسدي عن أبي مالك، وابن أبي ليلى، عن داود بن على، عن أبيه وابن جريح عن عطاء، وعكرمة وسعيد بن جبير، كلهم عن ابن عباس. وروى العوام بن حوشب عن مجاهد، وروى الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة كلهم عن النبي أنه قال: «ما انزل الله تعالى آية في القرآن فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي أميرها وشريفها». وفي رواية حذيفة «الاكان لعلي بن أبي طالب لبها ولبابها». وفي روايات «إلا على رأسها وأميرها». وفي رواية يوسف بن موسى القطان، ووكيع بن الجراح «أميرها وشريفها لأنه أول المؤمنين ايهانا»، وفي رواية إبراهيم الثقفي، وأحمد بن حنبل وابن بطة العكبري، عن عكرمة، عن ابن عباس «الا علي رأسها وشريفها وأميرها». وفي صحيفة الرضا (ليس في القرآن يا أيها الذين آمنوا الا في حقنا ولا في التوراة يا أيها الناس الا فينا»، وفي تفسير مجاهد قال: ما كان في القرآن يا أيها الذين آمنوا فان لعلي سابقه ذلك الآية لأنه سبقهم إلى الاسلام فسهاه الله في تسع وثهانين موضعا أمير المؤمنين وسيد المخاطبين إلى يوم الدين.

ومن هذه الآيات ما ذكرها الشيخ الله في قوله: (وأنّهم حسب ما جاء في الكتاب المجيد ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

فقد وردت هذه الآية وصفًا للملائكة، كما في خُطبةٍ لأمير المؤمنين في نهج البلاغة (٢)، كما وردت في رواياتٍ أخرى وصفًا لأهل البيت الله وذلك لاشتراكهما في عنوان العصمة، وأنهم ليسوا أبناء الله في ولا أربابًا، بل هم عبادٌ له في موصوفون بالعصمة، ومن ثم فكلُ عبدٍ معصوم يصحُ أن يكون معنونًا بهذا العنوان، ويدخل تحت وصف هذه الآية المباركة؛ لذلك فسرت تارةً بالملائكة، وأخرى بأهل البيت النفس، بنفس اللحاظ أي إنهم مخلوقون معصومون.

وقد ورد في بعض الروايات الشريفة استشهاد أهل البيت الله بهذه الآية على نفي الربوبية عنهم، إذ غالت فئةٌ من المسلمين بالإمام علي ، حتى ادعت إلوهيته، وادّعت أيضًا ألوهية بعض الأئمة الله كما ادعت النصارى أنَّ المسيح ابن الله، وادّعت اليهود أنَّ العزير ابن الله كما ورد في القران الكريم (٣)، فكانوا الله الله كما ورد في القران الكريم (٣)، فكانوا الله الله كما ورد في القران الكريم (٣)،

⁽١) الأنبياء ٢٦ – ٢٧.

⁽٢) في نهج البلاغة ج١ ص ١٦٩ قال أمير المؤمنين : «ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَه لِإِسْكَانِ سَهَا وَاتِه، وعِهَارَةِ الصَّفِيحِ الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِه، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِه، ومَلاَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِها وحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ الصَّفِيحِ الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِه، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِه، ومَلاَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِها وحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجُوائِها، وبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ المُسَبِّحِينَ، مِنْهُمْ فِي حَظائِرِ الْقُدُسِ، وسُتُرَاتِ الحُجُبِ وسُرَادِقَاتِ المُجْدِ، ووَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُ مِنْه الأَسْمَاعُ، سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا، وأَنْشَاهُمْ عَلَى صُورٍ خُتْلِفَاتٍ وأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، (أُولِي أَجْنِحَةٍ) بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا، وأَنْشَاهُمْ عَلَى صُورٍ خُتْلِفَاتٍ وأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، (أُولِي أَجْنِحَةٍ) تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِه، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الخُلْقِ مِنْ صُنْعِه، ولَا يَدَّعُونَ أَنَهُمْ يَغُلُونَ شَيْئاً مَعَه مِمَّا انْفَرَدَ لَى عَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَه بِالْقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ ﴾..».

⁽٣) قاَل تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَٰزَيْرٌ ابْنُ اللهٰ وَقَالَتِ النَّصارىٰ المُسِيحُ ابْنُ اللهٰ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة ٣٠].

مستشهدين بهذه الآية المباركة؛ ليبينوا أنَّهم عباد مخلوقون، والمخلوق ليس ربًا، نعم، هم موصوفون بالعصمة.

منها ما روي عَنِ اللَّفُضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ أَنَا والْقَاسِمُ شَرِيكِي وَنَجْمُ بْنُ حَطِيمٍ وَصَالِحُ بْنُ سَهْلٍ بِاللَّدِينَةِ، فَتَنَاظُرْنَا فِي الرُّبُوبِيَّةِ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: مَا تَصْنَعُونَ بِهَذَا نَحْنُ بِالْقُرْبِ مِنْه، ولَيْسَ مِنَّا فِي تَقِيَّةٍ، قُومُوا بِنَا إِلَيْه. قَالَ: فَقُمْنَا، فَوَالله مَا بَلَغْنَا الْبَابَ إِلَّا وقَدْ خَرَجَ عَلَيْنَا بِلَا حِذَاءٍ ولَا رِدَاءٍ، قَدْ قَامَ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِه مِنْه، وهُو يَقُولُ: لا، لا يَا مُفَضَّلُ، ويَا قَاسِمُ، ويَا نَجْمُ، لا، لا، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونه بِالْقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ. (١)

الإشارة التاسعة: هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

قال تَتُنُ : «وأنَّهم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا».

هذه إشارةٌ إلى آية التطهير التي تواتر نزولها بشأن أهل البيت الله الله عددٌ كبير من الصحابة يبلغ حد التواتر، ولا يشكك بها إلا ضعيف المعرفة في أصول الحديث وأصول التفسير.

وتثبت هذه الآية أنَّ الأئمة على مطهرون من الرجس، أي أنهم مطهرون من جميع الذنوب والمعاصي، فإذا ثبت ذلك ثبت أنَّهم معصومون، وثبت أنَّهم حججٌ علينا؛ لأنَّ أقوالهم دائمًا معصومة، ومن ثم يثبت لزوم طاعتهم وهو المطلوب.

فإنه إنْ كانت كلُّ أقوالهم مطابقةً لما يريد الله ولا يحتمل فيها الخطأ أبدًا على مستوى القول والعمل، وجب علينا أنْ نطيعهم؛ لأنهم لا يأمرون إلا بها يريد الله ولا ينهون إلا عمّا نهى عنه.

⁽۱) الكافي للكليني ج ٨ ص ٢٣١ ح ٣٠٣.

الإشارة العاشرة: عدم جواز الرد عليهم.

قال الله على الله على الله على الله على الله على الله على والراد على والراد على رسول الله على الله عل

الإشارة الحادية عشرة: عدم فراغ الذمة إلا بالرجوع إليهم.

قال الله على الله على

وذلك لأنبّه معصومون، وغيرهم ليس بمعصوم، وطبقًا لقاعدة الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني، ونحن على يقين بأننا مكلفون بأحكام شرعية كالصلاة والصوم والحج وغيرها، فإذا أطعنا غير المعصوم في صلاتنا مثلًا؛ فإننا لا نتيقن فراغ الذمة منها؛ لاحتمال إتياننا بها على النحو الخاطئ، والإتيان بها على النحو الخاطئ كعدمه، فمن يطلب منك أن تسقي زهرةً مثلًا كي تنمو ولا تموت، فإن سقيتها من دون دراية ومن دون استشارة أهل التخصص، لربها قلّلت من كمية الماء اللازمة، ولربها أكثرت، وفي كلتا الحالتين لم تحقق الغاية التي استهدفها من أمرك بسقايتها، وبالتالي فإنَّ هذا الامتثال كعدمه.

من هُنا فإنَّ العقل -قبل الأدلة الشرعية- هو الذي يحكم بالاستناد إلى المعصوم عند الامتثال للأحكام الشرعية؛ لضهان إبرائها للذمة، وبالتالي يحكم بلزوم طاعة المعصوم لفراغ الذمة مما انشغلت به من تكاليف.

الإشارة الثانية عشرة: المهم في بحث الإمامة إثبات لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام

الله تعالى الشرعية.

قال الناس الناس الناس الله الإلهية، فإنَّ ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ، وليس في إثباته ما الشرعيون وأهل السلطة الإلهية، فإنَّ ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ، وليس في إثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد، أو يعيد الحقوق المسلوبة إلى أهلها، وإنها الذي يهمنا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به».

وقد يُعترض في هذا الأمر على قول الشيخ الإمامة تعد أُس وأساس الإسلام كما ورد في بعض الروايات الشريفة، وورد في أخرى أنّه لم يُنادَ في الإسلام كما نودي بالولاية، فقد روي عَنْ أَبِي جَعْفَرِ عَنْ قَالَ: "بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خُسٍ: عَلَى الصَّلَاقِ والزَّكَاةِ والصَّوْم والحُجِّ والْوَلَايَةِ، ولَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ». (١)

وهكذا فإن البحث عن الإمامة يُعدُّ من أهم المباحث العقائدية!

لكن ربها قال الشيخ الله ما قال - والله العالم - من باب المجاراة مع القوم الذين لا يعترفون بخلافتهم المباشرة، فكأنّها يرد عليهم من باب أقُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا اشْهَدُوا إِأَنّا مُسْلِمُونَ ﴿ (٢)

فكأنه يقول لهم: حتى وإنْ سلّمنا أنّهم ليسوا بخلفاء بعد النبي يَلِيُّ بلا فصل، فإنَّنا

⁽١) الكافي للكليني ج٢ ص ١٨ بَابُ دَعَائِم الإِسْلاَم ح١..

⁽٢) آل عمران ٦٤

نتيقن بأننا مكلفون بتكاليف شرعية أولًا، وأنَّ هناك مذاهب متعددة تعتقد بجواز الرجوع إلى أي مذهبٍ منها ثانيًا، وأنَّ الاختلاف بين المذاهب قد يصل إلى حد التضاد أحيانًا ثالثًا، والعقل يحكم بضرورة فراغ ذمة المكلف من الأحكام الشرعية رابعًا، وعليه لابُد من البحث عن المذهب الذي نتيقن بفراغ ذمة المكلف بالالتزام به.

فإن كان المدار البحث عن الأعلم والأكمل، فهل تعرفون لهم من نظير بين علماء الإسلام كلهم؟ هل هناك من قال في حقهم الرسول الأكرم على ما قال فيهم في حديث الثقلين والنجوم وغيرها.

إذًا يجب علينا أنْ نطيعهم لا أنْ نطيع غيرهم، ونستقي العلوم منهم لا من غيرهم، ونمتثل للأحكام الشرعية بناءً على قولهم لا على قول غيرهم.

مما تقدم وبعدّهم (سلام الله عليهم) في عداد العلماء دون خلافة أو إمامة يتوصل الشيخ الله على عقلى قطعى في وجوب طاعتهم، فيقول:

«والدليل القطعي دالٌ على وجوب الرجوع إلى آل البيت وأنّهم المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله تعالى المنزلة وعلى الأقل قوله (عليه أفضل التحيات): «إنّي قد تركت فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السهاء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنّها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وقد اتفقت الرواية على هذا الحديث من قبل السنة والشيعة».

ثم يؤكد سهاحته هاعلى دقة انتقاء الرسول الأعظم الله للألفاظ التي تشير بوضوح إلى تأكيده الله تعالى): «فدقق الى تأكيده الله تعالى): «فدقق النظر في هذا الحديث الجليل تجد ما يقنعك ويدهشك في مبناه ومعناه، فها أبعد المرمى في قوله: «إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا» والذي تركه فينا هما الثقلان معا إذ جعلها كأمر واحد ولم يكتف بالتمسك بواحد منها فقط، فبها معا لن نضل بعده أبدا».

إشكالٌ وجوابه:

ربها يُشكل أحدهم مُدعيًا أنَّ كلَّ هذه الأحاديث الصحيحة التي تقدَّمت إنها وردت على لسان الرسول الأكرم سَلِيَّ للدلالة على وجوب حبهم فقط لا على لزوم طاعتهم.

وفي مقام الرد نقول:

إِنَّا وإِنْ سلّمنا بصحة ادعاء المُشكل هذا، فها هو القرآن الكريم ذا يُشير إلى أَنَّ اللهَ المحبة لا تكون إلا منبثقة من الطاعة، قال (عزّ من قائل): ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.(١)

فحبٌ من دون طاعة إنّها هو محالٌ؛ لأنه تفريقٌ بين اللازم وملزومه، والتفريق بينهما غير صحيح، وما القول به إلا حياد من الصواب وهروب من الحق.

⁽١) آل عمران ٣١

عقيدتنا في حب آل البيت عليهم السلام

قال الشيخ على: «عقديتنا في حُبِّ آلِ البيت:

قال الله ١٤ ﴿ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المُودَّةَ فِي الْقُرْبِي ﴾ (١)

نعتقد أنه زيادةً على وجوب التمسك بآل البيت، يجب على كُلِّ مسلم أن يدين بحبهم ومودتهم، لأنه في هذه الآية المذكورة حصر المسؤول عليه الناس في المودة في القربى.

وقد تواتر عن النبي عَلَيْ أَنَّ حُبَّهم علامة الإيمان، وأنَّ بغضهم علامة النفاق، وأنَّ من أحبهم أحبّ الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله.

بل حبهم فرضٌ من ضروريات الدين الإسلامي التي لا تقبل الجدل والشك. وقد اتفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نحلهم وآرائهم، عدا فئة قليلة اعتُبروا من أعداء آل محمد، فنُبزوا باسم (النواصب) أي من نصبوا العداوة لآلِ بيت محمد. وبهذا يُعدّون من المُنكرين لضرورة إسلامية ثابتة بالقطع. والمنكر للضرورة الإسلامية كوجوب الصلاة والزكاة يعد في حكم المنكر لأصل الرسالة، بل هو على التحقيق مُنكرٌ للرسالة، وإن أقرَّ في ظاهر الحال بالشهادتين، ولأجل هذا كان بغض آل محمد من علامات النفاق وحبهم من علامات الإيان. ولأجله أيضاً كان بغضهم بغضاً لله ولرسوله.

ولا شكَّ أنَّه ﴿ لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهلٌ للحب والولاء، من ناحية قربهم إليه ﴿ وَمَنْ للهِ مَا يُبعد عن قربهم إليه ﴿ وَمَنْ للهِ مَا يُبعد عن الشرك والمعاصي ومن كُلِّ ما يُبعد عن

⁽١) الشوري ٢٣

دار كرامته وساحة رضاه.

ولا يمكن أنْ تتصور أنه إلى يفرض حُبّ من يرتكب المعاصي أو لا يُطيعه حقّ طاعته، فإنّه ليس له قرابةٌ مع أحدٍ أو صداقةٌ وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلا عبيداً مخلوقين على حدٍ سواء، وإنّها أكرمهم عند الله أتقاهم. فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بد أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً، وإلا كان غيره أولى بذلك الحب، أو كان الله يفضل بعضاً على بعض في وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة استحقاق وكرامة.» انتهى.

إنَّ جميع من يدَّعي الإسلام لا يجدُ مناصًا من حب آل البيت عليه، ولا يخالف هذه المسألة إلا النواصب، وهم بذلك يخرجون عن الإسلام.

وقد اعتمد الشيخ في هذه العقيدة على قوله تعالى ﴿قُلْ لا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا اللَّوَدَّةَ فِي الْقُرْبِيٰ﴾.(١)

ولمزيدٍ من الإيضاح حول ما ذكره الشيخ رحمه الله في هذه المسألة نذكر عدة أسئلة تتعلق مها:

السؤال الأول: ما هو معنى هذه الآية؟

وردت العديد من التفسيرات لهذه الآية المباركة، بعضها ضعيفٌ جدًا فأثرنا عدم التعرض إليه فنقتصر على آراء ثلاثة:

الأول: إنَّ النبي عَيِّلًا في هذه الآية يخاطب قريش، طالبًا منهم أن لا يؤذوه وإنْ لم يكونوا مؤمنين به؛ وذلك للقرابة التي تربطه بهم، فتكون كلمة (في) في قوله: ﴿إِلَّا المُوَدَّةَ فِي الْقُرْبِي ﴾ هي (في السببية)، على غرار (دخلت امرأةٌ النار في هِرّةٍ حبستها حتى ماتت).

⁽١) الشورى ٢٣

وهذا الرأي واضحُ البطلان وضعيفٌ جدًا، إذ كيف يُتصور طلب الأجر ممن لم يؤمن به عَلَيْهَ؟! فإنَّ الأجر إنَّما يكون إزاء خدمةٍ مُعترفٍ بها من قبل الطرف الآخر، والمشركون لم يعترفوا بذلك ليصح طلب الأجر منهم.

الثاني: إنَّ النبي عَلَيْهَ يُخاطب جميع المسلمين طالبًا منهم أنْ يحبوا من يتقرب إلى الله على الله على

وهذا الرأي ضعيفٌ باطلٌ من جهتين:

أولهما: نصَّ أهل اللغة على أنَّ كلمة القُربي لا تُستعمل في (التقرب)، وإنَّما هي بمعنى القرابة، وهذا خلاف الرأي هذا.

ثانيهما: ورد في النصوص المتواترة أنَّ المقصود من (القُربي) هو خصوص قرابة الرسول عَلَيْه، فيكون تفسيرها بـ(التقرب) حينئذ اجتهادًا في مقابل النص، والاجتهاد في مقابل ما ثبت في الشريعة الإسلامية كنصٍ واضحٍ باطلٌ، فيكون هذا التفسير باطلًا.

الثالث: إنَّ النبي عَيَّالَةً يُخاطب المسلمين جميعًا طالبًا منهم أنْ يودوا قرابته وهو المعنى المُتعين.

السؤال الثاني: بعد أنْ علمنا أنَّ معنى (القربي) هم قرابة الرسول على فالآية المباركة قصدت أيًّا منهم تحديدًا؟

الجواب: ذكر المفسرون رأيين:

الرأي الأول: إنَّ المقصود بـ(القربي) جميع أقرباء الرسول عَنَّهُ، أيِّ إنَّ المسلمين جميعًا مأمورون بمودة كل من يمتُّ إليه بقرابة، فيشمل ذلك جميع قريش، وهذا الرأي واضحُ البطلان لجهاتِ ثلاث:

الجهة الأولى: للقرينة العقلية، إذْ لا يُتصور أنْ يُطلب من المسلمين أنْ يودوا قرابة

الرسول على الله على لعنه ﴿ تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهُ بِ وَتَبَّ ﴾. (١)

الجهة الثانية: لمعارضته قوله ﴿ ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُومِهُمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَخْتِهَا الْأَمْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولِئِكَ حِزْبُ الله أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

فهذه الآية صريحةٌ في أنَّ الذي يؤمنُ بالله واليوم الآخر لا يودُّ من يُحادِّ الله ورسوله وإنْ كان أبًا أو ابنًا أو أخًا، ونحن نعلم أنَّ أيَّ مقولةٍ تتعارض مع القرآن الكريم يُضرب ما عرض الجدار.

الجهة الثالثة: من المعلوم أنَّ النبي الله كان يظهر منه الاعتناء بمجموعة خاصة من قرابته وهم أهل الكساء، والروايات كثيرة في هذا المجال تبين بأنّه على كلِّ أقربائه، ويجعلهم كنفسه، ويتألم لألمهم، ويفرح لفرحهم، فكيف نتصور أنْ يساويهم بذلك المشرك الذي شهر السيف بوجهه الله وإنْ أسلم فإنَّ إسلامه بعد اللتيا والتي.

الرأي الثاني: إنَّ المقصود من القرابة هم خصوص أصحاب الكساء وهم (عليٌ، وفاطمة والحسنان صلوات الله وسلامه عليهم)، وهذا هو المعنى المتعين، والذي دلت عليه الروايات الكثيرة من كتب القوم فضلًا عن كتبنا، فمثلًا رووا عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا المُودَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك التي افترض الله علينا مودتهم؟ قال: «عليٌّ وفاطمة وولدها. يرددها». (٣)

⁽١) المسد ١.

⁽٢) المجادلة ٢٢.

⁽٣) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحاكم الحسكاني ج٢ ص ١٩١ ح ٨٢٤.

والروايات في هذا المجال كثيرة وعديدة.

السؤال الثالث: أشكل البعض خصوصًا السلفية والوهابية، وملخص إشكالهم: إنَّ آية المودة وردت في سورة الشورى، وسورة الشورى مكية، وإنَّ عليًا على تزوج بفاطمة (سلام الله عليها) في المدينة المنورة، فكيف نتصور أنّ هذه الآية وهي من سورة الشورى المكية نزلت في علي وفاطمة وابنيهما وهما لم يتزوجا بعد ولم يولد الحسنان بعد؟ ويمكن الجواب عنه من جهتين:

الأولى: إنَّ أهل الفن نصوا على أنَّ خصوص هذه الآية مدنية، أيِّ إنَّ سورة الشورى مكية إلا آية المودة وما بعدها من آيتين أو ثلاث فهن آياتٌ مدنيات، وأنْ تجمع سورةٌ واحدةٌ آياتٍ مكية وأخرى مدنية أمرٌ مُتعارفٌ عليه في القرآن الكريم، وقد نصَّ أهل الفن وأكدوا على أنّ هذه الآية من سورة الشورى مدنية.

الثانية: حتى وإن سلّمنا جدلًا بأنّ هذه الآية مكية، فقد جاءت على نحو القضية الحقيقية، وهي القضية التي تتحقق في أيِّ وقتٍ وجِدَ من تنطبقُ عليه في الخارج، كما في الأحكام الشرعية المأخوذة على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، ومنها الآيات التي أوجبت علينا الصلاة ولم نكن موجودين خارجًا عند نزول القرآن الكريم، ولكن لكونها على نحو القضية الحقيقية فمتى ما وجِد المكلفون انطبق حكمها عليهم وهو وجوب الصلاة.

وعليه، فإنَّ آية المودة ليست مأخوذة على نحو القضية الخارجية، أي إنَّها تنطبقُ على خصوص الأفراد الموجودين من القرابة في الخارج فعلًا وقت النزول، بل على نحو القضية الحقيقة، أي متى ما وجد الأفراد الذين تنطبق عليهم في الخارج فإنَّها تتحقق ولو في المستقبل، ومن تنطبق عليه هم الذين ذكرهم رسول الله عليهم الآية المباركة.

السؤال الرابع: هل تختص الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين الله فقط؟ أو تشمل بقية الأئمة الله فقط؟

الجواب: بل تشمل الأئمة كلهم الله المروايات الخاصة والدالة على ذلك، ومنها ما روي عَنْ أَبِي جَعْفَرِ هِ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿قُلْ لا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المُودّةَ فِي الْقُرْبِي ﴾، قَالَ: هُمُ الأَئِمَّةُ عَلَيْهِ .(١)

السؤال الخامس: كيف يطلب النبي الله أجرًا على رسالته، على حين أنّ الأنبياء عمومًا لم يطلبوا ذلك، وكان قولهم: ﴿ وَمَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَىٰ رَبِّ الْعَالَىٰ فَي فَعْ يَعْدِ اللَّهِ عَلَىٰ مَا اللَّجِرِ؟ الْعَالَينَ ﴾ (٢) فكيف يطلب النبي الله هذا الأجر؟

قبل الجواب عن هذا السؤال، تجدر الإشارة إلى أنّه لعله يتضمن جرأةً وجهلًا في آنٍ واحد، فأما الجرأة؛ ففي التطاول على مقام القرآن العزيز والنبي الأكرم على، وأما الجهل؛ ففي فهم آيات القرآن الكريم، إذ لابُدّ أنْ يؤخذ القرآن الكريم ككلِّ واحدٍ في تفسير آياته؛ لأنّها تفسر بعضها بعضًا، ولذا ذمّ الله من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وهنا دعوة إلى الرجوع إلى أهل البيت عليه في تفسير القران.

والجواب: بناءً على ما تقدّم، فإنَّ القرآن الكريم بيّن أنَّ هذا الأجر الذي طلبه النبي على السبيل الأقوم لمن يبتغي الوصول إلى رضا الله على، قال على: ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾(٣)، ومن ثم فإنَّ الالتزام به يعود بالفائدة على الملتزم نفسه لا على الرسول على الله وهُو عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَائل): ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُو لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الله وَهُو عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ

⁽١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤١٣ بَابٌ فِيه نُكَتٌ ونُتَفٌ مِنَ التَّنْزِيل فِي الْوَلاَيَةِ ح٧.

⁽٢) الشعراء١٠٩

⁽٣) الفرقان ٥٧

شَهِيدٌ﴾.(١)

السؤال السادس: لو سلّمنا أنّ مفاد آية المودة هو إظهار المودة لأهل البيت السؤال السؤال السادس: لو سلّمنا أنّ مودتهم كأجرٍ للرسالة، فما الدليل على أنّ مودتهم تستلزم إطاعتهم؟ فلنقل: إنه تلزم مودتهم ولكن في باب الطاعة فتتم إطاعة غيرهم؟!

الجواب: ربما يصحُّ هذا الكلام في المودة الاعتيادية، أما في مودةٍ تُمثل أجرًا للرسالة الخاتمة، أي تُمثل أجرًا لما قدّمه النبي الأكرم على من تضحيات جسيمة، وما تحمّله من أذى بالغ حتى قال: «ما أوذي نبي قط كما اوذيت» (٢)، فهذه المودة يجب أنْ تكون متناسبة مع عظمة الرسالة، ولا يُمكن أنْ نتصور أنَّ هذه المودة التي تمثل أجر رسالة النبي على كمودة أحدنا للآخر مما لا تستلزم الطاعة.

إشارات:

الإشارة الأولى: إنَّ وجوب الحب والمودة لآل البيت الله على طهارتهم من الشرك والمعاصي، أي يدلُّ على عصمتهم، وهذا ما أشار إليه الشيخ القوله: «ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل للحب والولاء، من ناحية قربهم إليه سبحانه، ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرك والمعاصي ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه.

ولا يمكن أن تتصور أنه تعالى يفرض حب من يرتكب المعاصي أو لا يطيعه حق طاعته، فإنه ليس له قرابة مع أحد أو صداقة وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلا عبيداً خلوقين على حد سواء، وإنها أكرمهم عند الله أتقاهم. فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بد أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً، وإلا كان غيره أولى بذلك الحب، أو كان الله

⁽١) سبأ ٧٤.

⁽٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص ٤٢.

تعالى يفضّل بعضاً على بعض في وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة استحقاق وكرامة».

فلا يُعقل أنْ يأمرنا الله الله بمحبتهم وهم يهارسون المعصية، وعليه؛ فإنَّ هذا الوجوب يكشفُ عن طهارتهم وعصمتهم، ومن ثم ذُكرت هذه الآية المباركة كدليلٍ على عصمتهم.

الإشارة الثانية: إنَّ وجوب حبِّهم يُلازم خروج مُبغضهم عن الدين والإسلام؛ لأنَّ بغضهم يعني تكذيبًا لرسول الله على وردًا لأمر الله على، حيث إنها يقو لان بوجوب حب أهل البيت على فيكون بغضهم على ونصب العداء لهم مخالفةً لأمر الله على، ومن ثم الخروج عن الإسلام، وهذا ما أشار إليه الشيخ ايضًا في كلامه حيث قال: «وقد تواتر عن النبي على أن حبهم علامة الإيمان، وأن بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله. بل حبهم فرض من ضروريات الدين الاسلامي التي لا تقبل الجدل والشك... بل هو على التحقيق منكر للرسالة، وإن أقر في ظاهر الحال بالشهادتين، ولأجل هذا كان بغض آل محمد من علامات النفاق وحبهم من علامات النفاق وحبهم من علامات الإيمان. ولأجله أيضاً كان بغضاً لله ولرسوله».

الإشارة الثالثة: إنَّ لزوم المحبة يعني لزوم الاتباع؛ إذ لا معنى للحُبِّ من دون طاعة؛ لقوله (عزَّ من قائل): ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبُكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. (١)

فمن دون اتباع أهل البيت علا الله الله الله عنه المودة.

وهذا الأمر يجري حتى على من يدّعي التشيع؛ فادعاء حبهم لا يكفي، بل لابد من الاتباع العملي لهم الله وقد ورد عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ قَالَ: قَالَ لِي: «يَا

⁽١) آل عمران ٣١.

جَابِرُ، أَيَكْتَفِي مَنِ انْتَحَلَ التَّشَيُّعَ أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَوَالله مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنِ اتَّقَى الله وأَطَاعَه، ومَا كَانُوا يُعْرَفُونَ يَا جَابِرُ، إِلَّا بِالتَّوَاضُعِ، والتَّخَشُّعِ، والأَمَانَةِ، وكَثْرَةِ ذِكْرِ الله، والصَّوْمِ والصَّلَاةِ والْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ، والتَّعَاهُدِ لِلْجِيرَانِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وأَهْلِ المُسْكَنَةِ والْغَارِمِينَ، والطَّيْتَامِ، وصِدْقِ الحُدِيثِ وتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وكَفِّ الأَلْسُنِ عَنِ النَّاسِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، وكَانُوا أُمَنَاءَ عَشَائِرِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ.

قَالَ جَابِرٌ': فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ الله، مَا نَعْرِفُ الْيَوْمَ أَحَداً بِهَذِه الصَّفَةِ!

فَقَالَ ﷺ: يَا جَابِرُ، لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ أُحِبُّ عَلِيّاً وأَتَوَلَّاه ثُمَّ لَا يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ فَعَالاً!

فَلَوْ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ رَسُولَ الله عَلَيْ، فَرَسُولُ الله عَلَيْ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ هَ، ثُمَّ لَا يَتَبِعُ سِيرَتَه ولَا يَعْمَلُوا لِمَا عِنْدَ الله، لَيْسَ بَيْنَ الله واعْمَلُوا لِمَا عِنْدَ الله، لَيْسَ بَيْنَ الله وبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى الله وأكْرَمُهُمْ عَلَيْه أَتْقَاهُمْ وأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِه، يَا الله وبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى الله وأكْرَمُهُمْ عَلَيْه أَتْقَاهُمْ وأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِه، يَا جَابِرُ، والله مَا يُتَقَرَّبُ إِلَى الله تَبَارَكَ وتَعَالَى إِلَّا بِالطَّاعَةِ، ومَا مَعَنَا بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، ولَا عَلَى الله لأَحَدٍ مِنْ حُجَّةٍ مَنْ كَانَ لله مُطيعاً فَهُو لَنَا وَلِيُّ، ومَنْ كَانَ لله عَاصِياً فَهُو لَنَا عَدُونُ، ومَا تُنَالُ وَلَا يَلُو إِلَّا بِالْعَمَلِ والْوَرَعِ. (١)

⁽١) الكافي للكليني ج٢ ص ٧٤ - ٧٥ بَابُ الطَّاعَةِ والتَّقْوَى ح٣.

عقيدتنا في الأئمة عليهم السلام

قال الشيخ تَتَثِينُ: «عقيدتنا في الأئمة:

لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقده الغُلاة والحلوليون (كبُرت كلمةٌ تخرجُ من أفواههم). بل عقديتنا الخاصة أنهم بشرٌ مثلنا، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإنّا هم عبادٌ مكرمون اختصهم الله بكرامته وحباهم بولايته، إذ كانوا في أعلى درجات الكهال اللائقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفة وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحدٌ من البشر فيها اختصوا به. وبهذا استحقوا أن يكونوا أئمةً وهُداةً ومرجعاً بعد النبي في كل ما يعود للناس من أحكام وحكم، وما يرجع للدين من بيان وتشريع، وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل.

قال إمامنا الصادق الله الصادق الله عنا مما يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تعلموه ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه إلينا، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين فأجحدوه ولا تردوه إلينا». "انتهى.

بعد أن انتهينا إلى أنَّهم الله خلفاء رسول الله على حقًا وثبت لهم من الصفات ما لم تثبت لغيرهم، كالعصمة والعلم الخاص، فقد يخطر على الذهن ما يُردده بعض المخالفين، من أنَّ الشيعة يغالون في أئمتهم ويجعلونهم أربابًا وما شابه هذا الكلام؛ لذا كان من الفني جدًا أنْ يتطرّق الشيخ الله المي الميت المين ويمكن تلخيصها في نقطتين: والتي أوضح من خلالها حدّ الاعتقاد بأهلِ البيت الميلي، ويمكن تلخيصها في نقطتين:

النقطة الأولى: لا يخلو مسلمٌ من الاعتقاد بهم.

إنَّ مسألة الاعتقاد بأهل البيت على هي مسألةٌ لا يخلو منها مسلم سلبًا أو إيجابًا، فكلُّ مسلم مطالبٌ بأنْ يعتقد بأهل البيت صلوات الله عليهم، نعم، قد يكون هذا الاعتقاد إيجابياً (موافقا للأسس العامة للإسلام)، وقد يكون سلبيًا، وهذا السلبي قد يكون على نحو الإفراط في الاعتقاد بهم علي وهو (الغلو)، وقد يكون على نحو التفريط بالاعتقاد بهم عليه.

وهذا يعني أنَّ الناس في هذه المسألة على ثلاثِ مراتب، وقد أشار إليها أمير المؤمنين في قوله: «الْيَمِينُ والشِّمَالُ مَضَلَّةُ، والطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الجُادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الْحُومنين، وآثَارُ النَّبُوَّةِ، ومِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وإلَيْهَا مَضِيرُ الْعَاقِبَةِ...». (١)

والمراتبُ هي:

الأولى: مرتبة المُقصِّرة.

وهم الذين أنكروا مقامات أهل البيت الله ومنازلهم التي وهبها لهم رب العالمين، وربا عادوا أهل البيت وحاربوهم وأنكروا خلافتهم وإمامتهم، ولهم عدة أنحاء:

الثاني: من ساوى غيرهم بهم من المسلمين، فضلًا عمن فضّل غيرهم عليهم.

الثالث: من أنكر عصمتهم، ولعله يعترف بخلافتهم وإمامتهم.

الرابع: من أنكر كراماتهم ومعاجزهم.

⁽١) نهج البلاغة ج١ ص٥٠.

من كرامات.

الثانية: مرتبة الغلاة.

وهؤلاء على أنحاء:

الأول: من ادعى الألوهية لهم الله الله وهذا واضحٌ جدًا بأنَّه كفر.

الثاني: من أدى اعتقاده بالأئمة إلى إنكار نبوة النبي الأكرم الله، وهذا أيضًا من الكفر، وهذا الذي يدّعيه البعض علينا بأنَّ الشيعة يقولون: خان الأمين، خان الأمين، أي إنَّ الوحي نزل وكان مكلفًا بإعطاء النبوة للإمام علي ، لكنّه لم يجده فأعطاها للنبي منه وبهذا قد خان الأمانة!

وهو ادعاءٌ باطل ومكذوب على الشيعة، وأدلُّ دليلٍ على ذلك قول الشيعة أنفسهم بكفر من يعتقد بخيانة الأمين هذه، ولا يوجد شيعي يقول بهذا الشيء، ولكن ذكرناه من باب الاستقصاء العلمي.

الثالث: الذي اعتقد بأنَّ الأئمة على مُستقلون في أفعالهم عن الله ، وهذا مشركُ؛ إذ كما تقدم في مبحث التفويض أنَّ التفويض:

أ: التفويض المعتزلي: ومفاده أنَّ الإنسان مستقل بأفعاله عن الله وهذا يؤدي إلى الشم ك.

ب: التفويض الذي ذكره القرآن الكريم: كتفويض قبض الأرواح إلى ملك الموت، وكتفويض النبي عيسى في إحياء الموتى، فهذا التفويض يعني التوكيل، ولا يعني أنَّ أيّا من ملك الموت أو النبي عيسى الله مستقلٌ في فعله عن الله ، بل يبقيان محتاجين إلى الإذن الإلهي، وهذا النحو من التفويض لا يؤدي إلى الشرك؛ لأنّه بإذن الله ، وفي طول إرادته.

وعليه فإنَّ من يطلب من الأئمة حاجةً، كأن يطلب منه أنْ يرزقه ذرية مثلًا، فهذا إنْ كان يعتقد أنَّ الله ﴿ لا يستطيع أنْ يرزقه الذرية وأنَّ عليًا ﴿ هو الذي يستطيع ذلك مستقلًا عنه ﴿ ، فإن مثل هذا الشخص يُعدِّ مشركًا، وإنْ كان يعتقد أنَّ الإمام ﴿ يرزقه ذريةً بإذن الله تعالى وبكرامته عند الله (جلّ وعلا) لم يكن مشركًا البتة.

وهذا ما تعتقد المدرسة الإمامية؛ لأنَّ الائمة (سلام الله عليهم) تصدر منهم كرامات، وأما الرازق الحقيقي فهو الله بتوسط ولاية أمير المؤمنين فهذا تفويضً لكن لا على نحو الاستقلال، وأما الغلو فيقع فيها إذا اعتقد شخصٌ ما باستقلال أهل البيت الله عن الله في، ومن لم يكن معتقدًا بهذا الأمر فلا يُعدُّ مُغاليًا؛ لتوافق اعتقاده مع ما جاء في القرآن الكريم الذي ذكر مسألة التفويض بصورةٍ واضحة.

الرابع: من قال بالحلول، يعني أن أرواح الأئمة الله تحلُّ (تنتقل وتدخل) إلى أجساد بعض الناس، والذي عبر عنهم الشيخ بـ (الحلوليين)، وهذا التيار كان موجودًا حتى في زمن الأئمة (سلام الله عليهم) وفي بدايات الغيبة الصغرى، أما الآن فلا وجود علنياً له. نعم، ظهرت بعض التيارات في بعض السنوات السابقة ما تسمى بـ (السلوكيين) وهو قريب من الحلول أو هو نفسه.

المرتبة الثالثة: (النمرقة الوسطى).

وهم الآخذون بالحدِّ الوسط، فلا ينكرون مقاماتهم وكراماتهم كما يفعل المقصرة، ولا يرفعونهم إلى مقام الألوهية كما يفعل الغلاة. وهذه المرتبة هي المتوافقة مع النظام العام للإسلام، وهي المرتبة التي أرادها منّا أهل البيت الله وهي ما يلتزم به الشيعة في كلِّ الأزمنة وفي كلِّ أنحاء الأرض، روي عن أمير المؤمنين في بيان هذه المراتب: نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى، بِمَا يَلْحَقُ التَّالِي، وإلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي. (١)

⁽١) نهج البلاغة ج٤ ص ٢٦ الحكمة ١٠٩.

النقطة الثانية: حد الاعتقاد (النمرقة الوسطى).

هناك مجموعة من الأحاديث الشريفة تبين لنا أنَّ هذه المرتبة من الاعتقاد في الحقيقة هي مرتبةٌ عاليةٌ جدًا، ولا يعني الالتزام بها الوصول إلى حقيقة مقاماتهم أو معرفة كنه منازلهم على عَظم هذه المرتبة ويُبين حدَّها الدقيقَ -وفي نفس الوقت الغامض؛ إذ لا يمكن إدراك غوره - عدة روايات:

ما روي أنه قال أمير المؤمنين ﴿ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ الناعتين، وأنى يُقاس بهم أحد من العالمين؟ وكيف وهم النور الأول...».(١)

وروي عنهم عنه (نزهونا عن الربوبية (٢) وارفعوا عنا حظوظ البشرية، فلا يقاس بنا أحد من الناس». (٣)

وفي ما روي عنهم من إخبارهم بالمغيبات وتصحيح فكر الآخر بكونهم عبيدًا لله تعالى ما روي عن إسهاعيل بن عبد العزيز قال: «قال لي أبو عبد الله في ضع لي في المتوضأ ماءً. قال: فقمت فوضعت له فدخل، قال: فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضأ! فلم يلبث أن خرج فقال: يا إسهاعيل بن عبد العزيز، لا ترفعوا

⁽١) مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسي ص ١٧٧ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٥ ص ١٧١ - ١٧٢

⁽٢) في هذه الرواية وُجّه سؤال إلى السيد الخوئي نُقل في صراط النجاة - الميرزا جواد التبريزي - ج ٢ - ص ٤٥٢ تحت رقم السؤال ١٤٢١: «نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم» هل أن هذه المقولة حديث؟ وإلى من تنسب من الأئمة الأطهار:؟

ج/ الخوئي: لا يحتاج تنزيههم عن صفات الرب المختصة به واتصافهم بجميع ما عدى تلك من صفات الكهال التي يمكن أن تنالها البشرية في قدسيتها، كها هم منزهون عن ما لا يليق أن يتصف به المخلوق المعصوم عن الزلل والمعاصي لا تحتاج تلك إلى ورود رواية حتى نثبته بمضمونها إن كانت معتبرة، أو نظر حها إن كانت ضعيفة غير معتبرة، والله العالم.

⁽٣) مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسي ص ١٠١.

البناء فوق طاقتنا فينهدم، اجعلونا عبيدًا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم...».(١)

وعن خالد بن نجيح الجوار قال: «دخلت على أبي عبد الله ه وعنده خلق، فقنعت رأسي فجلست في ناحية وقلت في نفسي: ويحكم ما أغفلكم عند من تكلمون؟ عند رب العالمين! قال: فناداني: ويحك يا خالد، إني والله عبد مخلوق، لي ربُّ أعبده، إن لم أعبده والله عذّبنى بالنار. فقلت: لا والله لا أقول فيك أبدا إلا قولك في نفسك». (٢)

وفي رواية عن أمير المؤمنين أنه قال لأبي ذر: «اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله وخليفته على عباده لا تجعلونا أربابًا، وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفُكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون». (٣)

وهذه الروايات تحكي واقعًا صحيحًا، وهو أنَّ الائمة على ليسوا آلهة لكنهم من العظمة بمكان بحيث لا ندرك حقيقتهم.

وهو بحثٌ خاصٌ بالمدرسة الإمامية؛ وذلك لأنها هي الوحيدة التي تُنزل أهل البيت المنزلة الوسطى، حيث لا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا تقصير. فمن الضروري التعرف إليها ليعلم كلٌ منا أين موقعه ومرتبته في اعتقاده بهم المناه المناه على مراتب متعددة، وهي على نحو الإجمال:

⁽۱) بصائر الدرجات للصفار (ص ۲۶۱ باب (۱۰) باب في الأئمة انهم يعرفون الاضمار وحديث النفس قبل ان يخبروا به/ ح ۲۲)

⁽٢) بصائر الدرجات للصفار (ص ٢٦١ - ٢٦٢ باب (١٠) باب في الأئمة انهم يعرفون الاضمار وحديث النفس قبل ان يخبروا به/ ح ٢٥)

⁽٣) بحار الأنوار للمجلسي ج٢٦ ص ٢.

مراتب المعرفة بأهل البيت عليهم السلام

المرتبة الأولى: المعرفة الإجمالية:

فهناك من لا يعرف عن أهل البيت الله إلا أسهاءهم، وأنهم هم الذين تجب طاعتهم وموالاتهم، وهم أهل الكساء والذرية المعصومة من الإمام الحسين، وهذه المرتبة على بساطتها أفضل ممن يُنكر مقاماتهم، ولكنها معرفةٌ متواضعة جدًا، لا ترتقي بالإنسان الموالي إلى مراتب الكهال المطلوبة. نعم، بالنسبة للعجائز أو ممن عقله لا يُحسن أنْ يحمل أكثر من هذا المقدار فهذا معذورٌ، لكن الإنسان الذي يتمتع بعقلٍ يمكنه المعرفة أكثر من ذلك، ويستطيع أن يصل إلى كهالٍ أعلى بطلب العلم، فلا يُكتفى منه بهذه المرتبة.

المرتبة الثانية: الجمع بين محبتهم ومحبة أعدائهم.

هناك من يعرف أسهاء أهل البيت الله ويعتقد بأفضليتهم وأعلميتهم ومنزلتهم من الرسول الله ولكنه رغم ذلك لا يُعادي عدوهم، ولا يرضى بأن يبتعد عن دائرة أعدائهم بحجة أو بأخرى، كأن يقول عنهم: إنَّهم صحابة ولا بد أنْ نحبهم، أو يقول: نوكل حسابهم إلى الله ، بالنتيجة هو يجبهم ويجب أعداءهم!

وهذه المرتبة غير مقبولة في التشيع أبدًا؛ لأنَّ أهل البيت النَّفِ أنفسهم قد نصّوا على أنَّ الالتحاق بهم لا يكون إلا بحبهم الذي يعني في نفس الوقت معاداة أعدائهم، وبهذه الطريقة تكتملُ النمرقة الوسطى.

وقد أكّدت الروايات على أنَّ تمام الولاية في البراءة من أعداء أهل البيت عليه،

وقد روي عن الإمام الصادق (من شك في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر () . () وقيل للصادق () وقيل للصادق () وقيل للصادق عبتنا ولم يتبرّ أمن عدونا) . () فقال: هيهات، كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرّ أمن عدونا) . ()

كما روي عن الإمام الرضاية أنّه قال: «كمال اللدين ولايتنا والبراءة من عدونا». (**)
ومن الجدير بالذكر، أنّ الجمع بين حبهم وحب أعدائهم مما يمكن أنْ نجده في خارج دائرة التشيُّع وربها بكثرة، وما يعتقده العامة من المسلمين اليوم أدلُّ دليلٍ على ذلك، فضلًا عما وردنا من روايات، فقد ورد أنَّ معاوية سأل سعد بن أبي وقاص: «ما يمنعك أنْ تَسُبَّ ابن أبي طالب؟ فقال سعد: لا أسبه؛ ما ذكرتُ ثلاثًا قالهن رسول الله على لئن يكون لي واحدة منهن أحبُّ إليَّ من مُمرِ النعم: لا أسبه ما ذكرتُ حين نزل الوحي عليه فأخذ عليًا وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: ربي هؤلاء أهل بيتي وأهلي، ولا أسبه ما ذكرت حين خلّفه في غزوةٍ غزاها، قال عليُّ: خلّفتني مع الصبيان والنساء؟! قال: أو لا ترضى أنْ تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيً بعدي، ولا أسبه ما ذكرتُ يوم خيبر حين قال رسول الله عليه؛ لأعطين الراية رجلًا يجب الله ورسوله ويفتح الله على يديه فتطاولنا، فقال: أين علي؟ فقالوا: هو أرمد، قال: ادعوه، فدعوه فبصق في عينيه ثم أعطاه الراية ففتح الله عليه». (*)

ولكن رغم ذلك فإن موقف ابن أبي وقاص من أمير المؤمنين الله واضح للعيان.

⁽١) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص ١٠٤.

⁽٢) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص ٢٦٦.

⁽٣) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص ٦٤٠.

⁽٤) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص ١٠٨ - ١٠٩ وخصائص أمير المؤمنين الله للنسائي ص ٨٠١ - ٨٠٨.

الرتبة الثالثة: محبتهم وطاعتهم دون الاعتقاد بمقاماتهم العالية.

وهي نظرية (علماء أبرار)، بمعنى أنه قد يوالي أهل البيت (سلام الله عليهم)، ويعتقد بوجوب طاعتهم، ولكنه لا يُقرُّ بمقاماتهم العالية؛ لاعتقاده أنَّ أهل البيت الله كسائر عبيد الله عن الله أخهم أفضل منهم إلى درجة لا تصل إلى بلوغهم تلك المقامات العالية، كقدرتهم الله عليهم على معرفة ما في النفوس مثلًا، أو قدرتهم (سلام الله عليهم) على معرفة بعض الغيبيات، أو القيام ببعض المعجزات والكرامات، متهم كلَّ من يعتقد على مغرفة بعض الغيبيات، أو القيام ببعض أنَّه يعتقد تمامًا بأنَّ صدور تلك المعاجز من بذلك بالغلو فيهم الله وربها تأليههم، رغم أنَّه يعتقد تمامًا بأنَّ صدور تلك المعاجز من الأنبياء الله لا غلو فيه ولا تأليه؛ مستندًا إلى الأدلة الدالة على معجزاتهم لا سيا في القرآن الكريم.

والغريب أنه إنْ جاز صدور المعجزات في حدِّ ذاته، ولم ينافِ توحيد الله (تبارك وتعالى)، بل كان متهاشيًا مع إيهان المسلم طالما صدرت عن أفرادٍ دلّت الأدلة الشرعية على صدورها منهم أو قدرتهم عليها؛ لما بلغوا من مراتب عليا في الكهال، فها الضير إذا في أن يكون أئمة أهل البيت كذلك؟! وهم الذين دلّت الأدلة الشرعية أيضًا على قدرتهم على الإتيان بالمعجزات؛ وقد بلغوا أعلى المراتب الكهالية، التي تفوق مراتب الأنساء على أبضًا؟!

وهذه المرتبة غير مقبولة في التشيع.

المرتبة الرابعة: الاتباع المصلحي.

هناك من يتبع أهل البيت على طالما كانت مصلحته الشخصية في اتباعهم، فإذا محملوا بالبلاء قلَّ الديانون؛ لعدم بلوغهم درجةً من الإيمان تؤهلهم للاستعداد عن التخلي عن مصالحهم الشخصية فيما إذا تعارضت مع اتباعهم للأئمة على قلى حق. على ذلك هم من تخلوا عن نصرة الإمام الحسين في رغم اعتقاده بإمامته وأنَّه على حق.

وهذه المرتبة غير مقبولة في التشيُّع؛ لذا استحق الخاذلون للإمام الحسين السيدة زينب الله والتوبيخ.

المرتبة الخامسة: الاعتقاد المطلق بولايتهم والبراءة من أعدائهم.

وهي مرتبة الاعتقاد بأهل البيت (سلام الله عليهم) اعتقادًا مطلقًا يتمثل بالإيهان بولايتهم، وبالبراءة من عدوهم، والإقرار بأنّهم قد تمّ تنصيبهم من الله ، فيلزم اتباعهم بلا نقاش، فنؤمن بكلّ ما ورد عنهم ونأتمر بكلّ أوامرهم بقطع النظر عن مسألة المنافع الدنيوية التي تجرُّها إلينا الولاية، أو تمنعنا منها.

ولسان حال هذه المرتبة - كما في الزيارة الجامعة -: «فَالرَّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ وَاللازِمُ لَكُمْ لاحِقٌ وَالمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ رَاهِقٌ وَالحَقُّ مَعكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَمِيراتُ النَّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَإِيابُ الخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ وَفَصْلُ الخِطابِ عِنْدَكُمْ وَآياتُ الله لَدَيْكُمْ وَعَزائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِنْدَكُمْ وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ.

مَنْ وَالاَكُمْ فَقَدْ وَالى الله وَمَنْ عاداكُمْ فَقَدْ عادى الله وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَ الله وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِالله، أَنْتُمُ الصِّراطُ الأَقْوَمُ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِالله، أَنْتُمُ الصِّراطُ الأَقْوَمُ وَشُهَداءُ دارِ الفَناءِ وَشُفَعاءُ دارِ البَقاءِ وَالرَّحْمَةُ المَوْصُولَةُ وَالآيَةُ المَخْزُونَةُ وَالاَمانَةُ المَحْفُوظَةُ وَالبابُ المُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ، مَنْ أَتَاكُمْ نَجا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ...

وأصحابُ هذه المرتبة لا يبالون بها يجري عليهم في موالاة أهل البيت ولو قُطّعوا إربًا، يقول الإمام أمير المؤمنين (إن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض

فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويجزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا..».(١)

وعن أبي جعفر هم، قال: «كان علي بن الحسين يقول: أيها مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي الحسين على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيها مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا للذي مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيها مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله، عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».(٢)

إشارة : في لزوم التسليم لهم عليه الله عليه المارة : في الزوم التسليم لهم عليه المارة : في المارة : في

إنَّ الأَثمة الله المعالى المعالى البشر؛ لما بلغوا من كالاتٍ عالية، بحيث لا ندرك مقاماتهم الحقيقية، ولذا فمن الممكن أنْ يعسر علينا فهم أو إدراك بعض أقوالهم، فوظيفتنا حينئذ لزوم التسليم فضلًا عن عدم الجحود بها طالما ثبت صدروها عنهم سواء كانت متواترةً أو أخبار ثقة سلسلتها صحيحة مائة بالمائة؛ لأنَّ عدم فهم حديثٍ ما لا يُسوِّغ رفضه، ولا يبرر الجحود به، بل يلزم قبوله وإرجاع فهمه إلى الإمام نفسه. أي يجب الإيهان بها لا ندركه من الأحاديث تعبدًا؛ لوجوب طاعتهم الله المرنا بأنْ نطيعهم. الله يله أمرنا الله و بوجوب طاعته، فيتحصّل أنَّ الله هو من أمرنا بأنْ نطيعهم.

وقد أرشدت الروايات الشريفة إلى ذلك، منها ما روي عن الإمام الصادق الله قال: «ما جاءكم منا مما يجوز أن يكون في المخلوقين، ولم تعلموه ولم تفهموه، فلا

(۲) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ۲۰۱ الباب (۳۲) ثواب من بكي على الحسين بن على الحسين بن على الحسين على الحسين على العليات ح ٢٠٥/ ١.

⁽١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٣٥ حديث أربع ائة...

تجحدوه، وردوه إلينا، وما جاء كم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين، فاجحدوه ولا تردوه إلينا». (١)

وهذا مقتضى الإيهان بمقام إمامتهم الله وبعصمتهم التي تمنعهم من الخطأ، وبلزوم طاعتهم.

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلى ص ٩٢.

عقيدتنا في أنَّ الإمامة بالنص

قال تتشُّ : «عقيدتنا في أن الإمامة بالنص

نعتقد أنّ الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هادياً ومرشداً لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله ولا يعين إلا بتعيينه.

ونعتقد أنّ النبي على خليفته والإمام في البرية من بعده، فعين ابن عمه على بن أبي طالب أميراً للمؤمنين وأميناً للوحي وإماماً للخلق في عدة مواطن، ونصبه وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم الغدير فقال: «ألا من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِر الحقّ معه كيفها دار».

ومن أول مواطن النص على إمامته قوله حينها دعا أقرباءه الأدنين وعشيرته الأقربين فقال: «هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا» وهو يومئذ صبيً لم يبلغ الحلم. وكرّر قوله له في عدة مرات: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبي بعدي» إلى غير ذلك من رواياتٍ وآياتٍ كريمةٍ دلّت على ثبوت الولاية العامة له كآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾، وقد نزلت فيه عندما تصدق بالخاتم وهو راكعٌ ولا يساعد وضع هذه الرسالة على استقصاء كُلِّ ما ورد في إمامته من الآيات والروايات ولا بيان وجه دلالتها.

ثم إنه على إمامة الحسن والحسين، والحسين نصَّ على إمامة ولده على زين العابدين وهكذا إماماً بعد إمامٍ ينصُّ المتقدم منهم على المتأخر إلى آخرهم وهو أخيرهم على ما سيأتي.» انتهى.

ولمزيدٍ من التوضيح نذكر عدة نقاطٍ في هذا المجال:

النقطة الأولى:

الأراء في كيفية جعل الإمام

هناك رأيان أساسيان في هذه المسألة، تولّدت منهما نظريتان، ترتب على تلكما النظريتين الكثير من الآثار على مستوى العقيدة أو الفقه أو السلوك، وهما:

النظرية الأولى: نظريةُ قبول الأمر الواقع:

وتبتني هذه النظرية على أنَّ خلافة رسول الله على أساسٌ مُسبقٌ تبتني عليه إلا ما وجدنا في التاريخ من الأمر الذي وقع، بمعنى أننا نصوغ الخلافة على أساس ما وقع، فالمؤسس لهذه النظرية نفسُ الذي وقع لا أمرٌ سابق، فإنْ حصلت الخلافة عن طريق الشورى فبها ونعمت، وإنْ حصلت عن طريق التعيين أو عن طريق اختيار الحل والعقد فلا إشكال، بل وإنْ حصلت عن طريق القهر والسيف فلا إشكال أيضًا.

وبعبارةٍ صريحةٍ جدًا: إنَّ هذه النظرية تقول بشرعية حكم كلِّ من وصل إلى كرسي الحكم بقطع النظر عن الطريقة التي وصل عبرها إليه.

والأشاعرة هم من قالوا بهذه النظرية؛ وذلك من خلال مطالعتهم لما حدث وتصحيحه أيًا كان ليس إلا، فهم وجدوا أنَّ خلافة أبي بكر اجتمع عليها بعض الأشخاص مثل عمر بن أبي الخطاب والذين كانوا معه كها جاء في الروايات وكها حفظ التاريخ أسهاءهم (عمر بن أبي الخطاب، ابو عبيدة الجراح، أُسيد بن خضير، بشر بن سعد وأسلم مولى أبي حذيفة)، فهؤلاء الخمسة هم من بايعوا أبا بكر وخرجوا من السقيفة يدعون الناس إلى مبايعته، فكتبوا البند الأول في نظريتهم: إنَّ الخلافة يمكن

أنْ تنعقد بأهل الحل والعقد.

وعندما وجدوا أنَّ خلافة عمر بن أبي الخطاب جاءت بتعيينٍ من أبي بكر، أضافوا بندًا آخر مفاده صحة انعقاد الخلافة بالتعيين، وعندما وجدوا أنَّ خلافة عثمان بن عفان صارت بالشورى عن طريق ستة أشخاص، بل باتفاق ثلاثة لو كان فيهم شخص معين (وهو عبد الرحمن بن عوف)، قالوا بصحتها، وعندما وجدوا أنَّ خلافة أمير المؤمنين جاءت بالإجماع أي بإجماع أهل المدينة، قالوا بصحتها أيضًا، ولأنَّ معاوية أصبح خليفة بالسيف، فقد أضافوا إلى نظريتهم ما يصحح انعقاد الخلافة بالقوة والسيف!

وعليه فإنَّ كلَّ أنواع طرق الوصول إلى هذه الخلافة هي مقبولةٌ لديهم، ويُعدُّ الواصل إلى الحكم -من أيِّ طريق كان- خليفةً وإمامًا، وتجب طاعته والخارج عليه هو خارج على إمام زمانه إلا إذا تاب، وإذا لم يتُب قُتِل وهو باغ.

ومن الجدير بالذكر: أنَّ هذه النظرية ما وضعت إلا لتصحيح السبل التي سلكها من يسمونهم بالخلفاء في الوصول إلى الحكم وإن كانت ظلمًا وجورًا، ومن ثَمَّ فإنَّ الهدف من وضعها محاولة شرعنة المخالفات الشرعية وإسباغ حكم الإباحة على ما حرّمه الشارع الأقدس، وتبرير مختلف الجرائم التي ارتُكبت في سبيل الوصول إلى الحكم.

ومن جهةٍ أخرى فإنَّها تضفي الشرعية على كلِّ من يحاول الوصول إلى الحكم مهما كانت السبل التي يسلكها -ملتوية أو إجرامية وما شاكل ذلك-.

فهي نظرية -علاوة على قبولها بالظلم فيها مضى - فإنَّها تؤسس للظلم فيها هو آتٍ.

النظرية الثانية: نظرية النص:

وهي ما يصر أهل البيت على تبنيها في مسالة تعيين الامام، هذه النظرية تمثل أساسا لتعيين الإمام، فهي سابقة على كون الإمام إماماً، أي إن هناك أساسا، ومن انطبق عليه الأساس فإنه يكون هو الخليفة.

النقطة الثانية:

ماذا يعنى النص؟

يُقصد بالنص: التنصيب الإلهي، أي إنَّ من يجعل الشخص إمامًا وخليفةً عن رسول الله على الله على الله على الله على أنَّ من يجعل الله على النبوة في أنَّ من يجعل النبي ليس هو إلا الله على النبي ليس هو إلا الله على النبي ليس هو إلا الله على النبي ليس هو إلى الله على الله على النبي ليس هو إلى الله على الله عل

وبها أنَّ التنصيب من الله ﴿ وهو الله ﴿ لا يمكن الاتصال به من سائر البشر؛ لذا لا بد من كاشف لنا عن هذا التنصيب، وقد أمكن الكشف عنه بأحد الطرق الثلاثة التالية:

الطريق الأول: التبليغ.

فيكون التنصيب بتبليغ النبي على أنَّ خليفته فلان، أو أنْ ينص الإمام الذي ثبتت إمامته على إمامة الإمام اللاحق، وهذا النص من الرسول أو الإمام يمثل واسطةً في نقل الأمر الإلهي إلى الناس، لا أنَّ النبي على أو الإمام هما من ينصّبان الإمام؛ لأنَّ مسألة الإمامة هي حتُّ مختصٌ بالله ﴿ وحده.

الطريق الثاني: المعجزة.

من الواضح جدًا أنَّ المعجزة تثبت نبوة النبي، فمن بابِ أولى أنَّها تثبت إمامة الإمام؛ لذا فمن طرق كشف من يدّعون إمامة الإمام المهدي مثلاً، هو مطالبتهم بالمعجزة، وقد ورد أنَّ الخراساني أو الحسني عندما يطالب الإمام بالمعجزة فإن الإمام يأخذ غصنًا من خشب يابس يغرسه فيورق من ساعته.

ففي رواية: "ويلحقه الحسني في اثني عشر ألفاً، فيقول له: أنا أحقُّ منك بهذا الأمر، فيقول له: هات علامة، هات دلالة، فيومئ إلى الطير فيسقط على كتفه، ويغرس القضيب الذي بيده فيخضر ويعشوشب، فيُسلِّم إليه الحسني الجيش، ويكون الحسني على مقدمته..."(١).

الطريق الثالث: الطريق العقلي.

ويُسمى أيضًا طريق جمع القرائن، أو ملاحظة الصفات والخصائص والأفعال المتوفرة لدى شخصٍ ما، بحيث يتيقن الإنسان العاقل من خلال مشاهدة هذه الخصائص والصفات بأنَّ هذا الشخص هو إمامٌ معصوم.

وقد أثبتت الحوادث التاريخية اكتشاف العديد من الأشخاص نبوة النبي أو إمامة الإمام عن طريق تجميع القرائن فقط، كما يظهر ذلك بشكل جلي من رواية دحية الكلبي قال: بعثني رسول الله علله بكتاب إلى قيصر، فأرسل إلى الأسقف فأخبره بمحمد عليه وكتابه فقال: هذا النبي الذي كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم.

فقال الأسقف: أما أنا فمصدقه ومتبعه. فقال قيصر: أما أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكى. ثم قال قيصر: التمسو الى من قومه ها هنا أحدا أسأله عنه.

وكان أبو سفيان وجماعة من قريش دخلوا الشام تجارا فأحضرهم، قال: ليدنُ مني أقربكم نسبا به. فأتاه أبو سفيان فقال: أنا سائل عن هذا الرجل الذي يقول: إنه نبي. ثم قال لأصحابه: إن كذب فكذبوه.

قال أبو سفيان: لو لا الحياء أن يأثر أصحابي عني الكذب لأخبرته بخلاف ما هو عليه.

⁽١) الملاحم والفتن لابن طاووس: ٢٩٥ و٢٩٦.

ماذا يعني النص؟

فقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل؟ قلت: لا.

قال: فأشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قلت: ضعفاؤهم.

قال: [فهل] يزيدون أو ينقصون؟ قلت: يزيدون.

قال: يرتد أحد منهم سخطًا لدينه؟ قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا.

قال: فهل قاتلكم؟ قلت: نعم.

قال: فكيف حربكم وحربه؟ قلت: ذو سجال، مرة له، ومرة عليه.

قال: هذه آية النبوة. قال: فما يأمركم؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصوم والعفاف والصدق وإداء الأمانة والوفاء بالعهد.

قال: هذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أنه يخرج ولم أظن أنه منكم، فإنه يوشك أن يملك ما تحت قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقياه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

وإن النصارى اجتمعوا على الأسقف ليقتلوه فقال: اذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه سلامي، وأخبره أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن النصارى أنكروا ذلك على. ثم خرج إليهم فقتلوه. (١)

كما وقعت الكثير من الحوادث بين الأئمة الله وأعدائهم ممن ينكرون فضلهم

⁽١) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ج١ ص ١٣١ - ١٣٢ ح ٢١٧

فضلًا عن إمامتهم، ولكن ما إنْ يروا دماثة خلقهم حتى يحكمون بإمامتهم، منها ما روي أنَّه قالَ نَصر انِيُّ للإِمامِ الباقِرِ ﷺ: «أنتَ بَقَرٌ! قالَ: أَنَا باقِرٌ. قالَ: أنت ابنُ الطَّبّاحَةِ! قالَ: ذاكَ حِرفَتُها. قالَ: أنتَ ابنُ السَّوداءِ الزِّنجِيَّةِ البَذِيَّةِ! قالَ: إن كُنتَ صَدَقتَ غَفَرَ اللهُ لَكَ. قالَ: فَأَسلَمَ النَّصر انِيُّ». (١)

⁽١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص ٣٣٧.

النقطة الثالثة:

أدلة وجوب التنصيب الإلهي

عرفنا أنَّ الإمامية يقولون بنظرية النص، فها هو الدليل على وجوب جعل الإمام من الله ١٠٤٠

وفي مقام الجواب استند الإمامية على عدة أدلة، ومنها التالي:

الدليل الأول: دليل اللطف:

ودليل الصغرى (إنَّ تنصيب الإمام لطفٌ)، دليلٌ وجداني؛ إذ إنَّ كلَّ واحدٍ منا يحكم وجدانًا بأنَّ وجود الإمام بين الناس أمرٌ يقرب الرعية من الطاعة ويبعدهم عن المعصية، وأنَّ الإمام الكامل في صفاته ومن لديه علمٌ لدني، يكشف بعض الحقائق، فهو مفسر للقرآن الكريم، يقضي بين الناس بالحق، يحل نزاعاتهم و...، وكل ذلك من شأنه أن يجرَّ الناس إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية، وهذا هو اللطف.

وأما دليل الكبرى (وجوب اللطف على الله ﴿)؛ فقد تقدم أنَّ الله الكبرى (وجوب اللطف على الله ﴿)؛ فقد تقدم أنَّ الله ﴿ يعلم بعدم إمكانية الكبالية التي يتصف بها واجب الوجود، وأنَّ عدمها يعني أنَّ الله ﴿ يعلم بعدم إمكانية

العبيد من الوصول إلى طاعته، إلا بمعونة هذا اللطف، ورغم ذلك لا يفعله، وهذا خلاف الكمال الإلهي، فيكون اللطف المقرب إلى الطاعة والمبعد عن المعصية واجبًا.

فضلًا عن أنَّ اللطف في حدِّ ذاته هو من الصفات الكهالية، وذات الله (جلَّ شأنه) منبع كل كهال من جهة، فلا بد أن تكون قد اشتملت على هذه الصفة، وافتقارها إلى هذه الصفة نقصٌ من جهةٍ أخرى، فلا بد أيضًا من اشتهالها عليها.

الدليل الثاني: الإمام المجعول من الله ﷺ يمثل الحل الأمثل والأصلح للمجتمع:

لو وازنّا بين أنْ نتولى نحن اختيار الإمام وبين أنْ يختاره الله ، لكان الأفضل والأصلح جزمًا هو أن يتولى الله على الله هو ما يليق بساحة الكهال الإلهي، فإن لم يفعل، فإنّ الأمر لا يخلو إما أن يكون لجهل أو لبخلٍ أو لعبنٍ أو لعجزٍ، والله (جل في علاه) منزهٌ عن كلّ هذه النقائص، فثبت أنّ الله هو من الله على دومًا يفعل الأصلح، وقد تقدم أنّ تنصيب الإمام أصلح، فتعيّن أنّ الله هو من يتولى تنصيب الإمام.

الدليل الثالث: تنصيب الإمام مهمة الله ﷺ وحده:

تقدم أنَّ الإمام لابدَّ أنْ يكون معصومًا؛ لشرطية العصمة في الإمامة، والعصمة أمرٌ خفي لا يمكن أنْ يُدركه الناس بحواسهم، ولا يستطيعون أنْ يُحرزوه في شخصٍ ما مها بذلوا من جهود؛ لانحصار تعاملهم مع الآخرين ضمن دائرة الظاهر المحسوس، وأما ما خفي عنهم من باطن فهو خارج تكليفهم، بل وخارج مقدورهم أيضًا. ومن ثم يكون تكليفهم بتنصيب الإمام تكليفاً بها لا يُستطاع، وبها هو أزيد من الوسع والقدرة؛ لأن الناس لا يستطيعون أنْ يُدركوا المعصوم بطرقهم الاعتيادية، وحيث إنَّ الله الله الله الله الناس بها لا يُطيقون، قال : ﴿لاَ يُكلّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (١٠)؛ لذا فقد لا يُكلف الناس بها لا يُطيقون، قال : ﴿لاَ يُكلّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (١٠)؛ لذا فقد

⁽١) البقرة ٢٨٦

أعفاهم من هذا التكليف، وتولّاه بنفسه (سبحانه وتعالى)، وبذا ننتهي إلى أنَّ تنصيب الإمام مهمةُ الله ، وفعله وهو المطلوب.

فإنْ قيل: إنَّ ذلك يتعارض مع ما قدمتموه في أنَّ تجميع القرائن طريقٌ من طرق كشف الإمام؟

فيُقال: لم نقل إنَّ ذلك الطريق متاحٌ للجميع، بل هو لفئةٍ خاصةٍ ممن يذعنون للحق فور معرفته، ولا تحول دون ذلك أية شبهات أو أهواء.

كما سيأتي أيضًا إمكانية تشخيص الإمام من قِبل العقلاء الذين يحسنون استخدام العقل، وكانت أنفسهم مجردةً من الأهواء؛ وذلك عبر تتبع سلسلة مقدمات تشير نتيجتها إلى الإمام بعينه، ولكن يبقى هذا الطريق مقتصرًا على البعض، وبالتالي فلا تعارض بينه وبين ما ذهبنا إليه من أنَّ تنصيب الإمام مهمة إلهية؛ لتعذر تكليف الناس بها.

إشارات:

الإشارة الأولى: إنَّ النص على الإمام يوفر لنا بعدين مهمين:

الأول: أن التعيين والتنصيب أمرٌ خاصٌ بالله ١

وهذا البعد يكشف لنا عن أنَّ قضية تعيين الإمام لم تفوض إلى النبي ﷺ، فضلًا عن الأمة وقبول سياسة الأمر الواقع، قال ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لُهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبْيِنًا ﴾. (١)

الثاني: أن التنصيب الإلهي لإمامٍ ما كاشفٌ عن مؤهلاته الخاصة وأهمها: العصمة والعلم الخاص.

⁽١) الأحزاب ٣٦

فالنص الإلهي الذي ينصب الأئمة الله يوفر لنا الكشف عن ذواتهم الطاهرة، ويكشف لنا عن أنَّ هذا الإمام الذي نصَّ الله على إمامته هو مؤهلٌ تمامَ الأهلية لأن يكون إمامًا ووليًا لله على الناس، ومن أهم تلك المؤهلات التي يكشفها لنا النص الإلهي: العصمة والعلم الخاص الذي يتمتع به الإمام.

ومن هنا يتضح ما أشرنا إليه سابقًا من أنَّ واحدًا من طرق كشف النص الإلهي هو جمعُ القرائن، وبيانه:

أننا تارةً ننظر من جهةِ النص إلى الإمام، فينكشف لنا أنَّ الإمام معصومٌ وله علمٌ خاص.

وتارةً أخرى ومن دون نص ولا رواية، نجمّع القرائن عن شخصٍ ما فتقودنا إلى أنَّ ذلك الشخص هو الإمام، كما لو وجدنا أنَّ لديه من العلم ما ليس لغيره، أو جاء بما يعجز عنه البشر عادةً من معجزات، أو وجدناه على درجةٍ عالية جدًا من الخلق الرفيع مما لا يتوفر عند سائر البشر عادةً، فنتوقع عصمته.

والكشف بالقرائن عن الإمام هو كشف إنّي عن وجود النص، أي كشف المعلول عن علته، وهذا هو معنى الدليل العقلي.

ومن هنا يمكن أن نفهم حديث أبي ذر (رضوان الله عليه) عن النبي الأكرم عَلَيْهُ: «من استعمل غلامًا في عصابة فيها من هو أرضى لله منه، فقد خان الله». (١)

حيث ذكر صاحب البحار هذا الحديث في باب أن الإمامة لا تكون إلا بالنص (٢)، وأنت ترى أنه لا نص في هذا الحديث على إمامة الأئمة المناسس، وهذا يعني أن ذكره في هذا الباب إشارة إلى أن النص ليس مجهول الملاك، وإنها الملاك فيه هو توفّر الأئمة على

⁽١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج١ ص ٢٢١.

⁽٢) بحار الأنوار - ج ٢٣ - ص ٧٥.

كمالات كانوا بها أرضى لله تعالى من غيرهم، أهّلتهم لمنصب الإمامة والولاية، ولذلك كانت تنصيب المفضول مع وجود الفاضل خيانة لله تعالى، وهذا ما يُدركه العقلاء بمتابعة سيرة أهل البيت اللهاف.

الإشارة الثانية: هل يمكن للعقل أن يُدرك الإمام الحق؟

نعم يمكن للعقل ذلك، عن طريق جمع القرائن -كها تقدّم-، ولكن ليس أيّ عقلٍ -كها تقدمت الإشارة إلى ذلك أيضًا-، بل هو طريق خاص لفئةٍ خاصةٍ من الناس، وهي تلك الفئة التي كملت عقولها بها يكفي لهذه المعرفة، وخلت نفوسها من الأهواء والشبهات، فنظروا بعين الواقع وطبقوا ما يرونه على أحكام العقل، حتى نتج لهم أنَّ هذا هو الإمام.

فطريق العقل إذًا طريقٌ خاص، ولذا احتيج إلى طريقٍ عام في تعيين الإمام، يستعين به كافة الناس عالمهم وجاهلهم، ولا يحتاج إلى تكلف العناء والبحث والمقدمات، وهو النص الإلهي.

وعلاوةً على ذلك، فإنَّ النص الإلهي يمتاز عن العقل بوجهين آخرين، وهما:

الوجه الأول: مقام المولوية.

إنَّ تعيين العقل وإنْ صدر من كُمَّل العقلاء، فإنّه يبقى أقل مرتبةً من النص الإلهي في الجانب الإلزامي؛ لافتقاره إلى ما يتمتع به النص الإلهي من مقام المولوية والألوهية. فيبقى حكم العقل حكمًا راجحًا وحسنًا، إلا أنَّه ليس بواجبٍ شرعًا، مما يُقلل من عزم المكلف على الإتيان به، ويُدخل في نفسه التراخي عن الامتثال إليه، بخلاف الحكم المولوي الذي يبثُ في نفس المكلف روح الإلزام، ويدعوها بعزم إلى الامتثال إليه.

وكمثال على ذلك: فإنَّ الإحسان إلى اليتيم هو أمرٌ حسنٌ بحكم العقل، لكن لا

ضير في مخالفته، على حين لو كان الإحسان إلى اليتيم واجبًا، فلا تجوز مخالفته شرعاً، وعليه فإنَّ حكم العقل في أمرٍ ما وإنْ كانت له قوة الحسن والرجحان، إلا أنَّ النص الإلهى إنْ وافقه فيه، فإنّه يزيده قوةً إلى قوته.

الوجه الثاني: النص الإلهي يكشف جميع المقامات.

إنَّ العقل له القدرة على كشف بعض المقامات التي يتمتع بها الإمام، أما النص الإلهي فيكشف عن جميعها، ما يمكن للعقل أنْ يصل إليها وما لا يمكنه بمفرده.

فمقام علم الإمام الخاص الذي لا يجهل معه شيئاً ما، ومقام كلِّ من الولاية التكوينية والتشريعية، لا يمكن للعقل كشفها بمفرده، وكذلك مقام الشهادة على الأعمال، وأنَّ صحف الناس ترفع إليه مثلاً، وفي النصف من شعبان وليلة القدر حسب ما ورد في الروايات التي فسرت قول الله على: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَاللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَاللهُ فَيَنُونَ ﴾.(١)

بخلاف النص الإلهي، الذي يكشف كل ذلك وأكثر.

إذن العقل حتى وإنْ كان قادراً على استكشاف ما يُفيده النص الإلهي بخصوص التنصيب، لكنّه لا يُلغي دور النص؛ لأنّ النص يمثل:

١/ أمرًا مولويًا يُضيف قوةً إلى قوة الواقع الذي يستكشفه العقل.

٢/ وسيلةً عامةً لكلِّ الناس، وليس كالعقل الذي هو وسيلةٌ خاصةٌ للكشف.

٣/ كاشفًا عن كلِّ المقامات الكهالية للإمام، بخلاف حكم العقل الذي لا يمكنه ذلك لو خُلِّي وحده.

⁽١) التوبة ١٠٥.

الإشارة الثالثة: لماذا لم يُذكر اسم الإمام عليُّ على القرآن؟

يستبطن هذا السؤال الإشارة إلى أنَّ إثبات الخلافة بالنص لأمير المؤمنين، إنّا هو فرعُ ذكر اسمه عمر احةً في القرآن الكريم، ومن ثم فإنَّه يحصر مسألة النص بلفظ القرآن الكريم الصريح.

يمكننا تقديم عدة أجوبة عن هذا السؤال، يصلح كلٌّ منها أن تكون جوابًا بمفرده، فإنْ اتسم المقابل بالعناد كم هي عادتهم، تكون هذه الأجوبة بمجموعها ردًا قاطعًا:

الجواب الأول: يستبطن هذا السؤال القول إنَّ العقيدة لا يمكن أن تُقبل إلا إذا ذُكِرت صريحًا في القرآن الكريم، وهذا الرد أضحى وكأنه قاعدةٌ يتمسك بها المخالفون لاسيها السلفية الوهابية في أي نقاش ديني، فها إنْ تشرع معه في نقاش حتى يبادر إلى مطالبتك بآية.

والرد عليه سهلٌ يسير، وهو أن نقول له: ما هو الدليل الصريح من القرآن الكريم على صحة هذه القاعدة؟

ولمّا لم يكن هناك نصٌ صريحٌ على تلك القاعدة، فإنَّهم سيحاولون الاستناد على دليلٍ روائي، حينئذٍ يمكننا نحن أيضًا أنْ نحتج بالروايات؛ إذ طالما صحَّ أن تكون لهم حجة، فهي كذلك بالنسبة إلينا.

وها هي ذي كتب الحديث ومن الفريقين أيضًا فيها ما فيها من الروايات التي تدل على أنَّ أمير المؤمنين على الخليفة وهذا يكفى.

الجواب الثاني: مطالبتهم بآيةٍ تتضمن اسم أمير المؤمنين كدليلٍ على خلافته، إنّا يهدفون من ورائها إلى الحصول على دلالةٍ نصية قطعية على أنَّ الخلافة لا تكون إلا بالنص.

وقد غاب عن أذهانهم أو ربها غيّبوه، أنَّ تحصيل القطع منهجيًا لا يتوقف على ذكر

الاسم الصريح؛ لأنَّ الكناية أبلغ من التصريح كما قالت العرب، أي إنَّ الكناية أكثرُ ولالةً في الوصول إلى المقصود من التصريح، وكمثالٍ على ذلك، فإنَّ قولك: فلانُّ كثير الرماد، أكثرُ دلالةً على كرمه من قولك: فلانُّ كريم؛ لأنَّ كثرة الرماد لم تحصل إلا لكثرة ما يقدمه إلى ضيوفه من طعام.

وعليه فإنَّ مسالة النص على ولاية خصوص أمير المؤمنين الله لا تتوقف على ذكر السمه في القرآن الكريم.

الجواب الثالث: يقرر القرآن الكريم أنَّ الله على قد فوّض إلى الرسول الأكرم على مهمة بيان وتفسير الأمور والتعاليم الدينية الضرورية، يقول الله وأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. (١)

وفي آيةٍ أخرى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاكٍ مُبِينٍ ﴾.(٢)

و إِنَّا جاء هذا التفويض له يَلِيُّ؛ لأنَّ القران الكريم لم يُتَح للجميع أنْ يفهموه حقّ فهمه، فلا بُدَّ له من مُبيّن، ومُبيّنه من نزل عليه، وهو رسول الله يَلِيُّ؛ ومن ثم إذا عرض علينا أمرٌ ديني مهم فلا بُد من أنْ نرجع إلى رسول الله يَلِيَّة.

وما تقدّم إنّما هي كبرى الجواب.

وهذا ما قام به الشيخ المظفر (طيّب الله ثراه) في عبارة الكتاب، إذ ذكر بعض الأحاديث الثابتة في كتب الفريقين والواردة عن رسول الله يَنْ التي تذكر بكلِّ صراحة

⁽١) النحل ٤٤

⁽٢) الجمعة ٢

تنصيب الإمام على ك للخلافة.

ثم إنَّ السؤال عن أنه «لماذا لم يذكر اسم علي في القرآن الكريم؟» ليس وليد الساعة، بل طُرِح على الأئمة فلله من قبل، وقد أجابوا عنه بأجوبةٍ من ضمنها هذا الجواب الثالث.

ففي رواية عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عَنْ قَوْلِ الله ﴿ أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿ (() فَقَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ والحُسَنِ والحُسَيْنِ هَالِكِ).

فَقُلْتُ لَه: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: فَهَا لَه لَمْ يُسَمِّ عَلِيًّا وأَهْلَ بَيْتِه ﷺ فِي كِتَابِ الله ﴿ ؟ قَالَ: فَقَالَ هَا: قُولُوا لَهُمْ:

إِنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْ الصَّلَاةُ وَلَمْ يُسَمِّ اللهِ هُمْ ثَلَاثاً وَلاَ أَرْبَعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْهِ الرَّكَاةُ ولَمْ يُسَمِّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَما اللهِ عَلَى فَسَرَ ذَلِكَ لَهُمْ، ونَزَلَ الحُجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ طُوفُوا دِرْهَمٌ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ عَلَى اللهِ هُو الَّذِي فَسَرَ ذَلِكَ لَهُمْ، ونَزَلَ الحُجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ طُوفُوا أَسْبُوعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى فَسَرَ ذَلِكَ لَهُمْ ونَزَلَتْ ﴿ أَطِيعُوا اللهِ وأَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الله عَلَى اللهَ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

وقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى ولَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ، فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللهَ ﷺ فَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِه لَادَّعَاهَا آلُ فُلَانٍ وآلُ فُلَانٍ، ولَكِنَّ الله ﴿ أَنْزَلَه فِي كِتَابِه تَصْدِيقاً لِنَبِيِّه يَا ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ كُمْ

⁽١) النساء ٩٥

تَطْهِيراً ﴿ (١) فَكَانَ عَلِيٌّ والْحَسَنُ والْحُسَيُنْ وفَاطِمَةُ عَلَيْهِ فَأَذْخَلَهُمْ رَسُولُ اللهَ اللهُ تُحَتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلاً وثَقَلاً، وهَوُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وثَقَلى.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ ولَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وثِقْلِي. فَلَيَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ كَانَ عَلِيٌّ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ، لِكَثْرَةِ مَا بَلَّغَ فِيه رَسُولُ الله ﷺ وإِقَامَتِه لِلنَّاسِ وأَخْذِه بِيَدِه...».(٢)

الجواب الرابع: هناك مجموعةٌ من الآيات التي لا يمكن أنْ تُفسّر إلا بالأئمة الكنها نزلت بمواصفاتهم لا بأسمائهم. وذكر الفرد بصفاته المختصة به والتي لا يمكن أن تنطبق على غيره أبدًا بمنزلة ذكر الاسم، بل أبلغ في الدلالة عليه، كآية المودة وآية التطهير وآية التصدق حال الركوع وآية المباهلة وآية التبليغ وغيرها عشرات الآيات التي لا تنطبق إلا على أهل البيت

الجواب الخامس: يُقرر القرآن الكريم أنَّ الأمة ستمر بحالةٍ من الانقلاب على العقب بعد وفاة النبي الأكرم على بقوله ﴿ وَما مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ المُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾. (٣)

وقد ظهرت بوادر هذا الانقلاب في حياته الله والتي كان آخرها قولهم: «إن النبي أو الرجل يهجر أو غلبه الوجع!»(٤)

⁽١) الأحزاب ٣٣

⁽٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ بَابُ مَا نَصَّ الله ﴿ ورَسُولُه عَلَى الْأَئِمَّةِ ع وَاحِداً فَوَاحِداً/ ح ١ .

⁽٣) آل عمران ١٤٤

⁽٤) انظر: مسند أحمد ج١ ص ٣٢٥ و ج١ ص ٣٥٥ وصحيح البخاري ج١ ص ٣٧ و ج٥ ص ١٣٨

وهذه المقدمة الأولى.

والقرآن الكريم قد أخبر أنَّ القرآن سيكون محفوظًا من التحريف، فقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. (١)

وهذا الحفظ جاء بوسائل عادية ومادية وشهودية بالإضافة إلى بعض الوسائل الغيبية والإعجازية في القرآن الكريم. وهذه المقدمة الثانية.

وأما المقدمة الثالثة: فلا يشكك أحدٌ بوجود أعداءٍ أظهروا عداءهم للإمام علي على الله على الله

وعليه، ألا يُحتمل أنْ يتعرض القرآن الكريم إلى التحريف فيما لو كان قد صرح باسم الإمام على وأولاده على الله في آياته؟!

كما لو قام أولئك الذين أخبر القرآن عن انقلابهم على أعقابهم -وهم أعداء الإمام على ها الله على الله على الله الآيات التي صرّحت باسمه وباسم أولاده.

وهذا ليس بالأمر المحتمل أو المظنون به، بل من المؤكد ومما لا شكّ فيه، بدليل أنّهم حكما في بعض رواياتنا-كانوا يرفضون تفسير الإمام علي الآيات رغم صحة تفسيره وإخبارهم أنه تفسير الرسول على أن مُحرّ فوا الآيات التي يُذكر فيها اسمه واسم أولاده (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إما بالحذف أو التغيير. (٢)

لذا كان عدم ذكر الله على أسماء الأئمة عليه في القرآن الكريم هو سببٌ من أسباب

و ج Λ ص ۱۲۱ و صحیح مسلم النیسابوري ج 0 ص ۷۱ وغیرها من مصادر العامة.

⁽١) الحجر ٩.

⁽٢) في علل الشرائع للشيخ الصدوق ج٢ ص ٥٣١ باب ٣١٥ ح١: عن أبي إسحاق الإرجاني رفعه قال: قال أبو عبد الله هذا: «أتدري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة؟ فقلت: لا ندري، فقال: ان عليا هم يكن يدين الله بدين الا خالف عليه الأمة إلى غيره إرادة لإبطال أمره، وكانوا يسألون أمير المؤمنين عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضدا من عندهم ليلبسوا على الناس».

حفظه من التحريف.

الجواب السادس: يقرّرُ القرآن الكريم مبدأ ابتلاء الناس في الدنيا في آيات كثيرة، قال تعالى ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾.(١)

وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجُنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَواْ مِن قَبْلِكُم مَّشَلُ الَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِّ أَلا مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ آلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾. (٢)

ومنهجية البلاء والاختبار يضعها الله على حسب ما يراه من الحكمة.

فها المانع إذًا من أنْ تكون قضية الإمامة من اختبارات وابتلاءات الأمة؛ لتمحيص المؤمنين، فلربها لو ذُكِر اسم الإمام علي على صراحةً في القرآن الكريم، لم يتحقق ذلك الاختبار، فيكون إخفاء التصريح بالاسم واحدًا من الابتلاءات التي أرادها الله (جل جلاله) للمسلمين.

الجواب السابع: إنَّ نظرية الإمامة نظرية قرآنية بكلِّ ما يرتبط بها من التنصيص عليها، وشرطية العصمة فيها، واختصاصها بالولايتين التشريعية والتكوينية، والعلم الخاص اللدني، ولكن رغم ذلك لو تنزلنا وسلّمنا جدلًا بأنَّ القرآن الكريم لم يُشِر إليها من قريب ولا من بعيد، فإنه تبقى لدينا أحاديث النبي عَنَّ المتواترة الكثيرة التي صرّحت بإمامته وإمامة أو لاده من بعده.

ألا تورث كلُّ هذه الأحاديث الكثيرة والروايات الوفيرة التي دلَّت على إمامته الله الله على إمامته الله على إلى المعاند؟!

الجواب الثامن: المنفى عن القرآن الكريم هو التحريف، وأما القراءات المختلفة

⁽١) العنكبوت ٢.

⁽٢) البقرة ٢١٤.

من قبيل كلمة (هيت) في قوله ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ (١)، فإنهّا تُقرأ (هَيت) و (هِيت) أي بفتح الهاء وكسرها، فلا تعدُّ كذلك؛ لذا لم ينكرها الخاصة ولا العامة.

وقد صرّحت بعض القراءات بذكر اسم الإمام علي في القرآن الكريم، فوفق تعدد القراءات، فإنه توجد عدة آيات صرّحت باسم علي في وفق بعض القراءات، ومنها التالى:

١/ ما ورد في قراءة أخرى لقوله تعالى ﴿قالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٢) حيث قُرئ بلفظ (صِراطٌ عَلَيًّ).

روي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله ﴿ قَالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿ (*) قَالَ: «هو والله على، هو والله على الميزان والصراط». (*)

موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده هلك «هذا صراطٌ عليٍّ مستقيم. وقُرئ مثله في رواية جابر».

أبو بكر الشيرازي، في كتابه بالإسناد، عن شعبة، عن قتادة قال: «سمعت الحسن البصري يقرأ هذا الحرف: هذا صراط علي مستقيم، قلت: ما معناه؟ قال: هذا طريق

⁽١) يوسف: ٢٣.

⁽٢) الحجر ٤١.

⁽٣) الحجر ٤١.

⁽٤) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٥٣٢ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ٢٢٦.

علي بن أبي طالب، ودينه طريق دين مستقيم، فاتبعوه وتمسكوا به فإنه واضح لا عوج فيه. »(١)

٢/ عن أبي بصير، عن الصادق، في خبر: «أن إبراهيم، كان قد دعا الله أن يعل له لسان صدق في الآخرين، فقال الله تعالى: ﴿وَهَبْنا لَه إِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ وكُلَّا جَعَلْنا نَبِيًّا ووَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا وجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾(٢) يعني علي بن أبي طالب .(٣)

٣/ في التهذيب في دعاء الغدير: «وأشهد أنه الإمام الهادي المهدي الرشيد أمير المؤمنين الذي ذكرته في كتابك، وإنك قلت: ﴿وإِنّه فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيُّ حَكِيمٌ ﴾ (١) (١)
 ومن الروايات التي ذكرت أن اسم علي هذ ذُكر صريحًا في القرآن الكريم:

عن أبي عبد الله في قول الله في: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال: «هو أمير المؤمنين في ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين في قوله في: ﴿ وإِنَّه فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (١) وهو أمير المؤمنين في أم الكتاب في قوله في: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ». (٧)

⁽١) انظر بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٥ ص ٥٩. هذا وقد ذكر تتُثُنُ عدة آيات بهذا المعنى، يمكن مراجعة المصدر لمطالعتها.

⁽۲) مريم ٤٩ و ٥٠.

⁽٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرا آشوب ج٢ ص ٣٠٢ وعنه البحار ج٣٥ ص ٥٩ والبرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني ج٣ ص ٧١٧.

⁽٤) الزخرف ٤.

⁽٥) التهذيب للشيخ الطوسي ص ٧٤٨، وذكره أيضًا في مناقب آل أبي طالب لابن شهرا آشوب ج٢ ص ٢٠٧. والمزار لمحمد بن جعفر المشهدي ص ٢٨٧ وغيرها.

⁽٦) الزخرف ٤.

⁽٧) معانى الأخبار للشيخ الصدوق ص ٢٣.

وفي المزار لابن المشهدي في زيارته السلام على أمين الله في أرضه وخليفته في عباده، والحاكم بأمره، والقيم بدينه، والناطق بحكمته، والعامل بكتابه، أخي الرسول، وزوج البتول، وسيف الله المسلول، السلام على صاحب الدلالات والآيات الباهرات والمعجزات القاهرات، المنجي من الهلكات، الذي ذكره الله في محكم الآيات، فقال تعالى في أُمِّ الْكِتَابِ لَدُيْنَا لَعَلِيُّ حَكِيمٌ .

وفي زيارته الأخرى: «السلام عليك أيها النبأ العظيم، السلام عليك يا من انزل الله فيه: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾، السلام عليك يا صراط المستقيم».

وفي دعاء يوم الغدير: «وأشهد أنه الإمام الهادي الرشيد أمير المؤمنين الذي ذكرت في كتابك فإنك قلت وقولك الحق ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾».

وعن أبي عبد الله على وقد سأله سائل عن قول الله عن قول الله المُحَتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِينٌ حَكِيمٌ ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِينٌ حَكِيمٌ ﴾. قال: «هو أمير المؤمنين».

⁽١) الزخوف ٤.

⁽٢) الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ج٢ ص ٨٩٤.

⁽٣) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج١ ص ٢٤٤.

والخلاصة:

أنَّ السؤال عن عدم ذكر اسم الإمام على وأولاده الله القرآن هو سؤالٌ يفتقر إلى الصحة والمنهجية، فإنْ قبلناه، فها تقدّم من أجوبة تكفى في الرد عنه.

الإشارة الرابعة: نظرية التنصيب أمرٌ متصور لدى المسلمين منذ صدر الإسلام.

عندما نرجع إلى العصر الأول للإسلام، عصر وجود رسول الله على وما بعده بقليل، نجد أنَّ المسلمين قد أخذوا تصورًا واضحًا بأنَّ الإمامة والخلافة لابد أنْ تكون بالنص، وأنّه لا يُتصور لراع حكيم أنْ يترك رعيته من دون أنْ يجعل عليهم وليًا من بعده يُسيّر أمورهم بها يصبُّ في صالحهم، والروايات التي نقلت لنا هذا التصور كثيرةٌ نذكر منها:

١/ روي أنه عليه أتى بني عامر فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: «أرأيت إنْ نحن تابعناك فأظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال علي: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك!».(١)

٧/ وروي أيضًا أنه على البعث سليط بن عمرو العامري... إلى هوذة بن على الحنفي يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، فقدم عليه وأنزله وحباه وقرأ كتاب النبي على ورد ردًّا دون رد، وكتب إلى النبي على أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعنك. وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثوابًا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي على وأخبره عنه بها قال، وقرأ كتابه، وقال على النبي سيابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه، فلها

⁽١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص ٩٣ (واللفظ له) وتاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري ج٢ ص ٨٤.

انصرف من عام الفتح، جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات».(١١)

وفي رواية ابن الأثير:

«وأما هوذة بن علي، فكان ملك اليهامة، فلها أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلى الإسلام وكان نصر انياً أرسل إلى النبي الله وفداً فيهم مُجاعة بن مرارة والرجّال بن عُنفوة يقول له: إنْ جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصَره، وإلا قصد حربه. فقال رسول الله ولا كرامة، اللهم اكفنيه، فهات بعد قليل». (٢)

٣/ استخلاف عثمان بن عفان عن طريق الشورى بين ستةِ أشخاصٍ عينهم عمر بن الخطاب، فضلًا عن قيام أبي بكر بتعيين عمرَ خليفةً له، يدلُّ على أنَّ تنصيب الخليفة كان أمرًا مرتكزًا في الأذهان، وأنَّ مسألة الخلافة يجب أنْ تكون عن طريق الجعل والتعيين.

ومن المفارقات أن من المناقب التي ذكرها القوم لأبي بكر أنَّه لم يترك الأمة من بعده بلا راع؛ إذ عيّن عمر بن الخطاب للخلافة في عهدٍ كتبه عثمان بن عفان، فإنْ كان عمر قد تفطّن إلى هذا الأمر حتى كُتِب من مناقبه، فكيف لم يتفطن له النبي الأكرم عليه و ورك الأمة من بعده بلا راع؟

الن عائشة قالت لابن عمر: «يا بني، أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة عمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هَمَلًا، فإني أخشى عليهم الفتنة، فأتى عبد الله فأعلمه، فقال: ومن تأمرني أن أستخلف؟ لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقيًا استخلفته ووليته، فإذا قدمت على ربي فسألني وقال لي: من وليت على أمة محمد؟ قلت إي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفتُه، فإذا قدمت على ربي فسألني: من بين الجراح»، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفتُه، فإذا قدمت على ربي فسألني: من بين الجراح»، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفتُه، فإذا قدمت على ربي فسألني: من بين الجراح»، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفتُه، فإذا قدمت على ربي فسألني: من بين الجراح»، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفتُه، فإذا قدمت على ربي فسألني: من بين الجراح»، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفتُه، فإذا قدمت على ربي فسألني فسألني المن المناهد المناهد

⁽١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص ٢٦٢.

⁽٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص ٢١٥.

وليت على أمة محمد؟ قلت: إي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: «إن معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة». ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته، فإذا قدمت على ربي فسألني: من وليت على أمة محمد؟ قلت إي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: «خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين»، ولكني سأستخلف النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، فأرسل إليهم فجمعهم..».(١)

0/عن ابن عمر قال: «دخلت على حفصة، فقالت: أَعَلِمتَ ان أباك غير مستخلف؟! قال: قلت: ما كان ليفعل. قالت: إنه فاعل. قال: فحلفت أني أكلمه في ذلك، فسكت حتى غدوت ولم أكلمه، قال: فكنت كأنها أحمل بيميني جبلًا حتى رجعت فدخلت عليه، فسألني عن حال الناس وأنا اخبره. قال: ثم قلت له: إنى سمعتُ الناس يقولون مقالة، فآليت أن أقولها لك: زعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل أو راعى غنم، ثم جاءك وتركها، رأيت أن قد ضيّع، فرعاية الناس أشد...».(٢)

٦/ وممن كان يتبنى هذه النظرية أيضًا معاوية بن أبي سفيان، وأنه كان يرى أن عدم تنصيب خليفة من بعده يؤدي إلى ضياع الأمة، فقال لابن عمر: «إني كرهت أن أدع أمة محمد بعدى كالضأن لا راعى لها». (٣)

الإشارة الخامسة: علة جعل الإمامة في ذرية الإمام الحسين دون الإمام الحسن الله الإمام الحسن الله المام

مما هو معلومٌ في مدرسة أهل البيت الله أنَّ الإمام الحسن أنَّ الإمام الحسن من الإمام الحسين، وأنَّه أفضل منه أيضًا حسب بعض الروايات، فلماذا صارت الإمامة في ذرية الإمام الحسين دون الإمام الحسن المناه أنَّ هذا الأمر يُضفى خصوصية

⁽١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري (تحقيق الزيني) ج١ ص ٢٨.

⁽٢) صحيح مسلم النيسابوري ج٦ ص٥.

⁽٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري (تحقيق الزيني) ج١ ص ١٥٩.

للإمام الحسين عجعله أفضل من الإمام الحسن ك.

يحمل السؤال المتقدم نقطتين لائبد من تسليط الضوء عليهما عند الإجابة، أولاهما السؤال بعينه، والأخرى الملازمة بين خصوصية جعل الأئمة الله في ذرية الإمام الحسين في وبين الأفضلية، وهما ما سنجيب عنهما في نقطتين:

الأولى: تنصيب الإمام إلهيُّ، والله تعالى لا يُسأل عن فعله.

في مقام الجواب عن السؤال، لابُدَّ أنْ نذكر بأننا نتحدث وفقًا لنظرية التنصيب الإلهي، ومعه، فإنَّ أمر تنصيب الإمام مختصٌ فقط بالله (جلّ في علاه)، وما من مخلوقٍ له الحق في ذلك، ومن ثَمّ فليس لنا الحق في أنْ نسأله عن سبب جعل الإمامة في ذرية الإمام الحسن أو الحسين (سلام الله عليها) طالما علمنا أنَّ أفعاله على كلها حسنةٌ وحكيمةٌ، والحكيم لا يُسأل عما يفعل.

وعليه فإن هذا السؤال غير منهجي وغير صحيح من رأس، وهذا ما استفيد من روايةٍ للإمام الرضاك عن محمد بن أبي يعقوب البلخي، قال: «سألت أبي محمد الرضاك فقلت له: لأي علةٍ صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن فقال الإمام الرضاك: لأن الله على جعلها في ولد الحسين ولم يجعلها في ولد الحسن والله لا يُسأل عمّا يفعل. (۱)

نعم، ورد في بعض الروايات الشريفة أنَّ مسألة جعل الأئمة من ذرية الإمام الحسين هي مسألة تعويضٍ له عمّا قدّمه في سبيل الله هي، فقد ورد عن محمد بن مسلم قال: «سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد يقولان: أن الله عوض الحسين من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

⁽١) علل الشرائع للشيخ الصدوق/ ج١/ ص٢٠٨ باب ١٥٦ ح١٠.

الثانية: عدم الملازمة بين الخصوصية والأفضلية.

وأما افتراض السائل أنَّ جعل الأئمة من ذرية الإمام الحسين على يستلزم تفضيله على أخيه الإمام الحسن فهو افتراضٌ عار عن الصحة.

نعم، كون الأئمة على من ولد الإمام الحسين خصوصية خصّ الله بها الإمام الحسين دون الإمام الحسن الإمام الحسن الإمام الحسن الإمام الحسن الإمام الحسن مقام الأفضلية على الإمام الحسين أن الأئمة من ذرية الأخير؛ يدُلُنا على ذلك ما لأمير المؤمنين من خصوصيات عظيمة اختص بها دون الأخير؛ يدُلُنا على ذلك ما لأمير المؤمنين من خصوصيات عظيمة اختص بها دون رسول الله يه ومنها أنّه ولِد في الكعبة دون الرسول على، وأنّه أخو رسول دونه أيضًا، وأنّه زوج بنت رسول دونه أيضًا، وأنّ ولديه إمامان دونه (صلوات الله وسلامه عليهم أجعين).

كما استفيد معنى عدم الملازمة بين الخصوصية والأفضلية من روايات أهل البيت (سلام الله عليهم)، فقد روي عن هشام بن سالم قال: «قلت للصادق جعفر بن محمد الحسن أفضل أم الحسين؟ فقال: الحسن أفضل من الحسين. [قال:] قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين الله الا ترى أنها كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة وإن الله على جعل

⁽١) الطور ٢١.

النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون المالكات.

قلت: فهل يكون إمامان في وقت واحد؟

قال: لا إلا أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه، والآخر ناطقاً إماماً لصاحبه، فأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا.

قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين الله على المامة في أخوين بعد الحسن والحسين

ثم هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة. (٢)

الإشارة السادسة: شبهة الإمامة بسن مبكرة:

من الثابت في المدرسة الإمامية أنَّ بعض الأئمة قد تسلم منصب الإمامة في سن مبكرة، كالإمام الجواد الذي صار إمامًا في السابعة من عمره، والإمام الهادي الذي صار إمامًا في الثامنة من عمره، والإمام المهدي الذي صار إمامًا في الخامسة من عمره (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

بيدَ أنَّ البعض استشكل على ذلك ومنهم من يُسمى بـ (أحمد الكاتب) وغيره؛ إذ قالوا كيف يكون بعض الأئمة الذين ادعوا الشيعة أنَّهم أئمة وهم لا زالوا صبيانًا؟!

يمكن الجواب عن هذا السؤال بطريقين هما:

الأول: الجواب بطريق النقض:

كيف يُفسر المعترضون إتيان الله ﷺ النبوة لبعض الأنبياء حال صباهم، كما أتى

⁽١) الزخرف ٢٨.

⁽٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤١٧ باب ٤٠ ح ٩.

النبوة والحكم للنبي يحيى في وهو صبيٌ يقول الله في: ﴿ يَا يَكْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ النبي عيسى فَ نبيًا وهو بعدُ في المهد، قال في: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي المُهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (٢)

فبنفس تفسيرهم لجعل الله الله النبوة لبعض الأنبياء حال صباهم، يمكن تفسير جعله الإمامة لبعض الأئمة حال صباهم.

الثاني: الجواب بطريق الحل:

ويمكن ذلك بعدة وجوه، إن لم يكف أحدها، فبمجموعها صالحة للجواب، وهي: الأول: تقدّم مرارًا أنَّ الإمامة إنَّما تكون بالجعل والنص الإلهي؛ لذا فإنَّ هذا السؤال لا يكون منطقيًا، إذ ما دام جعل الإمام تابعًا لإرادة الله ، وهو من فعله ، ونحن نعلم أنَّ أفعاله و حكيمةٌ لا لغو فيها ولا عبث، فلا يصح حينئذٍ أنْ نسأل لم جعل الله الإمام الجواد مثلًا إمامًا في هذا العمر.

الثاني: إنَّ النص الإلهي له بعدان: أولهما، إنَّ جعل الإمامة أمرٌ خاصٌ بالله ، والثاني إنَّ النص الإلهي يكشفُ عن مؤهلاتٍ موجودةٍ في الإمام تجعله مستحقًا لذلك المنصب، وبالتالي لا مانع أنْ يكون الإمام صغيرًا في عمره طالما أنَّه يمتلك تلك المقامات والكمالات الوجودية التي تؤهله لمنصب الإمامة.

الثالث: إنَّ هذا السؤال إنَّما يصدر ممن لا يعرف حقيقة الإمام، وعظم علاقته بالسياء، فإنَّ الإمام وإن كان بشرًا مثلنا إلا أنَّ علاقته بالسياء تتجاوز الحدود الطبيعية للبشر من حيث الفهم والعلم والحكمة، وهذا ما تكشف عنه النقاشات والبحوث التي

⁽۱) مريم ۱۲.

⁽۲) مریم ۲۹ و ۳۰.

قام بها الإمام الجواد على مثلاً مع يحيى بن أكثم وغيره من فقهاء البلاط العباسي في ذلك الوقت كها هو مذكور في الروايات الشريفة.

وكذلك ما كان يتمتع به الإمام الهادي من الفضائل والكهالات التي تبين تلك العلاقة الغيبية بالسهاء، تلك الفضائل التي كانت للإمام الجواد والهادي (سلام الله عليهها) التي دعت أعداءهم إلى الإقرار بفضلهم وعلمهم، وبالتالي لا يصح أنْ نسأل كيف صار الإمامُ أمامًا وهو لا زال صبيًا.

الرابع: بالإضافة إلى ما تقدَّم من أجوبةٍ دينية، نضيف جوابًا يتهاشى مع الفكر المادى، مفاده:

من المسلّم به لدى الجميع وجود العباقرة والنوابغ ممن هم صغار السن، بعمر ثلاث سنوات أو خمس، فلهاذا لا يُعترض على هؤلاء العباقرة كيف أصبحوا كذلك بهذا العمر الصغير؟!

ولا شك أنَّ الموحدين يبررونها على أنَّ الله ﴿ وهب لهم عقلًا خارقًا، فلماذا لا يُبرر هذا الأمر جعل الإمامة لبعض الأئمة (سلام الله عليهم) في صغر سنهم؟!

عقيدتنا في عدد الأئمة عليهم السلام

قال الشيخ الشيخ

«عقيدتنا في عدد الأئمة:

ونعتقد أنَّ الأئمة الذين لهم صفة الإمامة الحقّة هم مرجعنا في الأحكام الشرعية المنصوص عليهم بالإمامة اثنا عشر إماماً، نصَّ عليهم النبي على المنصوص عليهم بالإمامة اثنا عشر إماماً، نصَّ عليهم النبي على من بعده، على النحو الآتي:

١ - أبو الحسن علي أبي طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة
 ٤٠ بعدها.

- ٢ أبو محمد الحسن بن علي (الزكي)، (٢ ٥٠).
- ٣ أبو عبد الله الحسين بن علي (سيد الشهداء)، (٣ ٦١).
- ٤ أبو محمد على بن الحسين (زين العابدين)، (٣٨ ٩٥).
 - ٥ أبو جعفر محمد بن علي (الباقر)، (٥٧ ١١٤).
 - ٦ أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق)، (٨٣ ١٤٨).
- ٧ أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم)، (١٢٨ ١٨٣).
 - ٨ أبو الحسن على بن موسى (الرضا)، (١٤٨ ٢٠٣).
 - ٩ أبو جعفر محمد بن على (الجواد)، (١٩٥ ٢٢٠).
 - ١٠ أبو الحسن على بن محمد (الهادي)، (٢١٢ ٢٥٤).

١١ - أبو محمد الحسن بن على (العسكري)، (٢٣٢ - ٢٦٠).

١٢ - أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي)، (٢٥٦ -...) وهو الحجة في عصرنا الغائب المنتظر الله الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً.» انتهى.

قد حسب الشيخ الله لكلِّ كلمةٍ من هذه الكلمات حسابًا، وفي كلِّ منها كان له مغزى.

فالإمامةُ الحقّة:

هي الإمامة التي تكون بتنصيبٍ من الله ، لا من البشر، لا بالشورى ولا بالقوة ولا غيرها مما تقدم من طرق الوصول إلى الحكم وفقًا لنظرية الأمر الواقع.

وهم مرجعنا في الأحكام الشرعية:

هم (سلام الله عليهم) مرجعنا في كلِّ الأمور المتعلقة في الدين، من أصول وفروع وثمرتها الأخلاق. ولكن بها أنَّ الأحكام الشرعية تدخل في كلِّ مجالات الحياة، فحياتنا عبارة عن وقائعَ وأحداثٍ، ولكلِّ منها حكمٌ شرعيٌ؛ إذ ما من واقعةٍ إلا ولها حكمٌ، لذا ذكرها الشيخ (طيب الله ثراه).

المنصوص عليهم بالإمامة:

وقد تقدّم الحديث مفصلًا في أنَّ الإمامة لا تكون إلا بالنص الإلهي.

وأكمل المنتقدم منهم على من بعده على المنتقدم منهم على من بعده على النحو الآتي:

فيذكر الشيخ أنَّ الرسول الأكرم عَلَيْكَ قد نصَّ عليهم جميعًا، وذكر أسماءهم (سلام الله عليهم)، ثم نص الإمام المتقدِّم منهم على الذي يليه.

أثار بعض المشككين ومنهم أحمد الكاتب شبهةً في نشرةٍ عنوانها الشورى، مفادها: إنَّ الشيعة اختلفوا فيها بينهم في عدد أئمتهم، وإنَّ الشيعة افترقوا فرقتين في هذا المجال، فالبعض يقول: إنَّ الأئمة ثلاثة عشر. وهذا الاختلاف يترتب عليه أنَّ الشيعة ليسوا على حق ومذهبهم باطل، والدليلُ على بطلانه هو اختلافهم فيها بينهم على عدد أئمتهم. (١)

في مقام الجواب نقول:

بعد تسليم وجود بعض الروايات التي قد يظهر منها أنَّ الأئمة بعد رسول الله على ثلاثة عشر، وهذه الروايات خمسةٌ ذكرها الشيخ الكليني الله على كتابه الكافي، ج١ بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِثْنَىٰ عَشَرَ والنَّصِّ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عِلْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلْعِلْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عِلْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عِلْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلِيْهِ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ عَلِيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْه

وقد يظهر من هذه الروايات أنَّ عدد الأئمة ثلاثة عشر.(٢)

⁽۱) نُقل عنه النص التالي: وعندما نشأت فكرة تحديد عدد الائمة، بعد القول بوجود وغيبة الامام الثاني عشر ها كان الشيعة الامامية يختلفون فيها بينهم حول تحديد عددهم باثني عشر أو ثلاثة عشر، وأذ برزت في ذلك الوقت روايات تقول، بان عدد الائمة ثلاثة عشر، وقد نقلها الكليني في (الكافى) (ج١ص٣٤٥) ووجدت في الكتاب الذي ظهر في تلك الفترة ونسب إلى سليم بن قيس الهلالي، حيث تقول إحدى الروايات، ان النبي عليه قال لامير المؤمنين ن «أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق».

وهذا ما دفع هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب، حفيد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، الذي كان يتعاطى (الكلام) لان يؤلف كتابا في الامامة، يقول فيه، ان الائمة ثلاثة عشر، ويضيف إلى القائمة المعروفة (زيد بن على) كما يقول النجاشي في (رجاله)

⁽٢) الروايات في الكافي للكليني ج ١ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِثْنَيْ عَشَرَ والنَّصِّ عَلَيْهِمْ اللَّيْ: ١/ الحديث ٧:

عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرِ ﷺ يَقُولُ «الِاثْنَا عَشَرَ الإِمَامَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّهُمْ مُحَدَّثُ مِنْ وُلْدِ رَسُولُ الله وعِليُّ ﷺ هُمَا الْوَالِدَانِ...».

٢/ الحديث ٩:

ويكون رد هذه الشبهة بجوابٍ تفصيلي تارةً، أي بالتعرض إلى هذه الروايات روايةً روايةً، وإثبات ضعف سندها، وما توصل إليه العلماء في بحثهم في متونها بالرجوع إلى مصادر الأمهات، وخلاصته أنَّ تصحيفًا، أو خطاً أو اشتباهًا من النساخ حدث في إضافة حرف، ترتب عليه دلالتها على أنَّ الأئمة ثلاثة عشر.

ويكون بجوابٍ إجمالي تارةً أخرى، ولأن الأخير كافٍ في رد هذه الشبهة، فقد استغنينا عن التعرض للأول. وللجواب الإجمالي وجهان هما:

الأول: من الأصول الموضوعية عند الشيعة: عدم وجود كتابٍ يوصف بصحة كلِّ ما ورد فيه من الغلاف إلى الغلاف سوى القرآن الكريم، فكلُّ كتابٍ عندنا سوى القرآن الكريم هو خاضعٌ للنقاش وللأخذ والرد ولتصحيح بعض ما ورد فيه وتخطئة البعض الآخر.

وهذا خلاف العامة الذين وصفوا بعض كتبهم بالصحاح، وهو وصفٌ يعني أنَّ كُلُ ما موجود بين دفتيها هو صحيحٌ، ويمثل عقيدتهم ودينهم، والتزامهم بهذا الأمر

عنْ أَبِي جَعْفَرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيِّ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ ﴿ اللهِ وَبَيْنَ يَكَيْهَا لَوْحٌ فِيهِ أَسْمَاءُ الأَوْصِيَّاءِ مِنْ وُلْدِهَا، فَعَدَدْتُ اثْنَيْ عَشَرَ آخِرُهُمُ الْقَائِمُ ﴿ الْحَدِثُ عَلَيْ مَنْهُمْ عَلِيٌّ . * الحديث ١٤:

عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرِ ﷺ يَقُولُ: «الِاثْنَا عَشَرَ الإِمَامَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ كُلُّهُمْ مُحَدَّثٌ مِنْ وُلْدِ رَسُولِ اللهَ ﷺ وَعَلِيٌّ ۖ هُمَا الْوَالِدَانِ».

٤/ الحديث ١٧:

عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنِّي واثْنَيْ عَشَرَ مِنْ وُلْدِي وأَنْتَ يَا عَلِيُّ زِرُّ الأَرْضَ اَنْ تَسِيخَ بِأَهْلِهَا فَإِذَا ذَهَبَ الِاثْنَا عَشَرَ مِنْ وُلْدِي سَاخَتِ الأَرْضَ اَنْ تَسِيخَ بِأَهْلِهَا فَإِذَا ذَهَبَ الِاثْنَا عَشَرَ مِنْ وُلْدِي سَاخَتِ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَلَا يُنْظَرُوا ».

٥/ الحديث ١٨:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مِنْ وُلْدِيَ اثْنَا عَشَرَ نَقِيباً نُجَبَاءُ مُحَدَّثُونَ مُفَهَّمُونَ آخِرُهُمُ الْقَائِمُ بِالْحُقِّ يَمْلاُهُا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً». يُلزمهم بالامتثال والاعتقاد بكلِّ ما ورد فيها.

أما نحن - كأتباع المدرسة الإمامية - فلا كتاب صحيحاً عندنا سوى القرآن الكريم، وعليه لو تضمن أثمن الكتب وأهمها ما يُخالف عقيدةً ثابتة راسخةً، فتركه ورفضه لا يخرج عن الحدود العلمية التي بنينا عليها معارفنا.

وهذا يعني: خضوع أيّ روايةٍ موجودةٌ في كتبنا المعرفية والحديثية إلى قوانين علم الرجال وغيرها من العلوم، كعلم الكلام والفقه والقرآن الكريم، ومن ثَمّ فإنَّ هذه الروايات الخمس التي قد يُستظهر منها أنَّ عدد الأئمة ثلاثة عشر يمكننا أنْ نرفضها بكلِّ سهولةٍ ولا تؤثر على عقيدتنا في شيء.

علاوةً على ذلك فإنَّ هذه الروايات إما ضعيفةُ السند -وكُلُّها كذلك-، وإما ثبت تصحيفها وزيادةِ حرفٍ أو كلمةٍ فيها، كما ذكر علماؤنا المحققون في هذا المجال، أو يمكن أنْ تُحمَل على معانٍ كنائية تتوافق مع الاعتقاد بأنَّ الأئمة اثنا عشر فقط، كما ذهب البعض إلى أنَّ المقصود منها هو إدخال السيدة الزهراء (سلام الله عليها)؛ لأنها حجةٌ من حجج الله، فيما ذهب البعض إلى أنَّ ذلك من باب عطف العام على الخاص، أيّ ذكر الإمام علي في ثم ذكره ضمن الاثني عشر إمامًا، فمن الممكن حملها على هكذا محامل تتوافق مع عقيدتنا، هذا بقطع النظر عن سندها الضعيف، وكونها ضعيفةً بمفرده يكفي في عدم الاستناد عليها في أمر فقهي فضلًا عن العَقَدي.

بل يمكن الجزم بوقوع خطأً من النُساخ (تصحيف) عندما كتبوا الكافي، أو ربها يكون اشتباهًا من نفس الشيخ الكليني الله كم لو كتب اثني عشر عوضًا عن أحد عشر لما هو مترسخٌ في الذهن أنَّ الائمة اثنا عشر.

وجزمنا بوقوع الاشتباه هذا لم يأتِ اعتباطًا، بل يتأتى من ذكر الشيخ الله هذه الروايات الخمسة في بابِ سمّاه بـ (بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِثْنَيْ عَشَرَ والنَّصِّ عَلَيْهِمْ اللَّهِاللهِ.)،

فلا يُعقل أن يثبت رواياتٍ تدلُّ على أنَّ الأئمة ثلاثة عشر في بابٍ ما عقده إلا ليُثبت فيه عقيدته بأنَّ الأئمة من بعد النبي يَنِي هم اثنا عشر.

كما أنَّه ﷺ قد ذكر في هذا الباب عشرين رواية للاستدلال بها على أنَّ الأئمة اثنا عشر، ومن ضمنها ذكر هذه الروايات الدالّة على أنَّ الأئمة ثلاثة عشر!

ومن هنا يمكن الجزم بوقوع الخطأ أو الاشتباه من الشيخ الكليني على ولكننا نجله عن هذا الخطأ، فلربها صدر من أحد النُساخ، ومعه لا تكون هذه الروايات معارضة لعقيدتنا في أنَّ الأئمة اثنا عشر فقط.

الثاني: إنَّ من الأمور المُسلَّمة لدى الشيعة، والتي لا يختلف فيها اثنان، من عوامهم فضلًا عن خواصهم في أنَّ أئمتنا وخلفاء النبي الله هم اثنا عشر إمامًا لا غير، بل إنَّ مذهبنا معروفٌ بالاثنى عشرية.

نعم، نُقِل أنَّ الذي قال بتلك المقالة هو هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب، المُكنّى بأبي نصر، والمعروف بابن برنية، وكان قد حضر في مجلس أبي الحسين بن أبي شيبة العلوي الزيدي، فأراد هبة الله أنْ يتقرب إلى دنيا أبي الحسين فكتب له كتابًا، ذكر فيه إنَّ الأئمة ثلاثة عشر، بإضافة (زيد بن علي) لكون الرجل (أبي الحسين) زيدياً.

وقد احتج هبة الله على ذلك بحديث جاء في كتاب سُليم بن قيس الهلالي، وتلك الرواية من إحدى الروايات الخمسة التي ذكرها الشيخ الكليني ومفاده أن «الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين». (١)

⁽۱) قد عدَّ ابن الغضائري وجود هذه الرواية في كتاب سليم بن قيس إحدى العلامات على وضعه. وأجاب عنه العلامة التستري بقوله «انه من سوء تعبير الرواة وإلا فمثله في الكافي أيضاً موجود»، ولزيادة الفائدة: نذكر ترجمة هبة الله على ما ورد في مستدركات علم الرجال للنهازي الشاهرودي ج٨ ص ١٤١ - ١٤١ رقم (١٥٨٦٣)

هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب أبو نصر المعروف بابن برنية: هكذا عنونه النجاشي والعلامة، ثم

والخلاصة: أنَّ الشيعة لم يفترقوا فرقتين كما ذهبت إليه الشبهة، وإنّما هم مُطبقون على أنَّ الأئمة اثنا عشر، وأما (هبة الله) الذي أراد الدنيا فكتب كتابًا يتقرب به إلى دنيا أبى الحسين العلوي الزيدي، فهو شاذٌ نادر.

فعقيدتنا في الأئمة أنَّهم اثنا عشر، وأما من ادَّعي سوى ذلك بأنْ زاد على ذلك أو أنقص فهو خارجٌ بدعواه هذه عن المذهب.

وظاهره اعتماد أبي العباس عليه.

ونقل العلامة المامقاني عن الفاضل التفرشي أنه علق على قول النجاشي: (واحتج بحديث - الخ): أنه ليس في كتاب سليم بن قيس أن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين، بل فيه: أن الأئمة ثلاثة عشر من ولد إسهاعيل وهم رسول الله على مع الأئمة الاثني عشر، فكأنه اشتبه على النجاشي أو غيره. انتهى. أقول: ولو فرض وجود الحديث لا يدل على أن الأئمة ثلاثة عشر لأن الكلام بعد قوله (اثنا عشر) منقطع، فكأنه يقال: الأول معلوم والباقي من ولد من يكونون؟ فأجاب: من ولد أمير المؤمنين. فتدبر جدا.

عقيدتنا في المهدي عجل الله فرجه الشريف

قال تدشين:

«عقيدتنا في المهدي:

إن البشارة بظهور (المهدي) من ولد فاطمة في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً - ثابتةٌ عن النبي على بالتواتر، وسجلها المسلمون جميعاً فيها رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم.

وليست هي بالفكرةِ المُستحدثة عند (الشيعة) دفع إليها انتشار الظلم والجور، فحلموا بظهور من يطهر الأرض من رجس الظلم، كما يريد أن يصوّرها بغض المغالطين غير المنصفين.

ولولا ثبوت (فكرة المهدي) عن النبي على وجه عرفها جميع المسلمين وتشبعت في نفوسهم واعتقدوها لما كان يتمكن مدعو المهدوية في القرون الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملةٍ من العلويين وغيرهم، من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والسلطان، فجعلوا ادعاءهم المهدوية الكاذبة طريقاً للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليهم.

ونحن مع إيهاننا بصحة الدين الاسلامي وأنّه خاتمة الأديان الإلهية ولا تترقب ديناً آخر لإصلاح البشر، ومع ما نشاهد من انتشار الظلم واستشراء الفساد في العالم على وجه لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم في المهالك المعمورة، ومع ما نرى من انكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم وتعطيل أحكامه وقوانينه في جميع المهالك الإسلامية، وعدم

التزامهم بواحدٍ من الألف من أحكام الإسلام - نحن مع كل ذلك لا بُدّ أنْ ننتظر الفرج بعودة الدين الاسلامي إلى قوته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد.

ثم لا يمكن أن يعود الدين الإسلامي إلى قوته وسيطرته على البشر عامة، وهو على ما هو عليه اليوم وقبل اليوم من اختلاف معتنقيه في قوانينه وأحكامه وفي أفكارهم عنه، وهم على ما هم عليه اليوم وقبل اليوم من البدع والتحريفات في قوانينه والضلالات في ادعاءاتهم.

نعم لا يمكن أنْ يعود الدين إلى قوته إلا إذا ظهر على رأسه مصلحٌ عظيمٌ يجمع الكلمة ويرد عن الدين تحريف المبطلين، ويبطل ما ألصق به من البدع والضلالات بعناية ربانية وبلطف إلهي؛ ليجعل منه شخصاً هادياً مهدياً، له هذه المنزلة العظمى والرياسة العامة والقدرة الخارقة ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً.

والخُلاصة أنّ طبيعة الوضع الفاسد في البشر البالغة الغاية في الفساد والظلم، مع الإيهان بصحة هذا الدين وأنّه الخاتمة للأديان - يقتضي انتظار هذا المصلح (المهدي)، لإنقاذ العالم مما هو فيه.

ولأجل ذلك آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمة، بل الأمم من غير المسلمين غير أنّ الفرق بين الإمامية وغيرها هو أن الإمامية تعتقد أنّ هذا المصلح المهدي هو شخصٌ معينٌ معروفٌ ولد سنة ٢٥٦ هجرية ولا يزال حياً، هو ابن الحسن العسكري واسمه (محمد).

وذلك بها ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه.

ولا يجوز أنْ تنقطع الإمامة وتحول في عصر من العصور، وإنْ كان الإمام مخفياً،

ليظهر في اليوم الموعود به من الله الذي هو من الأسرار الإلهية التي لا يعلم بها إلا هوا.

ولا يخلو من أن تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله الله له، وليست هي بأعظم من معجزة أن يكون إماماً للخلق وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى إذ كلم الناس في المهد صبياً وبُعِثَ في الناس نبياً.

وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي أو الذي يُتخيّل أنّه العمر الطبيعي لا يمنع منها فنُ الطب ولا يحيلها، غير أنّ الطب بعد لم يتوصل إلى ما يمكنه من تعمير حياة الانسان.

وإذا عجز عنه الطب فإنّ الله الله قادرٌ على كُلِّ شيءٍ، وقد وقع فعلاً تعمير نوح وبقاء عيسى الله كل أخبر عنها القرآن الكريم.. ولو شكَّ الشاك فيما أخبر به القرآن فعلى الإسلام السلام.

ومن العجب أنْ يتساءل المسلم عن إمكان ذلك وهو يدّعي الإيمان بالكتاب العزيز.

ومما يجدر أنْ نذكره في هذا الصدد ونذكّر أنفسنا به أنّه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي)، أنْ يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيها يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بل المسلم أبداً مكلفٌ بالعمل بها أنزل من الأحكام الشرعية، وواجبٌ عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة وواجبٌ عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكّن من ذلك وبلغت إليه قدرته «كُلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعته».

فلا يجوز له التأخر عن واجباته بمُجرد الانتظار للمصلح المهدي والمبشر الهادي، فإنّ هذا لا يُسقِطُ تكليفاً، ولا يؤجل عملاً، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم.» انتهى.

إنَّ قضية الإمام المهدي عثل قضيةً محوريةً في الدين الإسلامي؛ لذا سنحاول التفصيل فيها نوعًا ما، لمعالجة أمور مهمة ذكرها الشيخ في طيّات حديثه عنها، وأخرى من المناسب أن نتعرض إليها، على شكل مباحثَ مستقلةٍ، في كلِّ منها نتناول جانبًا من جو انب هذه القضية.

المبحث الأول:

هل إنَّ القضية المهدوية من مختصات الشيعة؟

من المسلَّم به أنَّ القضية المهدوية مما تؤمن بها المدرسة الإمامية كما سيأتي تفصيله بإذن الله في وهناك من عزا ظهور هذا الاعتقاد في الشيعة؛ نتيجةً لتعرضهم لبعض الظروف القاسية كما ادعى ذلك أحمد الكاتب وغيره؛ إذ قالوا: إنهّا فكرة مُستحدثة عند الشيعة نتيجةً للظروف الصعبة التي مرّوا بها من ظلم وطغيان وما شابه، ولكي يوفروا لأنفسهم قبسَ أمل يعيشون من أجله، اخترعوا هذه القضية.

فهل القضية المهدوية من مختصات الشيعة؟ بمعنى أنه لا توجد فرقة عقائدية ولا فكر إنساني يؤمن بها؟

للجواب عن ذلك لا بُدَّ من البحث خارج الدائرة الإمامية، ولكي يكون البحث متسلسلًا لا بُدَّ من التدرج شيئًا فشيئًا في البحث حتى نصل إلى المعتقد الإمامي، ضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: هل القضية المهدوية قضية إنسانية؟

المطلب الثاني: ما هو اعتقاد أهل الديانات السماوية والوضعية بالقضية المهدوية؟ المطلب الثالث: ما هو اعتقاد أهل السنة بالقضية المهدوية؟ وفيه:

أولًا: الروايات التي أثبتت القضية المهدوية.

ثانيًا: شبهة عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي دليل على بطلانها!

المطلب الرابع: ادعاء المهدوية دليلٌ على صحة القضية المهدوية، وفيها:

أولًا: أسباب الدعاوى المهدوية.

ثانيًا: أقسام الدعاوى المهدوية.

ثالثًا: الخطوط العامة للدعاوي المهدوية.

رابعًا: كيف نواجه مدعى المهدوية؟

خامسًا: طرق النقاش في القضايا المهدوية.

المطلب الأول: هل إنَّ القضية المهدوية قضية إنسانية؟

تتلخص القضية المهدوية بشكل عام، أو قل: نظرية المنقذ أو المخلص، بالاعتقاد بأنَّ هناك شخصًا ما يأتي في آخر الزمان؛ ليزيل الظلم عن وجه المعمورة، ويملأ الدنيا قسطًا وعدلًا، ويُحوِّل الأرض إلى جنةٍ دنيويةٍ، أو شخصًا يحقق المدينة الفاضلة بحسب تعبير أفلاطون.

إنَّ القضية المهدوية بشكلها العام المتقدم -أو قل نظرية المنقذ أو اللُخلِّص بقطع النظر عن شخص ذلك المنقذ وذلك المخلص - إنَّما هي في الحقيقة قضيةٌ تنطلق من أسسٍ متينة تمتد جذورها إلى الماضي السحيق، بل تجدُ أثرها جليًا في ضمير أيِّ إنسانٍ لم يمت ضميره، ومن ثم فهي قضيةٌ إنسانية؛ لأنها:

أولًا: تنطلق من أسسٍ تاريخية رصينة وقوية جدًا، وهذا الأمر واضحٌ؛ إذ إنَّ فكرةً تتمحور حول محورٍ واحدٍ وهو ظهور شخصٍ يُزيل الظلم ويُحلّ محله العدل، وتتعاقب عليها العصور والأجيال والحضارات على اختلاف معتقداتها وممارساتها وطقوسها، هي بلا أدنى شكٍ فكرةٌ متأصلة في النفوس، تمتد بجذورها في الماضي السحيق.

ثانيًا: هي من الأمور الفطرية؛ إذ إنَّ للأمور الفطرية خصائص وصفات، ومن

أهمها اشتراك جميع البشر فيها، كمسألة الجوع مثلًا، فإنَّ الشعور به أمرٌ مشترك بين جميع البشر على اختلاف توجهاتهم الدينية والسياسية، بل وعلى اختلاف مراحلهم العمرية وأجناسهم وأعراقهم.

وقد اشترك بالقضية المهدوية جميع البشر على اختلاف دياناتهم السماوية والوضعية، مما يكشف عن فطرية هذه الفكرة ويزيدها قوة.

فهي قضية تتناغم مع فطرة الإنسان المُحِبة للخير؛ إذ إنَّ الإنسان _ كما يذكر علم النفس _ قد فُطِر على عدة أمور: حب الجمال، وحب الاستطلاع (الفضول العلمي)، وحب التدين أي أنْ يكون له إلهٌ يعبده، ومنها حب الخير، والقضية المهدوية تتناغم مع حب الخير، ولو بأدنى مستوياته وهو حب الإنسان الخير لنفسه؛ لأنَّها تجلب الخير على أقل التقادير لنفس الإنسان، فإذا أحسّ الشخص بالأمان وتطبيق العدل على الجميع، وأنَّ حقوقه سيأخذها تامةً لا نقص فيها، فهذا أمرٌ يتوافق مع حبِّه للخير على الأقل لذاته.

المطلب الثاني: ما هو اعتقاد أهل الديانات السماوية والوضعية بالقضية المهدوية؟

لم تقتصر القضية المهدوية في إطارها العام (نظرية المخلص) على الوجدان الإنساني والفطرة البشرية وحسب، بل تجد خيوطها واضحة في جميع الديانات. فقد استأثرت بحيز واضح في التراث الديني سماويًا كان أم وضعيًا، نذكر منها(١):

أولًا: الديانات السماوية:

أ/ الديانة اليهودية:

ووصلنا منها عدة أمور تتصل بجذور القضية المهدوية، وهي:

(١) انظر: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر - المحامي أحمد حسين يعقوب - ص ١٥٤ - ١٥٩ ط. المجمع العالمي للمبلغين. ١/ التأكيد على الفكرة الرئيسية، أي أنَّ هناك مهديًا سيزيل الظلم من على الأرض
 ويحل محله العدل.

٢/ الإشارة العامة إلى أصول المهدي النسبية، فذكرت أنَّه من نسل إسماعيل الله واحدٌ من اثنى عشر عظيمًا.

٣/ الإشارة إلى الظروف والمخاطر التي ستحيط بولادته.

٤/ صرّحت الديانة اليهودية بأنَّ الله ﷺ سيغيبه عن الناس من أجل أنْ يحفظه، وسيظهره بعد ذلك في الوقت المناسب.

ب/ الديانة المسيحية:

ج/ الديانة الإسلامية:

وسيأتي الحديث عنها مفصلًا.

ثانيًا: الديانات الوضعية:

فقد اعتقد الزرادشتيون بفكرة الظهور، واعتقدوا أنَّ منقذهم هو بهرام شاه الذي سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا.

فيها اعتقد المجوس بعودة أرشيدو.

أما البوذيون فقد اعتقدوا بعودة بوذا.

وتنقل بعض المصادر أنَّ الإسبان آمنوا بعودة ملكهم روذريق.

وأنَّ المغول اعتقدوا بعودة جنكيز خان.

وأن مسيحيي الأحباش اعتقدوا بعودة ملكهم ثيودور.

ومثل هذه الاعتقادات نجدها عند قدماء المصريين وفي كتب الصينيين القديمة.

أضف إلى ذلك فإنَّ بعض المفكرين ذكروا في كتاباتهم ما يشير إلى اعتقادهم بالقضية المهدوية، أو قل بنظرية المنقذ أو المصلح بقطع النظر عن شخصيته، فالفيلسوف الانكليزي برت راند راسل يقول: "إنَّ العالم بانتظار مصلح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد».

كما نُقِل عن أينشتاين صاحب النظرية النسبية المعروف أنَّه قال: «إنَّ اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفا ويكون الناس متحابين ليس ببعيد».

وأما الفيلسوف الانكليزي برنارد شو فلديه كتاب باسم (الإنسان والسوبر مان)، علّق عليه الكاتب عباس محمود العقاد قائلًا: «يلوح لنا أنَّ سوبر مان (شو) ليس بالمستحيل، وأنَّ دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة».

وبشكل مجمل، فإنَّ أصحاب هذه الكلمات وإن اختلفوا فيمن هو ذلك المنقذ، أو المخلص أو المصلح، حتى اعتقد بعضهم بأنَّ أشخاصًا كانوا معروفين قد اختفوا في ظروفٍ اكتنفها الغموض، أو أنَّهم كانوا مشهورين وماتوا، واعتقدوا بعودتهم، إلا أنَّهم قد آمنوا جميعًا بفكرة ظهور المنقذ وأنَّ العالم محتاجٌ إليه، وهو الذي سيعمل على إنقاذ البشرية وتحقيق السعادة وإحالة الأرض إلى جنة دنيوية، وهي لا تختلف عمّا ورد في الروايات من انه «سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا».

المطلب الثالث: ما هو اعتقاد أهل السنة بالقضية المهدوية؟

من الواضح جدًا لكلِّ مُطلع أنَّ الاعتقاد بالمهدي هو من الاعتقادات الثابتة والراسخة عند مدرسة الخلفاء، فهي قضية مفروغ منها وقد آمنوا بها. نعم، هناك

اختلافاتُ بيننا وبينهم في التفاصيل، ولكن أصل الفكرة المهدوية مُتفقٌ عليها، يدلُّنا على ذلك ما ورد في كتبهم الحديثية من روايات.

علاوةً على هذا الدليل فإن هناك مؤيدًا لها وهو ادعاء المهدوية، والذي سنتناوله في مطلب مستقل، بعد الاستدلال بالروايات.

وقد ذكرت القضية المهدوية جميعُ الكتب الحديثية سوى صحيحي البخاري ومسلم، فلم يذكرانها -كما قيل-؛ لذا كان لابُد من تناول تلك الروايات أولًا، ليكون ما بعدها في معالجة عدم ذكر ذينك الصحيحين لها.

أولًا: بعض الروايات العامية التي أثبتت القضية المهدوية.

ذكرت هذه الروايات في عدد من الكتب الحديثية، هي:

1/ سنن الترمذي: وهو الكتاب الذي قيل عنه: «من كان في بيته هذا الكتاب فكأنها في بيته نبيًّ يتكلم»(١)، فهو كتابٌ معتمدٌ عندهم، ويقدسونه ويحترمون ما فيه، وقد ذكر فيه الترمذي عدة أحاديث عن المهدي، ومنها حديثٌ قال عنه الترمذي: (حديث صحيح) ونصه التالي:

حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، أخبرنا أبي، أخبرنا سفيان الثوري عن عصام بن بهدلة عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله عليه: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهلِ بيتي يواطئ اسمه اسمي». (٢)

٢/ سنن أبي داوود: وهو كتابٌ قال عنه ابن الإعرابي: لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي في كتاب الله، ثم هذا المصحف، لم يحتج معها إلى شيء من

⁽١) فضائل سنن الترمذي للإسعردي ص ٣٢.

⁽۲) سنن الترمذي - الترمذي - ج ٣ - ص ٣٤٣.

العلم البتة. (١)

وقد ذكر أحاديث عديدة أيضاً، ومنها(٢):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا الفضل بن دكين، ثنا فطر عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، عن على رضى الله تعالى عنه، عن النبي الله قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا».

ومنها: حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله علي يقول: «المهدى من عترق من ولد فاطمة»(٣).

٣/ سنن ابن ماجة: وفي سنن ابن ماجة أيضاً ذكر العديد من هذه الأحاديث ومنها^(٤):

حدثنا هدية بن عبد الوهاب، ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن علي بن زياد اليمامي، عن عكرمة بن عمار، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله عليه يقول: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدي».

من الجدير بالإشارة إليه، أنَّ النبي الله في حديثه هذا قد ركّز على عبد المطلب في قوله: «نحن ولد عبد الملطلب»، ولا بُدَّ أن يكون التركيز عليه لسبب، ومن سياق الحديث أنَّ ذلك السبب هو الفخر، مما يعنى أنه قد كان عبد المطلب أهلًا لافتخار

⁽١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٧ ص ١٦٦.

⁽٢) سنن أبي داود - ابن الأشعث السجستاني - ج ٢ - ص ٣١٠.

⁽٣) سنن أبي داود - ابن الأشعث السجستاني - ج ٢ - ص ٣١٠.

⁽٤) سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزويني - ج ٢ - ص ١٣٦٨.

النبي ﷺ بالانتساب إليه؟ وهل يصح أن يفتخر بكافرٍ قد مات على غير دين الله ، كما يدّعون؟!

الإمام المهدي الله كلمات المعاصرين من مدرسة الخلفاء:

ورد ذكره هي في كلمات بعض العلماء المعاصرين، نقتصر بالذكر على اثنين فقط:

١/ مقالة الشيخ ناصر الدين الالباني.

للشيخ الألباني مقالةٌ بعنوان (حول المهدي)، نُشِرت في مجلة التمدن الإسلامي، قال في المقدمة ما نصه: «أما مسألة المهدي فليُعلم أنَّ في خروجه أحاديثَ كثيرةً صحيحةً، قسمٌ كبيرٌ منها له أسانيد صحيحة».

٢/ الشيخ محمود الغرباوي.

وهو المفتش بوزارة الأوقاف في مديرية أوقاف الجيزة، قال في مقدمة كتابه (بشرى البشر في حقيقة المهدي المنتظر) ما نصه: «فقد وردت الأحاديث بلا نزاع مؤكدةً ظهور المهدي المنتظر منها الصحيح ومنها الحسن ومنها ما يُقوّي بعضها بعضًا».(١)

كها ذكر في الفصل الأول من نفس الكتاب في (ص ١١) ما نصه: «روى أحاديث المهدي أكثر المحدثين منهم: الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الترمذي، والإمام أبو داوود، والإمام ابن ماجة، والطبراني، والبزاز، والحاكم، وأبو يعلي، وغيرهم من أئمة الحديث والمعاجم والأسانيد».

مما تقدّم يتبين بكلِّ وضوحٍ أنَّ أصل قضية خروج المنقذ أو المُخلِّص أو المهدي أمرٌ مفروغٌ عنه عند الإنسانية جمعاء.

⁽١) بشرى البشر في حقيقة المهدي المنتظر - الشيخ محمود الغرباوي - ص ٥/ دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

وينتج عن هذا الأمر عدة نتائج:

 ١/ إنَّ القضية متينة، وهذا يمثل مصدرًا من مصادر القضية؛ كونها موجودة عند جميع البشرية.

٢/ وهذا سيرسم لنا طريقًا واضحًا إلى النصر المهدوي.

ثانيًا: شبهة عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي.

تقدّم أن الاعتقاد بالقضية المهدوية ليس خاصًا بالشيعة، بل يمتد ليشمل المسلمين أيضًا. ولكن رغم ذلك، فقد أشكل بعض أهل العناد قائلًا: لو كان الاعتقاد بالمهدي من المعتقدات الإسلامية، والنبي على قد بشّر به لأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيها، والحال أنّها لم يذكراه، إذًا لا صحة له.

وإنّ الذي نظّر لهذه الفكرة هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون صاحب المقدمة المتوفي سنة ٨٠٨ هجرية، فحاول الاستدلال بعدم تخريج البخاري ومسلم لأحاديث المهدي على بطلان الاعتقاد به. وافقه في ذلك أحمد أمين المصري، بقوله: ومما يشهد بالفخار للبخاري والمسلم أنّها لم تتسرب إليهما من هذه الأحاديث وإنْ تسربت إلى غيرهما من الكتب.

ومن المعلوم أنَّ ابن خلدون مؤرخٌ، وعليه فليس له الحق في أنْ يدُسَّ أنفه في علم الرجال والحديث، وهذا فضولٌ منه لا مبرر له. ولكن مع ذلك نرد هذه الشبهة، ومن المناسب قبل الولوج في ذلك ذكر مقدمةٍ.

تعريف موجز للبخاري ومسلم:

البخاري هو محمد بن إسهاعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردزيه البخاري، وبردزيه مجوسي ومات على المجوسية، وأما المُغيرة فقد أسلم على يدي اليهان الجعفي والي بخارى.

يُذكر أنَّ قول البخاري بخلق القرآن في المحنة المعروفة بـ (محنة خلق القرآن) تسبب في نقمةِ الناس عليه وطرده من بلدهم.

ومحنة خلق القرآن: مسألةٌ كلامية فكرية ولكن عظم الخلاف فيها حتى بلغ مبلغ سفك الدماء، موضوعها أن كلام الله وحادث أم قديم، وقد كانت السلطات الحاكمة تبدّل رأيها في المسألة مع تبدّل الخليفة، فمن وافقه عاش في سلام، ليكون الظلم والتشريد وربها القتل من نصيب من يخالفها في ذلك. وكانت السلطة آنذاك تقول بقدم القرآن فأصدرت الأوامر بطرده من البلاد وبمقاطعته.

ويذكر أنَّ شيخ البخاري (محمد بن يحيى الذهلي) قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ولا يُجالس، ولا يُكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسهاعيل فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه. (١)

فانقطع عنه الناس بعد هذه الحادثة سوى مسلم بن الحجاج صاحب صحيح مسلم، وأحمد بن سلمة.

وأما مسلم، فهو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، وكان يحضر مجلس كلِّ من البخاري وشيخه، حتى قال محمد بن يحيى في أحد مجالسه: «ألا من قال باللفظ (أي أنَّ القرآن مخلوق) فلا يحلُّ له أنْ يحضر مجلسنا»، فأخذ مسلم رداءه فوق عهامته وقام على رؤوس الناس وخرج من المجلس. (٢)

وبعد هذه المقدمة، نشرع في الجواب عن الشبهة بعدّة وجوهٍ:

الوجه الأول: عدم وجود قاعدةٍ عند العامة تقضي بأنَّ ما لم يوجد في البخاري ومسلم وُوجد في غيرهما من المصادر فهو باطل، إذ إنها لم يجمعا بين دفتي كتابيها كلَّ

⁽١) انظر: التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص ١٦ (المقدمة).

⁽٢) انظر: التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص ١٦ (المقدمة).

ما في الدين الإسلامي.

وعليه فلا يصحُّ أنْ نستدل على بطلان عقيدةٍ ما بعدم ذكر أحاديثها في البخاري ومسلم؛ لأنَّ لازم الاستدلال على بطلان أحاديث المهدي بعدم ورودها في البخاري ومسلم، هو أنَّ البخاري ومسلم قد ذكرا كل الدين أصولًا وفقهًا وسلوكًا وسياسةً في أحاديثهم، ولم يقل أحدُّ بهذا اللازم فضلًا عن القول بصحته.

بل إنَّ نفس البخاري ومسلم صرّحا بأنّها لم يذكرا كلَّ حديثٍ صحيح، بل اختارا أحاديث صحيحة سطراها في صحيحيها. من ذلك قول البخاري: «لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحًا وما تركتُ من الصحيح أكثر.(١)

و في عبارةٍ أخرى يقول: ما أدخلت في كتابي الجامع الا ما صح، وتركت من الصحيح؛ حتى لا يطول. (٢)

كما أنَّ مسلم القشيري كذلك لم يذكر كل الأحاديث الصحيحة، كما نقل ابن الصلاح عنه قوله: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا - يعني في كتابه (الصحيح) - إنها وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه. (٣)

وفي أخرى يقول: إنها أخرجت هذا الكتاب وقلت هو صحاح، ولم أقل إن ما لم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف.(٤)

فهما يصرحان بأنَّ كل ما أخرجاه هو صحيحٌ، وهذا لا يعني بأنَّ كلَّ ما لم يخرجاه ليس بصحيح وضعيف، بل وقد صرّحا بذلك كما تقدَّم. وعليه، فإنَّ الاستدلال على

⁽١) مقدمة فتح الباري على شرح صحيح البخاري لابن حجر/ ج١/ ص٥.

⁽٢) مقدمة فتح الباري على شرح صحيح البخاري لابن حجر / ج١ / ص٥.

⁽٣) صحيح ابن حبان ج١ ص ٦ مقدمة التحقيق.

⁽٤) شرح صحيح مسلم للنووي ج١ ص ٢٦.

بطلان عقيدةٍ أو أيِّ أمرٍ؛ لعدم ذكره في كتابيهما غير صحيح.

الوجه الثاني: يبدو أنَّ تصحيح كلِّ ما في صحيح مسلم والبخاري حكمٌ عام؛ لذا عُرِف عن مدرسة الخلفاء أنَّها تعدهما دينها الذي تدين به، قال النووي: «ثم ما كان في صحيحي البخاري ومسلم أو في أحدهما اقتصر على إضافته إليهما لحصول الغرض وهو صحته، فإن جميع ما فيهما صحيح». (١)

بيدَ أنَّ الأمر خلاف الواقع؛ فقد وجد بعض العلماء في البخاري ومسلم من الأحاديث ما لا يمكن الحكم بصحته، بل ووجدوا ما يلزم منه أمور فاسدة كثيرة مما لا يسكت عنه أيضًا، مما حدا بهم -أو ببعضهم على الأقل- إلى التنازل عن الحكم بصحة كلِّ ما فيهما.

ومن أولئك: الألباني حيث نقل عنه في السلسلة الصحيحة/ج٦/ ص٩٣ في تعليقه على أحد الأحاديث، ما نصه: «هذا الشذوذ في هذا الحديث مثالٌ من عشرات الأمثلة التي تدلُّ على جهلِ بعض الناشئين الذين يتعصبون لصحيح البخاري وكذا لصحيح مسلم تعصبًا أعمى، ويقطعون بأنَّ كلَّ ما فيها صحيح».

وقال ابن حجر: «أخرج البخاري عن مسروق عن أم رومان... وهي أم عائشة طرفاً من حديث الإفك، وهو وهمٌ، لم يسمع مسروق من أم رومان... لأنها توفيت في عهد النبي عنه وكان لمسروق حين توفيت ست سنين قال وخفيت هذه العلة على البخاري، وأظن مسلما فطن لهذه العلة فلم يخرجه له...».(٢)

بل إنه نُقل أن البخاري ومسلم ما كانا يتعاملان مع كتب بعضها على أن كلا ما فيها صحيح، فقد قال الباجي المالكي: «وقد أخرج البخاري أحاديث اعتقد صحتها

⁽١) الأذكار النووية - النووي - ص ١٤.

⁽٢) مقدمة فتح البارى لابن حجر ص ٣٧١.

تركها مسلم لما اعتقد فيها غير ذلك وأخرج مسلم أحاديث اعتقد صحتها تركها البخاري لما اعتقد فيها غير معتقده وهو يدل على أن الامر طريقه الاجتهاد لمن كان من أهل العلم بهذا الشأن وقليل ما هم».(١)

وهذا يعني أنّه كما اشتبه البخاري ومسلم وأوردا في صحيحيهما أحاديث قالا إنّها صحيحة وتبيّن بأنّها ضعيفة، فيُحتمل أنّهما تركا أحاديث صحيحة ولم يخرجاها في صحيحيهما اشتباهًا منهما وظنّا أنّها ضعيفة وموضوعة. (هذا إذا أردنا أن نحسن الظن طبعاً).

الوجه الثالث: إنَّ ما تقدّم يبتني على أنَّ البخاري ومسلم فعلًا لم يخرجا أيَّ حديثٍ يتعلق بالمهدي لا صراحةً ولا بالإشارة، وهذا الأمرُ فيه نقاش؛ وذلك لأننا عندما نتابع صحيحيها نجدُ فيها أحاديث مضامينها متعلقة ومتصلة بالمهدي، وإنْ لم يُصرحا باسمه، تدلُّنا عليها أحاديث صحيحة وبنفس المضامين وردت في غيرهما مُصرحةً باسم المهدي، فتكون بذلك مُفسرة لما أبهم من تلك الأحاديث في صحيحي البخاري ومسلم.

وأما سبب عدم ذكر البخاري ومسلم اسم المهدي فيها، فلربها لتعمد الإبهام منها، فإنْ أردنا أنْ نُحسن الظن بهما فقد يكون بسبب خطأ من قبل النساخ.

وعلى هذا لا يمكن لنا القول: إنَّ البخاري ومسلم لم يخرجا أحاديث عن الإمام المهدي في كتابيهما، وبذا تنتفي دعوى ابن خلدون من رأس.

⁽١) الجرح والتعديل لسليمان بن خلف بن سعد، ابن أيوب الباجي المالكي ج١ ص ٢٨٦.

نماذج عن تلك الأحاديث:

النموذج الأول: روى مسلم بسنده عن أبي الزبير أنَّه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي على الحق ظاهرين إلى يوم سمعت النبي على يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة».(١)

والإبهام في كلمة أميرهم: «فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ بنا»، والتي وردت في حديثٍ آخر عن رسول الله على: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعالَ صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضهم أميرُ بعضِ تكرمةَ الله لهذه الأمّة». (٢)

والكلمة المبهمة في الرواية (إمامكم)، وهي التي تفسرها الرواية التي أخرجها المروزي في الفتن والمقدسي في عقد الدرر عن عبد الله بن عمر قال: «المهدي الذي ينزل عليه عيسى بن مريم ويصلى خلفه عيسى». (٤)

النموذج الثالث: روى مسلم بسنده عن أبي سعيد وعن جابر بن عبد الله قالا: قال رسول الله عليه: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده». (٥)

والإبهام كما هو واضح في كلمة (خليفة)، وقد فسرتها رواية احمد عن أبي سعيد

⁽۱) صحیح مسلم (ج۱ ص ۹۵).

⁽٢) ينابيع المودة لذوي القرى للقندوزي ج٣ ص٣٤٣ ب٨٥ والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٦٤.

⁽٣) صحيح البخاري (ج٤ ص١٤٣)، وفي صحيح مسلم (ج١ ص ١٩٤).

⁽٤) الفتن لنعيم بن حمد المروزي ص ٢٣٠، وعقد الدرر للمقدسي ص ٢٣٠.

⁽٥) صحیح مسلم (ج۸ ص ۱۸۵).

الخدري قال: قال رسول الله على: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً. فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس. قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد على غنى، ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادى فيقول: من له في مال حاجة، فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول: ائت السدان، يعنى الخازن، فقل له: إن المهدى يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً أو عجز عني ما وسعهم.

قال: فيرده، فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده. أو قال: ثم لا خير في الحياة بعده».(١)

وقال عنه الهيثمي: قلت رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات. (٢)

الوجه الرابع: تواتر أحاديث المهدي كالله

إنَّ شبهة ضعف أحاديث المهدي إنّا تصحُّ لو كانت قليلةً، ولم يصل الحدُّ فيها إلى التواتر. والتواتر: من الدرجات العليا لتوثيق الحديث، والحال أن الأحاديث فيه متواترةٌ؛ فلا تصحُّ هذه الشبهة.

وقد صرّح جملةٌ من العلماء والحفاظ والمحدثين العامة بتواتر أحاديث المهدي اللهاء ومن أولئك العلماء:

١/ قال أبو الحسن الآبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها [أي

⁽١) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص ٣٧.

⁽٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج٧ ص ٣١٤.

أحاديث المهدي] عن المصطفى بخروجه [أي المهدي]، وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه. (١)

٢/ محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، توفي ١١٠٣ هـ، فقد قال في كتابه الإشاعة في أشراط الساعة: الباب الثالث في الاشراط العظام والامارات القريبة التي تعقبها الساعة وهي أيضا كثيرة فمنها المهدي وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر .(٢)

وقال أيضاً: قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله الله عنى الإنكارها. (٣)

وقال أيضاً: وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت حد التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها بل أولها خروج المهدي وأنه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما. (٤)

والتواتر منه لفظي: كتواتر حديث «من كنت مولاه فهذا على مولاه» الذي ذُكِر بهذه الألفاظ من جماعة عن جماعة وهكذا إلى أنْ يصل إلى رسول الله على، ومن دون أي تغيير فيها. ومنه المعنوي، أي التواتر بالمعنى، ولكن مع اختلاف اللفظ، بأن تكون كلّ الألفاظ تشر إلى معنى واحد، وقد ثبت إسنادها جميعًا إلى رسول الله على.

٣/ وقال السفاريني في عقيدته المسهاة (بالدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):

⁽١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ١٦٧.

⁽٢) الإشاعة في أشر اط الساعة (٨٧).

⁽٣) الإشاعة في أشر اط الساعة (١١٢).

⁽٤) الإشاعة في أشر اط الساعة (١٨٩).

وما أتى في النص من أشراط فكله حق بلا شطاط منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح

وقال أيضا في شرحها: كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق: إن المهدي غير عيسى، وإنه يخرج قبل نزول عيسى، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم. (١)

المطلب الرابع: ادعاء المهدوية دليلٌ على صحة قضيتها.

قال الشيخ على وجه عرفها جميع المسلمين وتشبعت في نفوسهم واعتقدوها، لما كان يتمكن مُدّعو المهدوية في القرون المسلمين وتشبعت في نفوسهم واعتقدوها، لما كان يتمكن مُدّعو المهدوية في القرون الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين وغيرهم من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلبًا للملك والسلطان، فجعلوا ادعاءهم للمهدوية الكاذبة طريقًا للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليهم».

تقدَّم الاستدلال بروايات مدرسة الخلفاء على أنَّ القضية المهدوية ذات صبغة إسلامية، وكُنا قد ذكرنا أنَّ هناك ما يؤيد صحة هذه القضية أيضًا وهو ادعاء المهدوية، وهو ما ذكره الشيخ الشيخ المقطع.

وعليه، فإنَّ فكرة الإمام المهدي هي فكرةٌ حقّة على الأقل على المستوى الإسلامي، ولا يمكن لمسلمٍ على الأقل أنْ ينكر هذه العقيدة أو يقول ببطلان أصل فكرتها.

ويمكن طرح خلاصة ما يريد إثباته الشيخ الله في هذا المقطع ليكون مؤيدًا لفكرة المهدى، على شكل مقدمات متسلسلة ونتيجة:

⁽١) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج ٣٣ ص ٩٢١، و الإمام المهدي عند أهل السنة (ج٢ ص ٢٠).

المقدمة الأولى: إنَّ هناك مدعين للمهدوية في القرون الأولى، أي القرون القريبة من زمن النص، حيث كان المعصومون موجودين، وحيث كان بعض الصحابة أو التابعين موجودين.

المقدمة الثانية: انقسم الناس على إثر ذلك إلى قسمين: فمنهم من صدَّق هذه الدعاوى، واتبع من كان يزعم أنّه المهدي، ومنهم اعترض ولم يؤمن به.

المقدمة الثالثة: لم يكن اعتراض القسم الثاني من الناس على نفس فكرة المهدي، فهو يُسلِّم بها ويُذعن لها، إلا أنَّ اعتراضه كان لعدم انطباق مواصفات المهدي على مدعي المهدوية آنذاك.

النتيجة: هذا يعني أنَّ الناس في ذلك الوقت مؤمنون بأصل فكرة المهدي، بل هي من المسلمات عندهم؛ لذا لم يعترضوا على أصل الفكرة، وإنَّما اعترضوا على التطبيق.

هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإنَّ المدعي لأي منصبٍ من المناصب خصوصًا المناصب الدينية، عادةً ما يحاول أنْ يدّعي منصبًا معترفًا به من المسلمين؛ ليستطيع أنْ يحكمهم بذلك المنصب، كادّعاء الأمويين والعباسيين أنهم خلفاء رسول الله عليه ولذا حكموا الناس باسم الإسلام رغم أنَّ كلَّ أفعالهم كانت ضد الإسلام، وعليه فهذا الذي يدّعي المهدوية لم يدّعها إلا بعد علمه برسوخها بين الناس، ليحاول من خلالها حكم الناس.

وقد ادّعاها الكثير، فهي إذن من القضايا الراسخة بين الناس والمتسالم عليها عندهم.

بيان: في الدعاوى المهدوية الباطلة والنقاش فيها:

ولتوضيح الدعاوي المهدوية، لا بُدَّ من التعرف على أسبابها أولًا، وأقسامها ثانيًا،

والخطوط العامة لها ثالثًا، فإذا تمَّ ذلك كان لا بُدَّ من التعرض إلى كيفية مواجهتها، وإتمامًا للفائدة نذكر طرق النقاش في القضية المهدوية بشكلٍ عام، فهذه مطالبُ خمسةٌ سنتناولها تباعًا:

أولًا: أسباب الدعاوي المهدوية

ثانيًا: أقسام الدعاوى المهدوية

ثالثًا: الخطوط العامة للدعاوى المهدوية

رابعًا: كيف نواجه مدعو المهدوية؟

خامسًا: طرق النقاش في القضايا المهدوية

أولًا: أسباب الدعاوى المهدوية:

حيث إنَّ الفكرة المهدوية كانت ثابتة وراسخة في أذهان الناس، وحيث إنَّها منصب قيادي يُلزم الغير بالاتباع، بل ذلك المنصب يعطي لصاحبه أولوية في التصرف بالأموال بل وبالنفوس؛ لذلك كثرت الدعاوى المهدوية.

والنفس الإنسانية عادة تُحبُّ التسلط، وأنْ تكون مسموعة الكلمة، وحيث إنَّ المنصب المهدوي عظيمٌ جدًا، ويلزم منه أنْ يكون هذا الشخص هو الآمر والناهي والمتصرف في أموال بل ونفوس الناس، لذا تجد أن بعض أصحاب النفوس المريضة حالوا خداع بسطاء من الناس، وقد اتخذوا من ادعاء المهدوية سبيلًا للوصول الى مآربهم.

فالنفس المريضة، وعظم المنصب، وحب التملك، من أهم أسباب أدّعاء المهدوية.

ثانيًا: أقسام الدعاوى المهدوية:

بمتابعة الظروف التي نشأت فيها الدعاوى المهدوية يمكن أنْ نقسم أصل الدعاوي

إلى ثلاثة أقسام(١):

الأول: من نُسبت إليه المهدوية وهو لم يدعِها، وهو بريءٌ منها.

الثاني: من ادّعاها بدافع حب الرئاسة والجاه، وربها خُدِع فيها.

الثالث: من ادّعي المهدوية بخطة من الاستعمار وإيعاز منهم.

وهذه الأقسام تقريبًا هي الأقسام العامة لادعاء المهدوية، وسنذكر لكلِّ قسم منها نهاذج:

نماذج من القسم الأول: من نُسبت إليه المهدوية وهو منها بريء:

الفرقة الأولى: الكيسانية:

وهذه الفرقة كان اتباعها يدّعون أنَّ المهدي هو محمد بن أمير المؤمنين المعروف بابن الحنفية، وسُميت بـ (الكيسانية) نسبةً إلى كيسان.

أما من هو كيسان؟ فقد اختلف العلماء على أقوال، هي:

١/ محمد بن الحنفية، وكان يسمى بكيسان.

٢/ مولى لأمير المؤمنين ، أو لمحمد بن الحنفية نفسه. وقيل: كان هو المنظّر لهذه الفرقة.

٣/ المختار بن عُبيدة الثقفي، حيث إنَّ البعض اتهم المختار بأنه يدَّعي أنَّ ابن المختار بن عُبيدة الثقفي، حيث إنَّ البعض المختار بأنه يدَّعي أنَّ ابن المختار بن عُبيدة الثقفي، حيث إنَّ البعض المختار بأنه يدّعي أنَّ ابن

٤/ صاحب شرطة المختار الذي كان يكنى بـ (أبي عمرة). وقيل كان هو المنظّر لهذه الفرقة.

ومن الواضح جدًا أنَّ محمداً بن الحنفية أجلُّ من أنْ يدَّعي مثل هذه الدعوى وهو (١) انظر: ادّعياء المهدوية- أحمد الفرج الله- مركز الدراسات الاستراتيجية. منها بريء؛ بل «أن محمدا رضي الله عنه لم يدع قط الإمامة لنفسه، ولا دعا أحدا إلى اعتقاد ذلك فيه»(١).

وقد روي أن أبا خالد الكابلي كان يخدم محمد بن الحنفية دهرا، وما كان يشك أنه إمام، حتى أتاه يوما فقال: إن لي حرمة، فأسألك برسول الله وبأمير المؤمنين إلا أخبرتني: أنت الامام الذي فرض الله طاعته؟

فقال: علي، وعليك، وعلى كل مسلم الإمام علي بن الحسين.

فجاء أبو خالد إلى علي بن الحسين، فلما سلم عليه قال له: مرحبا بك يا كنكر، ما كنت لنا بزوار! ما بدا لك فينا؟

فخر أبو خالد ساجداً لله تعالى لما سمعه منه، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي.

قال: كيف عرفت؟

قال: إنك دعوتني باسمي الذي سمتني به أمي، ولقد كنت في عهاء من أمري، ولقد خدمت محمد بن الحنفية عمرا، فناشدته اليوم: أنت إمام؟ فأرشدني إليك فقال: هو الإمام علي، وعليك، وعلى الخلق كلهم، فلها دنوت منك سميتني باسمي الذي سمتني به أمي، فعلمت أنك الامام الذي فرض الله علي وعلى كل مسلم طاعته. (٢)

من أهم عقائد الكيسانية:

١/ إنَّ المهدي هو ابن الحنفية، وهو وصي أمير المؤمنين ؛ لذا فليس لأحدٍ من أهل بيته أنْ يُخالفه، أو يخرج عن إمامته، أو حتى أنْ يُشهِر السيف -أي يقوم بثورة - إلا بإذنه. وبعضهم ذهب إلى إمامته بعد أخويه الحسنين الله وبعضهم إلى إمامته بعد

- (١) الفصول المختارة للشيخ المفيد ص ٣٠٠ و بحار الأنوار ج٣٧ ص ٥.
 - (٢) الخرائج والجررائح لقطب الدين الراوندي ج١ ص ٢٦١.

أبيه أمير المؤمنين هم (١) وهذا يعني أنَّ كلًا من خروج الإمام الحسن للحرب على معاوية، وصلحه أيضًا، وخروج الإمام الحسين كان بإذنٍ من ابن الحنفية، بل قالوا: إنَّ الحسن والحسين (سلام الله عليها) لو خرجا من دون إذنه لضلّا، والعياذ بالله.

٢/ إنَّ من خالف محمدًا بن الحنفية فهو كافر ومشرك.

٣/ إنَّ خروج المختار للطلب بثأر الإمام الحسين، كان بإذنِ ابن الحنفية.

وأما المبرر لدعوى مهدوية ابن الحنفية، فالظاهر _ والله العالم _ استنادهم إلى ما ورد عن النبي الأكرم على ابن الحنفية، فطبقوا الحديث على ابن الحنفية، ولكنهم تناسوا أنَّ الاحاديث التي قالت: إنَّ اسم المهدي كاسم النبي على قالت أيضًا: «إنَّه من ولد فاطمة على ابن الحنفية ليس من ولدها على الله المناسلة الله الله المناسلة الله الله المناسلة الله المناسلة الله المناسلة الله المناسلة الله المناسلة الله المناسلة المناسلة المناسلة الله المناسلة الله المناسلة الله المناسلة المناسلة الله المناسلة الم

وبعد أنْ مات ابن الحنفية ادعت الكيسانية عدم موته، وأنَّه حيٌ مقيم في جبل رضوى من جبال تهامة، وأنَّه يجلس بين أسدٍ ونمر يحفظانه، وأنَّ عنده عينيين تجريان بعسل وماء، وأنَّه غاب وسيعود بعد غيبته ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً.

وهذه الفرقة منقرضة ليس لها أي وجودٍ اليوم.

الفرقة الثانية: الفرقة الباقرية:

وهم من ادعوا أنَّ الإمام محمد الباقر ﷺ بأنَّه هو المهدي.

الضرقة الثالثة: الناووسية:

«وهم الذين قالوا: إن جعفر بن محمد الله حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمور الناس، وأنه هو المهدي و زعموا أنهم رووا عنه أنه قال: «إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه، فإني أنا صاحبكم» وأنه قال لهم: «إن جاءكم

⁽١) لاحظ: كليات في علم الرجال للشيخ السبحاني ص ٤٠٦.

من يخبركم عني أنه غسلني وكفنني فلا تصدقوه، فإني صاحبكم صاحب السيف».

وهذه الفرقة تسمى الناووسية، وسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له فلان بن فلان الناووس. [وقيل إنَّ اسمه (عبد الله بن ناووس).]

وقال عبد القاهر: وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى (ناووس) بها وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه وأنه المهدي المنتظر.

وقال الشهرستاني قريبا منه ; غير أنه قال: هم أتباع رجل يقال له ناووس. »(١)

ومن أهم عقائدهم بالإضافة إلى ادعائهم أنَّ المهدي هو الإمام جعفر الصادق، أنَّم قالوا بإمامة ستة أئمة عليه الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسن، والإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وهذه الفرقة ليس لها وجود اليوم.

الفرقة الرابعة: المباركية:

نشأت بعد وفاة الإمام الصادق، وزعموا أنَّ الإمامة بعد الإمام الصادق الكانت لمحمد بن إسماعيل بن الإمام الصادق؛ لاعتقادهم أنَّ أمر الإمامة كان لإسماعيل بن الإمام الصادق، ولكنّه توفي في حياة الإمام الصادق، فانتقلت الإمامة بعد استشهاد الإمام الصادق.

وسميت الفرقة بـ(المباركية)؛ نسبةً إلى رئيسهم: مبارك الذي كان عبدًا لإسماعيل ابن الإمام الصادق .

الفرقة الخامسة: الإسماعيلية:

وهي من الفرق الباطنية التي انتسبت إلى إسهاعيل بن الإمام الصادق، ولها

⁽١) انظر: كليات في علم الرجال للشيخ السبحاني ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

امتدادٌ إلى هذا اليوم، ولها فرقٌ عديدة.

قال النوبختي: فرقة زعمت أن الامام بعد جعفر بن محمد، ابنه إسهاعيل بن جعفر وأنكرت موت إسهاعيل في حياة أبيه، وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس، لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسهاعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده، وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول إلا الحق، فلها ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت وهذه الفرقة هي الإسهاعيلية الخالصة. (۱)

كما ادعى البعض أنَّ زيدًا بن علي الشهيد هو المهدي، ولكن عقائد الزيدية اليوم لا تقول بهذا، ونستبعده؛ وذلك لأنَّ اسمه ليس بمحمد، وأنَّ أغلبية من نُسبت المهدوية إليهم كانوا يحملون اسم محمد.

القسم الثاني: من ادعى المهدوية بدافع حب الرئاسة والجاه والمنصب، ومنها:

الشخصية الأولى: محمد المحض (٢).

وهو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبى المعروف

⁽١) كليات في علم الرجال للسبحاني ص ٤١٠ نقلًا عن فرق الشيعة: الصفحة ٨٩..

⁽٢) ترجم له السيد الخوئي يَثِنُ في معجم رجاله (ج١٧ ص ٢٤٩ – ٢٥٠ رقم ١١١١) بها نصه: محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن: ابن علي بن أبي طالب الله أبو عبد الله المدني: ذكر ابن داود (١٣٩١) من القسم الأول والسيد التفريشي (٤٨١) والميرزا في رجاليه، والمولى القهبائي: عد الشيخ إياه في رجاله من أصحاب الصادق ، وأنه قتل سنة (١٤٥) بالمدينة، وزاد ابن داود قوله: «الملقب بالنفس الزكية». والنسخة المطبوعة خالية عن ذكره.

ثم إن محمدا هذا أدعى الخلافة، دعا الصادق جعفر بن محمد الله إلى بيعته، وتكلم معه بكلام غليظ حتى بلغ الامر إلى أنه أمر بحبسه سلام الله عليه، وكان الصادق على يعظه ويصر فه عما أراد، ويخبره بأن الامر لا يتم له، ولكنه لم يصغ إلى ذلك، وأصر على ما أراد حتى انتهى الامر إلى قتله، راجع الكافي: الجزء ١، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة (٨١)، الحديث ١٧.

بـ (المحض)، وقد ثار قبيل ظهور الدولة العباسية، وكان المنصور الدوانيقي من أنصاره؛ ليسقط الدولة الأموية.

وقد ابتدعوا حديثًا عن النبي عَنَيْلًا مضمونه: «المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبيه اسم أبيه اسم أبيه اسم أبي تبريرًا لهذه الدعوى. وممن بايعه على أنَّه المهدي: أبوه عبد الله بن محمد، والمنصور الدوانيقى.

وتذكر الروايات أنَّ الإمام الصادق الله أخبرهم بأنَّه ليس صاحب هذا الأمر، وأنَّه سيقتل، ولكنهم لم يصدقوه، بل البعض رماه بالحسد!

وقيل: إنَّه تاب، والأمر موكولُ إلى البحث والتحقيق؛ لأننا في مقام بيان مطلبِ تاريخي ليس إلا، وكانت نهاية أمره كها تنبأ الإمام الصادق، حيث قُتِل.

الشخصية الثانية: الخليفة العباسى الملقب بالمهدي.

وهو محمد بن عبد الله المنصور الدوانيقي الخليفة العباسي الملقب بالمهدي، وقد اتخذ من كون اسمه (محمد بن عبد الله) مبررًا لادعائه المهدوية بالاستناد إلى نفس الحديث المبتدع عن الرسول الأكرم الله المذكور آنفًا. وممن بايعه أبوه المنصور الدوانيقي، بل

وروى الصفار باسناده، عن المعلى بن خنيس، قال: كنت عند أبي عبد الله اله الله عمد بن عبد الله بن الحسن فسلم، ثم ذهب، ورق له أبو عبد الله و دمعت عينه، فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع، قال: «رققت له، لأنه ينسب في أمر ليس له، لم أجده في كتاب علي في خلفاء هذه الأمة، ولا ملوكها».

وروى عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن صفوان، عن العيص بن القاسم، قال: قال لي أبو عبد الله هذا: «ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا في كتاب عندي، والله ما لمحمد بن عبد الله فيه السم». بصائر الدرجات: الجزء ٤، باب ٢، في الأئمة عندهم الكتب التي فيها أسماء الملوك، الحديث .

أقول: الروايات في أن محمدا هذا أدعى الخلافة ولم ينته بنهي الصادق ، حتى انتهى أمره إلى القتل متعددة...

ر'

وكان يدعو إلى مبايعته على أنَّه هو المهدي.

وكان السبب الرئيسي وراء ادعاء هاتين الشخصيتين المهدوية هو الوصول إلى مآربهما في الجاه والرئاسة. علمًا أنَّ البعض أحصى عدد مدعي المهدوية فكانوا خمسين شخصية، دفع أغلبيتهم إلى هذا الادعاء الجاه والرئاسة أيضًا.

القسم الثالث: من كانت للاستعمار يدُفي ادعائه المهدوية، ويبرزفي هذا المجال:

على بن محمد الملقب بالباب:

ذكروا أن جاسوساً روسيًا جاء إلى إيران، وأقام فيها فترة ثم جاء إلى العراق، مرتديًا الزي الديني، ومدعيًا أنَّ اسمه الشيخ (عيسى لنكراني)، على حين أنّ اسمه الحقيقي كان (كنياز دالكوركي)!

ويقال إنَّه حضر درس السيد كاظم الرشتي، وتعرَّف على رجل يشرب الحشيشة اسمه علي محمد، وكان هذا الجاسوس يستغل الفترة التي كان يفقد بها علي محمد عقله، ويخاطبه بلقب صاحب الزمان.

في بادئ الأمر أنكر علي محمد عليه هذا الأمر، حتى أقنعه بذلك في يوم من الأيام وبدأ يوحي إليه، فشرع بادعاء أنّه الباب، أي الباب إلى الإمام المهدي ، وظهرت دعوته أولًا في كربلاء ولاقت رفضًا ثم ذهب إلى إيران، فانتشرت دعوته على أنّه الباب، ثم تطور أمره وأصبح يدّعي أنّه هو الإمام المهدي الله وأسس الفرقة البهائية.

وتذكر بعض الروايات أنَّ نقاشًا دار فيها بينه وبين بعض العلهاء، وترك دعواه، وتذكر بعض الجديد أمر بإعدامه، فأعدم. وبقطع النظر عمّا إذا تاب أو لا، فإنَّ ادعاءه المهدوية ما جاء إلا بيدٍ من الاستعهار؛ لتشق الوحدة الإسلامية، ومن ثم الوصول إلى مآربها.

واليوم نجد العديد من المدعين للمهدوية، الذين نجهل الأيادي الخفية التي تحركهم، والتي تمولهم بأموال طائلة، مما يرجح احتمال كونهم منصّبين من قبل دولٍ لها مصالح في نشر مثل هذه الدعاوى، سواء كانت ترتدي زي الإسلام أو غيره، بل ويمكن الاطمئنان بذلك أيضًا.

ثالثًا: الخطوط العامة لدعاوى السفارة والمهدوية:

على الرغم من اختلاف دوافع دعاوى السفارة والمهدوية واختلاف أقسامها، إلا أنَّها تشترك بخطوط عامة يمكن أنْ نلاحظها فيمن يدّعي السفارة أو المهدوية، وهي:

الخط الأول: إلغاء مسألة التقليد.

وهو أول عملٍ يقوم به مدعو المهدوية أو السفارة؛ لأنَّه ينتج نتيجتين مهمتين كلتاهما تصب في صالحهم، وهما:

الأولى: ضمان رجوع الناس أليهم، وهذا مما يؤدي إلى فصل المجتمع عن المرجعية، فيبقى المجتمع كغنم بلا راع يدخل فيها الذئب يصنع ما يشاء.

الثانية: أن الحقوق الشرعية ستؤول إليهم.

الخط الثاني: لا وجود لدليلِ ملموس على حقانية الدعوى.

فإنَّ جميع أدلتهم تستند إلى الرؤى والاستفتاح بالقرآن وما شاكل ذلك، وأما الأدلة التي دعا إليها الشرع لإثبات مثل هكذا دعاوى من قبيل المعجزات أو الدليل القطعي، فهم عاجزون عنها.

وهذا من أهم سبل فضحهم وكشف بطلان دعواهم، كما حُكي أنَّ أحد هؤلاء المدعين ذهب إلى أحد العلماء، فلم يناقشه الأخير في شيء سوى أنَّه طلب منه إزاء إيمانه به أن يعيد إلى لحيته البيضاء سوادها. وهي الطريقة التي كان اعتمدها الحسين بن

روح ﷺ في رد بعض المدّعين(١)..

الخط الثالث: لا مجال للتريث في تصديق الدعوى.

فإما أنْ تؤمن أو تكفر.

الخط الرابع: كلُّ من لا يؤمن بالدعوى فهو كذابٌ أشر.

وإذا كان كاذبًا فلا يُسمع كلامه ولا يُصدّق في أية كلمةٍ يقولها أو ينقلها سواء كان عن المدعى أو غيره ولو كانت آيةً أو روايةً.

(١) ورد عن أبي نصر هبة الله بن محمّد الكاتب ابن بنت أُمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري، قال: لمَّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلّاج ويُظهِر فضيحته ويُخزيه، وقع له أنَّ أبا سهل إسهاعيل بن علىّ النوبختي ، مَن تجوز عليه مخرقته وتتمُّ عليه حيلته، فوجَّه إليه يستدعيه، وظنَّ أنَّ أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجرّه إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتتُّ له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحلَّه من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له في مراسلته إيّاه: إنّي وكيل صاحب الزمانﷺ - ومهذا أوَّلاً كان يستجرُّ الجهَّال ثمّ يعلو منه إلى غيره -، وقد أُمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوى نفسك، ولا ترتاب هذا الأمر . فأرسل إليه أبو سهل ، يقول له: إنّي أسألك أمراً يسراً يخفُّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنَّى رجل أُحِثُ الجواري وأصبو إليهنَّ، ولي منهنَّ عدَّة أتحظَّاهنَّ، والشيب يُبعِدني عنهنَّ [ويُبغِّضني إليهنَّ]، وأحتاج أن أُخضبه في كلِّ جمعة، وأتحمَّل منه مشقَّة شديدة لأستر عنهنَّ ذلك، وإلَّا انكشف أمرى عندهنَّ، فصار القرب بعداً والوصال هجراً، وأُريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإنَّى طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة. فلمَّا سمع ذلك الحلَّاج من قوله وجوابه علم أنَّه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً، ولم يُرسِل إليه رسولاً، وصيَّره أبو سهل ، أحدوثة وضحكة ويطنز (طنز يطنز طنزاً: كلُّمه باستهزاء. (هامش المصدر).) به عند كلِّ أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه. [الغيبة لطوسي: ٤٠١ و٤٠٢/ ح ۲.۳۷٦

رابعًا: كيف نواجه مدّعي السفارة أو المهدوية؟

لم يُشِر الشيخ الله في كتابه إلى كيفية مواجهة مدعي السفارة أو المهدوية، ولكننا نذكرها استطرادًا، لا سيما إننا في زمنٍ كثرت فيه مثل هذه الدعاوى، فنكون بأمس الحاجة إليها. فنذكر بعض الأمور العملية:

الأمر الأول: متابعة الظروف التي أحاطت بالمدّعي.

قبل كلِّ شيءٍ لابُدَّ أنْ نتابع الظروف التي أحاطت بالمدعي، نحو: مسيرته في الحياة، أساتذته في العلم، أصحابه، أخلاقه في بيته ، مكسبه أي من أين يكسب الأموال.

وهذا لمن يدّعي السفارة، أما بالنسبة لمن يدّعي المهدوية فيكفي تتبع نسبه ليكشف عن كذبه.

الأمر الثاني: التريُّث في تصديق الدعوى.

إنَّ أمر أهل البيت الله هو أوضح من الشمس وأبين من الأمس، ومع وجود غموض في دعوةٍ ما، فإنه يحق لأيِّ إنسان أنْ يتريث ويبحث حتى يصل إلى اليقين، لاسيها في الأصول الاعتقادية التي يُطلب فيها اليقين، واليقين عادة ما يحتاج إلى وقتٍ وفكرٍ ونظرٍ وتأملٍ، وربها مراجعة حتى يصل المرء إلى اليقين، وهذا ما أشار إليه ما روي عن أبي جعفر هذا أنه قال: «كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر». (١)

أي إنه حتى مع ثبوت حقانية تلك الحركة، فإنّي أفضل انتظار صاحب الأمر،

⁽١) الغيبة للنعماني ص ٢٨٢ و ٢٨٣ باب ١٤ ح ٥٠.

وأبقي نفسي له.

يجرنا ما تقدّم إلى سؤال ربها يتبادر إلى الأذهان:

هل يجب الالتحاق باليماني حال خروجه؟

لعله يُقال: بعدم وجود رواية تدلُّ على لزوم اتباع اليهاني ووجوب اللحاق به، وإنَّما الوارد هو حرمة الالتواء عليه، وهناك فرق بين حرمة الالتواء ووجوب الاتباع، فلا يجوز الاعتراض عليه وتثبيط الناس عنه، ولكن في نفس الوقت ليس هناك ما يدل على لزوم الالتحاق به.

وأما حال ظهور الإمام فلا بُدَّ من الالتحاق به كها هو واضح، فقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر الإمام فلا بُدَّ من الالتحاق به كها هو واضح، فقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر الله في حديثه مع أبي الجارود قال: «يا أبا الجارود، إذا دارت الفلك، وقال الناس: مات القائم أو هلك، بأي واد سلك، وقال الطالب: أنى يكون ذلك وقد بليت عظامه فعند ذلك فارجوه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج». (١١)

الأمر الثالث: النظر في مدى مطابقة دعوى مدّعي السفارة أو المهدوية لضرورات الدين أو المدهب.

والضرورات: هي الأحكام الشرعية والأصول الاعتقادية التي اتفق جميع المسلمين على ثبوتها وعلى صدقها؛ لوجود نص قرآني أو نص شرعي متواتر صحيح وما شابه هذا الأمر، كوجوب أصل الصلاة.

فلو ادعى شخص عدم وجوب الصلاة أو عدم وجوب الحجاب، أو ادعى موت الإمام المهدي وأنَّه هو من يجب اتباعه؛ لأنه ابنه أو خليفته، فلمخالفتها لضرورة من ضرورات الدين يحكم بزيفها من دون تردد.

⁽١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٣٢٦ باب ٣٢ ح ٥.

الأمر الرابع: المطالبة بإقامة الكرامة.

ربها لم تُجُدِ أيًا من الأمور السابقة في الكشف عن حقانية مدّعي السفارة أو المهدوية من عدمها، فحينئذ لا بُدَّ من المطالبة بدليل قطعي. ولا دليل قطعياً أدلُّ على حقانية الدعاوى المرتبطة بالسهاء من الكرامات، والكرامة كالمعجزة لا تختلف عنها إلا في خلوها من ادعاء النبوة، فيجوز ادعاء سواها من المناصب الغيبية المتصلة بالسهاء كالإمامة والسفارة وغيرها؛ لذا فها من نبي دعا قومه إلا وطولب بمعجزة دليلًا على صدق دعواه.

وعليه، فلا يجوز للمدعي أن يتنصل من إثبات حقانية دعواه بالطريق الإعجازي، أو يُنكر هذا الأمر على من يطالبه به؛ لأنه علاوةً على كونه عرفًا عامًا في التعامل مع الدعاوى المهدوية؛ الدعاوى الغيبية، فهو عرفٌ خاص في خصوص التعامل مع الدعاوى المهدوية؛ للروايات الواضحة في هذا المجال، ومنها ما عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عن يقول: "إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأُخرى عقال: هلك، في أيِّ وادٍ سلك؟"، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: "إن ادَّعيٰ مدعٍ فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله"(١).

والعظائم التي يجيب فيها مثله هي الأمور الغيبية، أو حلِّ معضلةٍ علمية عجز العلماء عن حلها.

وقد ورد في بعض الروايات أنَّ الإمام المهدي في نفسه يستجيب لمن يطلب منه الكرامة، ولا ينكر عليه ذلك، ففي رواية أُخرىٰ: «ويلحقه الحسني في اثني عشر ألفاً، فيقول له: أنا أحقُّ منك بهذا الأمر، فيقول له: هات علامة، هات دلالة، فيومئ إلى الطير فيسقط علىٰ كتفه، ويغرس القضيب الذي بيده فيخضر ويعشوشب، فيُسلِّم إليه

_

⁽۱) الغيبة للنعماني: ۱۷۸/ باب ۱۰/ فصل ۶/ ح ۹.

الحسنى الجيش، ويكون الحسنى على مقدمته...»(١).

خامسًا: طرق النقاش في القضايا المهدوية (٢).

إتمامًا للفائدة، من المناسب أن نتعرض إلى كيفية المناقشة في القضايا المهدوية لكشف المزيفة منها. وهناك عدة طرق للنقاش مع أصحاب الدعاوى المزيفة لكشف زيفهم، وهذه الطرق مختلفة باختلاف المستوى العلمي للمدعين، وباختلاف الظروف الموضوعية التي قد تصل إلى حد التباين، وهي كالتالي:

الطريق الأول: الطريق الفكري.

إنَّ لكلِّ علم من العلوم وكلِّ جانب من جوانب المعرفة أُصولاً موضوعية تؤخذ فيه على أنَّها أُصول ثابتة لا تنازل عنها، أي إنَّ الداخل في جانب من جوانب المعرفة سيجد فيه أساسات ومرتكزات يبتني عليها هذا الجانب المعرفي، وبالتالي على من يريد النقاش والحوار في هذا الجانب أن يلتزم أُصوله الموضوعية.

هكذا تقضى الأُصول العلمية المتعارفة في الأوساط المعرفية.

ومن هنا، فإنَّ الحوار في القضيَّة المهدوية له أساساته وأُصوله الموضوعية، وخلاصتها التالى:

أَوَّلاً: إِنَّ مفردات القضيَّة المهدوية هي من نوع الروايات التاريخية أو الملاحم المستقبلية، وعليه فالروايات تُمثِّل أساساً لا يُتنازل عنه فيها، فلا موضع للتخمينات ولا للظنيات...

ثانياً: إنَّ هذا الأمر يخضع للعلوم المتعلَّقة بالروايات، كالفقه وأُصوله وقواعدهما،

⁽١) الملاحم والفتن لابن طاووس: ٢٩٥ و٢٩٦.

⁽٢) نشر هذا البحث في مجلة الموعود العدد ٣/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٨هـ الصادرة عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي على مع تفاصيل أكثر.

وقواعد التعارض والتراجيح، وعلم الرجال والتراجم، وعلم الدراية...

ثالثاً: إنَّ هذا يعني ضرورة الرجوع إلى المتخصِّص في هذه العلوم، ولا يُسمَح لغير المتخصِّص فيها أن يتطفَّل عليها.

فإذا تحقَّقت هذه العناصر أمكن أن يكون النقاش مثمراً، وصار إثبات الرأي الصائب قريباً جدًا من حيِّز الوقوع.

أمثلةٌ مواجهة المدعين بالطريق الفكري

المثال الأول: دعوى سفارة أحمد بن إسماعيل.

ادَّعى جماعة أحمد إسماعيل كاطع أنَّه وليّ مفترض الطاعة، وأنَّه يجب على كلِّ شيعي أن يبايعه، استناداً إلى رواية أسموها برواية الوصيّة، وهي رواية رواها الشيخ الطوسي في غيبته، وقد ورد في ذيلها:

«... ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، (فإذا حضرته الوفاة) فليُسلِّمها إلى ابنه أوَّل المقرَّبين، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي، واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أوَّل المؤمنين»(١)

فادَّعى ابن گاطع - وصفَّق له جماعته - بأنَّه هو المقصود بأوَّل المقرَّبين وأوَّل المؤمنين، وبالتالي يجب على الشيعة أن يبايعوه و...

ووفق هذا الطريق الفكري يكون الردّ على هذه الدعوى بمنتهى العلمية والمهنية وفي نفس الوقت بمنتهى السهولة، ذلك لأنَّ هذه الرواية ضعيفة السند جدّاً، فلا تصلح للاستدلال الفقهى فضلاً عن العقائدي.

فإنَّ الشيخ رواها بالسند التالي:

⁽١) الغيبة للطوسي: ١٥١/ ح ١١١.

«أخبرنا جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن سفيان البزوفري، عن عليّ بن سنان الموصلي العدل، عن عليّ بن الحسين، عن أحمد بن محمّد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصري، عن عمّه الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن أبيه عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيِّد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمر المؤمنين، قال: «قال رسول الله عليه ...».

وهذا السند غاية في الضعف، لاشتهاله على عدَّة مجاهيل وضعفاء، فإنَّ (عليّ بن سنان الموصلي العدل)، وكذلك (أحمد بن محمّد بن الخليل)، و(جعفر بن أحمد المصري)، و(عمّه الحسن بن عليّ، عن أبيه) كلّهم مجاهيل، فلا تصلح رواية وردوا في طريقها للاستدلال.(۱)

المثال الثاني: خروج اليماني من البصرة لا من اليمن.

ومثال آخر على هذا الطريق، هو ما قد يدَّعيه البعض - ومنهم أحمد الكاطع - أنَّ اليهاني من العراق من البصرة بالخصوص، وأنَّ اليهاني المقصود منه النسبة إلى اليُمْن.

ويكون ردُّ هذه الدعوى وفق هذا الطريق بالرجوع أوَّلاً إلى الروايات، لنرى ما يُستفاد منها، وبالرجوع إلى أهل اللغة العربية لنرى ماذا يستفيدون من كلمة (اليهاني).

وبالرجوع لهذين العلمين نجد أنَّ الروايات يُستفاد منها أنَّ اليهاني من اليمن بالخصوص، فإنَّه قد ورد عن هشام، عن الإمام الصادق، قال: «لهَ اللهاني خرج طالب الحقّ قيل لأبي عبد الله في: نرجو أن يكون هذا اليهاني؟ فقال: «لا، اليهاني يوالي علياً وهذا يرأ»(٢).

⁽٢) أمالي الصدوق: ٦٦١/ ح (١٣٧٥/ ١٩).

فتجد أنَّ الإمام الصادق لله لم ينفِ اليهانية عن هذا المسمّى (الطالب للحقِّ) من جهة أنَّه خرج من اليمن لا من العراق، بل نفاها من جهة عدم موالاته لأمير المؤمنين في ولو كان ثَمَّة جهة أُخرى لكان مناسباً للإمام في أن يُبيِّنها.

فيظهر من هذا أنَّ كون اليهاني من اليمن هو من الواضحات في الذهنية الشيعية عموماً آنذاك، أي في عصر الإمام، وسكوت الإمام عن ذلك إقرار منه بصحَّة هذا الفهم في الذهنية العامَّة.

وهكذا لو رجعنا لأهل اللغة، لرأينا أنَّهم يفهمون من (اليهاني) النسبة إلى اليَمَن، كها يفهمون من (الحبرة اليهانية) انتسابها إلى اليمن، ومن الركن اليهاني الجهة المقابلة من الكعبة لليمن، وأنَّ النسبة المأخوذة من (اليُمْن) هي (ميمون) لا (يهاني)، بل إنَّ المتبادر من (اليهاني) هو النسبة إلى اليمن، والتبادر علامة الحقيقة، ولا ينصرف إلى غير هذا المعنى إلَّا بقرينة صارفة، وهي مفقودة في المقام.

الطريق الثاني: الطريق الخطابي.

من أهم الأساليب الإقناعية وأقدمها وأكثرها تأثيراً في الجمهور هو أُسلوب الخطابة، ذلك الأُسلوب الذي يكون القصد المباشر منه إقناع الجمهور والطرف الآخر، سواء كانت القضايا المستعملة فيه علمية أو مشهورة أو من نوع المسلَّمات وما شابه، فليس المقصود فيها أكثر من إقناع الطرف الآخر، بغض النظر عن نوع القضيَّة المستعملة في الإقناع.

ولا نريد الخوض في أجزاء الخطابة وقوامها، فإنَّ الكلام فيه طويل الذيل.

المهم أن نعرف أنَّ هذا الأُسلوب نافع في الكثير من الأحيان، خصوصاً إذا كان الحوار يدور على مرأى ومسمع من جمهور متوسّط الثقافة أو قليلها.

وعندما نرجع إلى أساليب أهل البيت على في الحوار نجد أنَّهم على قد يستعملون الأُسلوب والطريق الخطابي، وما الأُسلوب والطريق الفكري العلمي، وقد يستعملون الأُسلوب والطريق الخطابي، وما ذاك إلَّا لأنَّهم كانوا يلاحظون الظروف الموضوعية المحيطة بالحالة، فيتخيّرون المناسب من طرق الإقناع.

وكتطبيق عملي لهذه الفكرة، نجد في الروايات الشريفة سؤالاً واحداً توجّه إلى اثنين من أئمّة أهل البيت الله ، وقد أجابا عنه بجوابين مختلفين، وما ذاك إلّا لاختلاف حال السائل معها، حيث ورد أنّ الديصاني - وهو أحد أقطاب الزنادقة الذين كانوا يُشكّكون بوجود الله تعالى - قال لهشام بن الحكم: ألك ربٌّ؟ قال: بلى. قال: أقادرٌ؟ قال: بلى. قال: أيقدر أن يُدخِل الدنيا كلّها في البيضة، لا يُكبِّر البيضة ولا يُصغِّر الدنيا؟ فجاء هشام إلى الإمام الصادق وقال له: قال لي الديصاني كذا وكذا. فقال له: فجاء هشام إلى الإمام الصادق وقال له: قال في الديصاني كذا وكذا. فقال الله الناظر؟»، قال: مثل العدسة أو أقلّ. قال في: "فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بها ترى». قال: أرى ساءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وجبالاً وأنهاراً. فقال في: "إنّ الذي قدر على أن يُدخِل الذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر أن يُدخِل الدنيا كلّها البيضة، لا يُصغِّر الدنيا ولا يُكبِّر البيضة، لا يُصغِّر الدنيا ولا يُكبِّر البيضة» (۱).

ونفس هذا السؤال أجاب عنه أمير المؤمنين بجواب آخر، فعن عمر بن أذينة، عن أبي عبد الله منه قال: «قيل لأمير المؤمنين في هل يقدر ربّك أن يُدخِل الدنيا في بيضة من غير أن يُصغِّر الدنيا أو يُكبِّر البيضة؟ قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى لا يُنسَب إلى العجز، والذي سألتنى لا يكون»(٢).

⁽١) التوحيد للصدوق: ١٢٢.

⁽٢) التوحيد للصدوق: ١٢٩ و١٣٠.

فنلاحظ أنَّ جواب الإمام الصادق كان جواباً خطابياً اسكاتياً، وأمَّا جواب أمير المؤمنين فقد كان جواباً علمياً برهانياً، مفاده أنَّ ما يقوله السائل يستلزم محالاً عقلياً، فإنَّ قدرة الله تعالى تتعلَّق بالأمر الممكن، وأمَّا الأمر الممتنع ذاتاً فإنَّ القدرة لا تتعلَّق به، لأنَّه ممتنع بالذات، وإدخال الدنيا في البيضة مخالف لقانون عقلي متسالم عليه، وهو عدم إمكان أن يكون الصغير ظرفاً للكبير، لأنَّ قانون الظرفية العقلي يقتضي أن يكون الصغير.

فهنا امتناع إدخال الدنيا في البيضة لنقص في البيضة لا لنقص في قدرة الله تعالى، تماماً كما إذا كان هناك رسّام ماهر يجيد كلَّ أنواع الرسم، فيأتيه شخص ويقول له: أتستطيع أن ترسم لي لوحة على الماء أو الهواء!؟ فهل عدم استطاعة الرسّام لذلك يعني أنَّ الرسام ليس ماهراً أم أنَّ نفس الرسم على الماء والهواء مستحيل!؟ حكِّم عقلك واخرج بنتيجة.

تطبيق في القضيَّة المهدوية:

إنَّ جماعة أحمد الكاطع وحتَّى يتملَّصوا من الردِّ العلمي على رواية الوصيَّة، أنكروا (علم الرجال) ونتائجه، فلا يكفي القول بضعف سندها لردِّها، ونحن لو تنزَّلنا عن هذا الأمر، فإنَّه يمكن أن نجيبهم بجواب خطابي لا يمكنهم أن يتملَّصوا منه، وخلاصته التالى:

إنَّ رواية الوصيَّة نصَّت على أنَّ (ابن المهدي) و(أوَّل المقرَّبين) سيتولِّى مهام قيادة الدولة المهدوية بعد وفاة أبيه، إذ أنَّها قالت ما نصّه: «... ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، (فإذا حضرته الوفاة) فليُسلِّمها إلى ابنه أوَّل المقرَّبين، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي، واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أوَّل المؤمنين»(۱).

وهنا نقول: لو سلَّمنا أنَّ رواية الوصيَّة صحيحة السند، وأنَّ (أحمد إسماعيل كاطع)

⁽١) الغيبة للطوسي: ١٥١/ ح ١١١.

هو ابن الإمام، ولكن لا يجب علينا أن نبايعه ونتَّبعه إلَّا بعد ظهور الإمام المهدي هو وحكمه الأرض ووفاته، لأنَّ هذا هو ما نصَّت عليه الرواية، وبالتالي فلا دليل على لزوم اتبًاعه اليوم إلَّا أن يخالف الوجدان ويدَّعى ظهور الإمام وموته!

الطريق الثالث: طلب الكرامة أو المعجزة.

الاتِّصال بالغيب، ليس له أدوات حسّية للإثبات في الأعمِّ الأغلب، لذا أيَّد الله تعالى رسله وأنبياءه بالمعجزات الكثيرة، حتَّى يتمكَّنوا من إثبات اتِّصالهم بالسهاء.

ذلك لأنَّ المعجزة حيث إنَّها «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة»(١).

وهذا الأمر لا يحصل لأيِّ مدَّع، فإنَّ جريان المعجزة إنَّما يكون بإذن الله تعالى، وهو ما صرَّح به القرآن الكريم على لسان النبيِّ عيسى ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي مَا صرَّح به القرآن الكريم على لسان النبيِّ عيسى ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ بِإِذْنِ اللهِ وَأُنْبَئِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ (٢)

فجريانها إنَّما يكون بإذن الله تعالى، فلو جرت على يدي مدَّع كاذب، كان هذا إغراءً من الله تعالى منزَّهٌ فعلُه عن أيِّ قبيح.

فالحكمة الإلهية واللطف الإلهي يمنع من إجراء المعجزة إلَّا على يدي الصادق، ومن له علاقة بالسماء.

ومن هنا حكم العقل بصدق من تجري المعجزة على يديه، بل وضرورة طاعته.

ومن يدَّع الاتِّصال بالإمام المهدي، وهو نوع من أنواع الاتِّصال بالغيب، إذ

⁽١) محاضر ات في الإلهيات للسبحاني: ٢٥٨.

⁽٢) آل عمران: ٤٩.

ليس له أدوات إثبات حسّية - فإن عليه أن يُثبِت ذلك بنفس الكيفية، إذ ما من طريق يقيني يورث الاطمئنان بذلك إلَّا أن يأتي المَّعي بها يكشف عن صدق دعواه، وذلك بأن يأتي بشيء خارق للعادة، من دون سابق إنذار، ومن دون تعليم مسبق، لا كها يفعل المشعوذون والسحرة.

وهذا الأمر له شواهد عديدة، نذكر منها التالى:

أوَّلاً: عن المفضَّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عنه يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأُخرى يقال: هلك، في أيِّ وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادَّعى مدَّعٍ فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله»(۱).

فالإمام الصادق عنه الله على أنَّ من يدَّعي مقاماً غيبياً كالمهدوية، أو حتَّى الاتِّصال بالمهدي والسفارة عنه الفعليه أن يجيب من يسأله عن أُمور عظائم، لا يجيب عليها إلَّا الإمام أو من يرسله الإمام ويعطيه المؤيِّدات على ذلك، ومن تلك العظائم بل وعلى رأسها المعجزة.

ثانياً: ما ورد عن الحسين بن عليّ بن محمّد المعروف بأبي عليّ البغدادي، قال: رأيت في تلك السنة بمدينة السلام امرأة، تسأل عن وكيل مولانا من هو؟ فأخبرها بعض القمّيين أنّه أبو القاسم الحسين بن روح، وأشار لها إليه وأنا عنده. فقالت له: أيّها الشيخ أيّ شيء معي؟ فقال: ما معكِ اذهبي فألقيه في دجلة، ثمّ ائتيني حتّى أُخبركِ. قال: فذهبت المرأة، وحملت ما كان معها، فألقته في دجلة، ثمّ رجعت، ودخلت إلى أبي القاسم الروحي، وأنا عنده. فقال أبو القاسم لمملوكته: أخرجي إليّ الحقّة فأخرجت إليه الحقّة، فقال للمرأة: هذه الحقّة التي كانت معكِ، ورميتِ بها في دجلة، أُخبرك بها فيها أم

⁽١) الغيبة للنعماني: ١٧٨.

تخبريني؟ قالت: بل تخبرني أنت. قال: في هذه الحقَّة زوج سوار ذهب، وحلقة كبيرة فيها جواهر وخاتمان أحدهما فيروزج، والآخر عقيق. وكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً. ثمّ فتح الحقَّة، فعرض عليَّ ما فيها، ونظرت المرأة إليه فقالت: هذه التي حملتها بعينها، ورميت بها في دجلة. فغشى عليَّ وعلى المرأة لما شاهدناه من صدق الدلالة والعلامة. (١).

ثالثاً: ما ورد عن محمّد بن الحسن الصير في الدور قي المقيم بأرض بلخ يقول: أردت الخروج إلى الحجِّ، وكان معى مال بعضه ذهب وبعضه فضَّة، فجعلت ما كان معى من الذهب سبائك وما كان معي من الفضَّة نقراً، وكان قد دُفِعَ ذلك المال إلىَّ لأُسلِّمه من (إلى) الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح تَتُنُّ ، قال: فليًّا نزلت سر خس ضربت خيمتي على موضع فيه رمل، فجعلت أُميِّز تلك السبائك والنقر، فسقطت سبيكة من تلك السبائك منّى وغاضت في الرمل وأنا لا أعلم، قال: فلمَّا دخلت همدان ميَّزت تلك السبائك والنقر مرَّة أُخرى اهتماماً منّى بحفظها، ففقدت منها سبيكة وزنها مائة مثقال وثلاثة مثاقيل - أو قال: ثلاثة وتسعون مثقالاً -، قال: فسبكت مكانها من مالي بوزنها سبيكة وجعلتها بين السبائك، فلمَّا وردت مدينة السلام قصدت الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح (قدَّس الله روحه)، وسلَّمت إليه ما كان معى من السبائك والنقر، فمدُّ يده من بين [تلك] السبائك إلى السبيكة التي كنت سبكتها من مالي بدلاً ممَّا ضاع منّى، فرمي بها إليَّ، وقال لي: ليست هذه السبيكة لنا، وسبيكتنا ضيَّعتها بسرخس حيث ضربت خيمتك في الرمل، فارجع إلى مكانك وانزل حيث نزلت واطلب السبيكة هناك تحت الرمل فإنَّك ستجدها، وستعود إلى هاهنا فلا تراني. قال: فرجعت إلى سرخس ونزلت حيث كنت نزلت، فوجدت السبيكة تحت الرمل وقد نبت عليها الحشيش، فأخذت السبيكة وانصر فت إلى بلدى، فلمَّا كان بعد ذلك حججت ومعى السبيكة

⁽١) الخرائج والجرائح للراوندي ٣: ١١٢٥ و١١٢٦.

فدخلت مدينة السلام وقد كان الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح ، مضى، ولقيت أبا الحسن عليّ بن محمّد السمري، فسلّمت السبيكة إليه. (١١).

ومن هذه الإشارات نفهم:

أُوَّلاً: ضرورة الـتروِّي في اتِّباع أيِّ مـدَّعٍ لدعاوى الارتباط بالغيب، وعدم الاستعجال والدخول معه من دون بصيرة.

ثانياً: يجوز لنا أن نطالب مدَّعي الاتِّصال بالغيب بآية تُشِت صدق دعواه، فإذا رفض كان ذلك علامة كذبه.

الطريق الرابع: الإهمال.

هل من الصحيح أن نواجه علناً كلَّ من ادَّعي دعوى غيبية؟

وهل من الصحيح أن نجالس كلُّ من طالبنا بالنقاش والمحاججة؟

وهل طاولة النقاش مفتوحة لكلِّ من هبَّ ودبُّ؟

الجواب:

إنَّ التفكير المنطقي الموزون يقضي بضرورة الجلوس والنقاش مع البعض، وفي نفس الوقت يحكم بضرورة اتِّخاذ إجراء (الإهمال المتعمَّد) مع بعض آخر، فإنَّه يكون أبلغ جواب له هو إهماله، إذ لعلَّ مناقشته ترفع من شأنه وهو وضيع، وقد تُلفِت الأنظار إليه فينخدع به من لا بصيرة له، فيكون التصرِّف الحكيم معه هو إهماله، والاجتناب عن الجلوس معه، ليعرف الجميع ضعته وزيفه، وأنَّه لا يصل إلى منزلة يستحقُّ معها إنفاق بعض الوقت والجهد لأجله.

وهذا الأُسلوب قد استعمله بعض الأئمَّة الأطهار مع بعض الخصوم والمدَّعين،

⁽١) كمال الدين للصدوق: ١٦٥ و١٧٥.

فقد ورد أنَّ أبا سَلَمة الخلال، وهو أحد نقباء الدولة العبّاسية، والعضو الفعّال في قيادة الثورة العبّاسية، بعث كتاباً إلى الإمام الصادق في يُعلِن فيه استعداده للدعوة إليه والتخلّي عن بني العبّاس، فكان جواب الإمام: «ما أنا وأبو سَلَمة، وأبو سَلَمة شيعة لغيري»، فقال رسول أبي سَلَمة: إنّي رسول، فتقرأ كتابه وتجيبه. فدعا الإمام الصادق في بسراج ثمّ أخذ كتاب أبي سَلَمة فوضعه على السراج حتّى احترق، وقال للرسول: «عرّف صاحبك بها رأيت» (۱).

فالإهمال في بعض الأحيان جواب كافٍ ووافٍ لمن يدَّعي ما ليس فيه.

وهذا ما فعله السفير الثالث الشيخ الحسين بن روح مع الشلمغاني، فقد ورد أنَّه أنفذ محمّد بن عليّ الشلمغاني العزاقري إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله، وقال: أنا صاحب الرجل وقد أمرت بإظهار العلم، وقد أظهرته باطناً وظاهراً، فباهلني، فأنفذ إليه الشيخ في جواب ذلك: أيّنا تقدَّم صاحبه فهو المخصوم، فتقدَّم العزاقري فقُتِلَ وصُلِبَ...(٢).

وكذلك ما فعله السفير الأوَّل عثمان بن سعيد العمري الأسدي مع محمّد بن نصير النميري الذي ادَّعى أنَّه رسول نبيّ، وكان يقول بربوبية عليّ ، ويقول بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال...، فقد ورد أنَّه لمَّا ظهر محمّد بن نصير بها ظهر لعنه أبو جعفر وتبرَّأ منه، فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر اليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه وردَّه خائباً. (٣).

⁽١) أنظر: مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٥٣.

⁽٢) الغيبة للطوسي: ٣٠٧/ ح ٢٥٨.

⁽٣) الغيبة لطوسي: ٣٩٨/ ح ٣٧٠.

الطريق الخامس: الاستهزاء.

نحن نعرف أنَّ الإسلام دين الاحترام وتقييم الآخر، فليس فيه دعوة أو حثّ على الاستهزاء بالآخرين، ومعه فها معنى أن يكون الاستهزاء طريقاً للنقاش والحوار وإثبات الرأى؟

إنَّ المقصود هنا هو عدم إعطاء المدَّعي - إذا ما ثبت تعمّده الكذب واختلاق مقام ليس هو من أهله - أيّ فرصة لإثبات نفسه أو شخصيته، وعدم السهاح له بالنبس ببنت شفة، وإظهار أمره لخطورة دعواه الباطلة، فإنَّ ذلك في الوقت الذي قد يُؤثِّر إيجاباً على نفسية المدَّعي، بأن يرتدع عن الخوض في الباطل، أو على الأقل أن يُخفِّف من التبشير بدعواه خوفاً من الفضيحة والاستهزاء، كذلك فإنَّه يقف حاجزاً دون السهاح للآخرين باتباع المبطل، فإنَّ الناس إذا رأوا حقارة ذلك المدَّعي وعدم هيبته، فإنَّهم سيحاولون الحفاظ على كرامتهم بالابتعاد عنه، وبالتالي نكون قد حصلنا على نتيجتين في آنٍ واحد: ردع المدَّعي بالباطل، ومنع الناس من اتباعه.

وهذا التصرّف يحتاج إلى حنكة اجتهاعية وذكاء وجداني يستطيع من خلاله الإنسان أن يعرف التصرّف المناسب مع المدَّعي، كها فعله الشيخ ابن بابويه والد الشيخ العدوق رحمه الله مع الحلّاج، فقد ورد أنَّ ابن الحلّاج صار إلى قمّ، وكاتب قرابة أبي الحسن - وهو والد الشيخ الصدوق - يستدعيه ويستدعي أبا الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله.

قال الصدوق: فلمّا وقعت المكاتبة في يد أبي خرقها، وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهالات؟ فقال له الرجل:... فإنّ الرجل قد استدعانا فلِمَ خرقت مكاتبته!؟ وضحكوا منه وهزؤابه. ثمّ نهض إلى دكّانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه. قال: فلمّا دخل إلى الدار التي كان فيها دكّانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه

جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي، فليًا جلس وأخرج حسابه ودواته كها يكون التجّار أقبل على بعض من كان حاضراً، فسأله عنه، فأخبره، فسمعه الرجل يسأل عنه، فأقبل عليه وقال له: تسأل عني وأنا حاضر؟ فقال له أبي: أكبرتك أيّها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك. فقال له: تخرق رقعتي وأنا أشاهدك تخرقها؟ فقال له أبي: فأنت الرجل إذاً.

ثمّ قال: يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدوّ لله ولرسوله، ثمّ قال له: أتدَّعى المعجزات عليك لعنة الله؟ أو كما قال، فأُخرج بقفاه، فما رأيناه بعدها بقم. (١٠).

ومنه ما ورد عن أبي نصر هبة الله بن محمّد الكاتب ابن بنت أُمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري، قال: لمّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلّاج ويُظهِر فضيحته ويُخزيه، وقع له أنَّ أبا سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي ممّن تجوز عليه مخرقته وتتمُّ عليه حيلته، فوجّه إليه يستدعيه، وظنَّ أنَّ أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجرّه إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتبُّ له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له في مراسلته إيّاه: إنّي وكيل صاحب الزمان ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إنّي أسألك أمراً يسيراً يخفُّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنّي رجل أُحِبُّ الجواري وأصبو إليهنَّ، ولي منهنَّ يليك من الدلائل والشيب يُعِدني عنهنَّ [ويُبعِّضني إليهنَّ]، وأحتاج أن أُخضبه في كلً عدَّة أتحظّاهنَّ، والشيب يُعِدني عنهنَّ [ويُبعِّضني إليهنَّ]، وأحتاج أن أُخضبه في كلً جعة، وأتحمَّل منه مشقَّة شديدة لأستر عنهنَّ ذلك، وإلّا انكشف أمري عندهنَّ، فصار

⁽١) الغيبة للطوسي: ٤٠٢ و٣٠٤/ ح ٣٧٧.

القرب بعداً والوصال هجراً، وأُريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإنّي طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة. فلمّا سمع ذلك الحلّاج من قوله وجوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً، ولم يُرسِل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل رضي الله عنه أُحدوثة وضحكة ويطنز (١) به عند كلّ أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجاعة عنه. (١)

⁽١) طنز يطنز طنزاً: كلُّمه باستهزاء. (هامش المصدر).

⁽٢) الغيبة لطوسي: ٤٠١ و ٤٠٠/ ح ٣٧٦.

المبحث الثاني:

ضرورة القضية المهدوية

قال الشيخُ على:

«...ونحن مع إيهاننا بصحة الدين الاسلامي وأنه خاتمة الأديان الإلهية ولا نترقب ديناً آخر لإصلاح البشر، ومع ما نشاهد من انتشار الظلم واستشراء الفساد في العالم على وجه لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم في المالك المعمورة، ومع ما نرى من انكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم وتعطيل أحكامه وقوانينه في جميع المالك الإسلامية، وعدم التزامهم بواحد من الألف من أحكام الإسلام – نحن مع كل ذلك لا بد أن ننتظر الفرج بعودة الدين الاسلامي إلى قوته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد...»

يُشير الشيخ في هذا المقطع، إلى ضرورة ولزوم وجود يوم الظهور، أي ضرورة أنْ يأتي ذلك اليوم الذي يُزال فيه الظلم ويحلُّ محله العدل والقسط.

لسنا بحاجةٍ إلى الحديث عن ضرورة القضية المهدوية فضلًا عن إثباتها لمن يعتقد بالمدرسة الإمامية؛ لتسليمه المطلق بها حدَّ البداهة، وإنَّما الحديث عن ذلك لمن هو خارج هذه المدرسة اعتقادًا من عامة المسلمين، فضلًا عمّن هو خارج دائرة الدين الإسلامي من معتنقي سائر الأديان السهاوية الأخرى.

أولًا: إثبات ضرورة القضية المهدوية للعامة من المسلمين.

ويمكن إثبات ضرورتها بعدة طرق [غير ما تقدم من الاتفاق عليها وورود

النصوص المتواترة فيها] ولكننا سنقتصر على ما ذكره الشيخ على:

الدليل العقلى: دليل نقض الغرض.

ونقتصر فيه على المقدمات التي ذكرها الشيخ الله

المقدمة الأولى: إنَّ آخر الأديان هو الإسلام، وأنَّه الدين الأصلح للبشرية.

وهذه المقدمة مسلَّمةٌ عند جميع المسلمين، ومن ينكرها يخرج عن الإسلام؛ لأنَّ القرآن الكريم صرّح وبوضوحٍ أنَّ النبي الأكرم الله هو خاتم النبين، والقول بأنَّ الإسلام ليس بآخر الأديان يستلزم القول بعدم خاتمية النبي الأعظم الله، ومن ثم تكذيب القرآن، ومن يُكذِّب القرآن والنبي الله فإنه يخرج عن الإسلام.

وهو ما لم يتحقق حتى الآن وجدانًا.

المقدمة الثالثة: إنَّ الأرض كانت ولا زالت تئنُّ من الظلم وترضخ تحت الجور، وإنَّ الظلم والجور مستمران وباشتداد، وإنَّ الأرض لم تعِش يومًا من أيامها في عدلٍ ورخاء وسعادة وهناء بشكل مطلق، ولا غرو في ذلك؛ إذ لم يحكم جميع أرجائها الدينُ الحقُّ قط.

وعليه، فإنَّ استمرار الحياة على هذه الوتيرة من انعدام العدل وانتشار الظلم إلى الأبد، يؤدي إلى نقض الغرض من خلقها، أي إنَّ ذلك الغرض والهدف من خلقتها والذي تقدّم الوصول بالجن والإنس إلى العبادة لم يتحقق، وهذا يعني نقض الغرض من الخلقة.

⁽١) الذاريات ٥٦.

إشكالٌ وجواب: ربها يُشكل على دليلنا أحدٌ بالقول: ما الضير في انتقاض هذا الغرض أو الهدف؟

والجواب: إنَّ نقض الغرض يستلزم العبث، وإنَّ الله على حيث إنَّه حكيمٌ فهو منزهٌ عن العبث.

كما أنَّه يستلزم الكذب؛ لأنَّ الله ﷺ صرَّح بأنَّه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدون، وهو (جلَّ وعلا) منزهٌ عن الكذب أيضًا.

وعودٌ الهية...

ومن الجدير بالذكر أنَّ الله عَيْنَاكَ قد وعد بأمورٍ أخرى تتحقق في الحياة الدنيا غير وصول الثقلين من الجن والإنس إلى العبادة، ومنها:

١/ استخلاف الذين آمنوا في الأرض، قال ﴿ : ﴿ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّا لَجَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الصَّا لَجَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اللَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ اللَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولِكِ فَلُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . (١)

٢/ وراثة الأئمة الذين استضعفوا الأرض، قال ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ النَّذِينَ النَّذِينَ النَّرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾. (٢)

٣/ ظهور الدين الإسلامي على الدين كله، قال ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ اللَّهِ عَلَى الدِّينِ اللَّهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ النَّسْرِ كُونَ ﴾ (٣)

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ الله بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ.

⁽١) النور ٥٥.

⁽٢) القصص ٥.

⁽٣) الصف ٩.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحُقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾. (١) وفي آيةٍ أخرى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحُقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهُ شَهِيداً ﴾. (٢)

ومن المعلوم وجدانًا عدم تحقق أيِّ من هذه الأمور فيها مضى، كها لا يمكن الادعاء بتحقق خصوص الظهور على الدين كله ولو في زمن النبي الأكرم سَلَّ كها ذهب إلى ذلك البعض؛ لإطلاق ظهور الدين في الآية المباركة، مما يعني ظهوره على الدين كله في جميع أرجاء المعمورة.

وهذا ما لا يمكن أنْ يتحقق إلا بالظهور المهدوي، وبها أنَّ عدم تحققها خلفٌ للوعد الإلهي، وخلفُ الوعد قبيحٌ عليه (جل شأنه)، فتثبت بذلك ضرورة القضية المهدوية أيضًا.

والنتيجة إذًا:

لابد أنْ يأتي يومٌ ينتشر فيه الإسلام في ربوع الأرض تحقيقًا للغرض الإلهي، ويصل الناس كل الناس إلى مرحلة (ليعبدون)، وهذا هو ما نُسميه بيوم الظهور.

وبه يتضح أن البشرية تسير تلقائيا باتجاه نحو يوم الظهور.

وأن هذا اليوم الذي سيحقق فيه الهدف الإلهي لا يمكن ان يتحقق إلا على يدي رجل إلهي ومصلح عظيم بعيد عن الخطأ وصاحب حنكة وحكمة وذي علم عظيم، يستطيع به ردّ الشبهات وكشف الواقع، وهو عبارة عن العصمة، إذ لو لم يكن كذلك فإن احتهال خطئه وانحراف مسيرته واردٌ جداً، وبالتالي لا يتحقق ذلك الهدف على يديه، وهذه النتيجة هي ما يمكن ان يكون ترجمة لما رُوى عن الامام الباقر على من قوله: دولتنا

⁽١) التوبة ٣٢ و ٣٣.

⁽٢) الفتح ٢٨.

إذاً لابد أن يتحقق هذا الغرض في يوم من الأيام، وهذا اليوم هو الذي نسميه اليوم الموعود وهذا هو ما ذكرته الروايات الشريفة عن عمار بن موسى السباطي عن الإمام الصادق قال عمار: سمعته وهو يقول في «لم تخلُ الارض منذُ كانت من حجه عالما يُحيي فيها ما يُميتون من الحق ثم تلا هذه الآية: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بَأَفْواهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرةَ الْكَافِرُونَ ﴾ "").

وفي رواية اخرى عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله الصادق في قوله تعالى « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُّدَى وَدِينِ الحُقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾ والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم فاذا خرج القائم لله يبق كافرٌ بالله العظيم ولا مشركٌ بالأمام إلا كره خروجه». (١٠)

المقصود من الإظهار في الآية:

ذكرت الآيات المتقدمات أنَّ الغاية من إرسال النبي يَنَا هو إظهار الإسلام على كلِّ الأديان، بمعنى غلبته، ولكن ما هو المقصود من هذا الإظهار وهذه الغلبة؟

يمكن أنْ يُذكر هنا ثلاثة معانٍ نعرضها لنعرف المناسب منها:

الأول: الإظهار والغلبة المنطقية.

مما لا شكّ فيه لو دار نقاش بين الإسلام وبين بقية الأديان لرجحت كفة الإسلام

⁽١) القصص ٨٣.

⁽٢) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٤٧٢ ح ٤٩٣.

⁽٣) كمال الدين، ص ٢٢١، باب ٢٢، حديث رقم ٤.

⁽٤) كمال الدين، ص ٢٧٠، باب ٥٨، حديث، ١٦.

على غيره؛ لما فيه من قوانين منطقية ثابتة وقواعد واقعية بالإضافة إلى خلوه من الخرافات والتحريفات التي ابتليت بها بقية الأديان بعد التحريف.

وهذا المعنى صحيحٌ، لكن ليس هو المراد من الإظهار في هذه الآية؛ لأنّه موجودٌ وثابتٌ منذ الصدر الأول للإسلام، والآية في صدد الحديث عن أمر مستقبلي، وقد مرَّ ذكر الرواية التي قالت: ما نزل تأويلها بعد.

الثاني: إظهار الإسلام وغلبته على الأديان ولو على بعض الأرض.

وهذا المعنى تحقق في الأزمنة الماضية في الحجاز والعراق وبلاد فارس وغيرها.

ولكنّه ليس المقصود من الآية؛ لأن الآية تتحدث عن إظهاره على الدين كله، وليس على بعض الدين.

الثالث: إظهار الإسلام وغلبته على سائر الأديان وعلى كلِّ الأرض.

وهذا هو المتناسب مع الآية الكريمة، وهو المعنى الذي صرّحت به الروايات الشريفة، منها ما روي عن عباية بن ربعي: «أنّه سمع أمير المؤمنين يقول في تفسير الآية وكأنّه يتساءل مع بعض أصحابه: أ ظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم، فقال على والذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلا ونودي فيها بشهادة أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمدًا على رسول الله بكرة وعشيًا».(١)

وفي روايةٍ أخرى عن ابن عباس في نفس الآية قال: «لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا دخل في الإسلام... وذلك قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾ وذلك يكون عند قيام القائم».(٢)

⁽١) تأويل الآيات الظاهرة/ ج٢/ ص٩٦٨/ ح٨.

⁽٢) تأويل الآيات الظاهرة/ ج٢/ ص٦٨٩/ ح٩.

ثانيًا: إثبات ضرورة القضية المهدوية لمعتنقي سائر الديانات الإلهية الأخرى.

لم يذكر الشيخ تتُمُّ كيفية إثبات ضرورة القضية المهدوية لمعتنقي سائر الديانات الأخرى؛ لأنّه لم يكتب هذا الكتاب المبارك لإثبات عقائدنا في مقابل الأديان الأخرى، بل لإثباتها في مقابل العامة.

ولكن إتمامًا للفائدة نقول:

بإمكاننا أنْ نستدل لغير المسلم عليها بطريقين هما:

الأول: بالدليل العقلي المتقدم.

ولكن ينبغي قبل ذلك أنْ نثبت خاتمية نبوة النبي الأكرم عَلَيْهُ، وكذا خاتمية الدين الإسلامي.

الثاني: بالأدلة النقلية الواردة في الكتب المسيحية أو اليهودية أو غيرها.

المبحث الثالث:

شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بين المدرستين

المطلب الأول: أهم الفروق بين المدرستين في شخصيته ...

قال الشيخ على:

«غير أنَّ الفرق بين الإمامية وغيرها هو أنَّ الإمامية تعتقد أنَّ هذا المصلح المهدي هو شخصٌ معينٌ معروفٌ، ولد سنة ٢٥٦هـ ولا يزال حيًا(١)، هو ابن الحسن العسكري، واسمه محمد، وذلك بها ثبت عن النبي وآل البيت المسكولي من الوعد به، وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه...».

بعد أنْ أشار الشيخ الله أنَّ القضية المهدوية من المسائل التي اتفقت عليها كلمة المسلمين بصورة عامة، أشار في هذا المقطع إلى أنَّ هناك اختلافًا بينهم في تفاصيل هذه القضية، كما في بقية المسائل الأخرى كالصلاة مثلًا، فإنَّه وإنْ كان الاتفاق بين المدرستين حاصلًا على وجوبها، وعددها، وعدد ركعاتها، إلا أنَّها اختلفتا في بعض تفاصيلها، ككون البسملة جزءًا من السورة أو لا؟ وهل تُقرأ جهراً أو إخفاتًا؟ وهل الواجب في الصلاة هو التكتف أو إسبال اليدين؟ وهل يجوز الجمع بين صلاتي الظهرين أو العشائين في غير السفر أو لا؟ وما إلى ذلك

والقضية المهدوية هي الأخرى وإنْ تمَّ الاتفاق عليها بشكل عام، إذ يعتقد الجميع بلا بُدية وجوده في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أنْ مُلأت ظلمًا وجورًا،

⁽١) إلا أن المشهور هو أنه ولد سنة (٥٥٦) للهجرة.

لكن الاختلاف موجودٌ أيضًا في التفاصيل ومن عدة جهات، من قبيل: علامات الظهور، وما هو الواجب على الإنسان في التمهيد لعملية الظهور، والاختلاف في شخص المهدي.

ولأهمية الاختلاف الأخير، فقد اختاره الشيخ التسليط الضوء عليه، حيث ذكر عدة فروقٍ في شخصٍ الإمام المهدي فيها يعتقده العامة وما يعتقده الخاصة، ورومًا للإيجاز سنقتصر على ذكرها وهي:

الفرق الأول: أنَّ المهدي عند الشيعة هو من ولد الإمام الحسين، وأمَّا عند العامَّة فهو من ولد الإمام الحسن المجتبىٰ .

الفرق الثاني: أنَّ المهدي عند الشيعة اسمه (محمّد بن الحسن)، وأمَّا عند العامَّة فاسمه (محمّد بن عبد الله).

الفرق الثالث: أنَّ المهدي عند الشيعة كان قد وُلِدَ سنة (٢٥٥ أو ٢٥٦) للهجرة، وما زال حيَّا إلىٰ أنْ يُظهِره الله (تعالىٰ) في الوقت الذي لا يعلمه إلَّا هو، وأمَّا عند العامَّة فإنَّه يُولَد في آخر الزمان.

الفرق الرابع: أنَّ المهدي حيٌ منذ ولادته وحتى وفاته بعد ظهوره المبارك وملئه الأرض قسطًا وعدلًا، ومن ثم فهو الآن حيٌ بالقطع واليقين عند الشيعة، على حين لا تقول العامة بحياته الآن؛ لأنهم لم يؤمنوا بولادته، فضلًا عن طول عمره. وعليه، فلربها كان حيًا عندهم فيها إذا قرب الظهور، وربها لا يكون كذلك فيها إذا كان الظهور بعيدًا.

الفرق الخامس: أنَّ المهدي عند الشيعة ينصره الله (تعالىٰ) بالملائكة (١١)، وبالأولياء الذين سيرُ جِعهم الله (تعالىٰ) بإذنه (٢١)، وأمَّا المهدي عند العامَّة فلم أجد أنهم يذكرون له

⁽١) الغيبة للنعماني: ٢٣٩ و ٢٤٠/ باب ١٣/ ح ٢٢.

⁽٢) الإرشاد للمفيد ٢: ٣٨٦.

هذه النصرة، خصوصًا وأنَّهم لا يؤمنون بالرجعة أصلًا.

الفرق السادس: أنَّ مهدي الشيعة معصومٌ، كما هو الحال في النبي الأعظم يَلَيُّ، أما مهدى السنة فليس بالضرورة أنْ يكون معصومًا.

الفرق السابع: أنَّ المهدي عند الشيعة يقومُ بتجهيزه بعد موته الإمامُ الحسينُ الله وأمَّا عند العامَّة فليس كذلك؛ لأنَّهم لا يؤمنون بالرجعة كها أسلفنا.

وهذه هي أوضح الفروق بين المدرستين فيها يخص شخص الإمام المهدي اللهادي

المطلب الثاني: من أدلة ولادة الإمام المهدي اللهادي

قال الشيخ الله واحتجابه». «وهذا ما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه».

أولًا: العامة وولادة الإمام المهدي عليه

بادئ ذي بدء لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ الأصل في الإنسان هو عدم الولادة، فإنْ ادُعيَ خلاف ذلك طُلِب الدليل، وعليه فلا غرو في مطالبة العامة إيّانا بالدليل، لكن فيها لو عدموا الأدلة على ولادته في كتبهم ورواياتهم.

بيدَ أنَّ الأمر على خلاف ذلك؛ لسبين:

الأول: إثبات العديد من علمائهم ولادته الله الله العجرية، فقد اعترفوا بوجود ولد للإمام العسكري، ولم يذكروا أنّه توفي البتة، مما يعني أنّه لازال على قيد الحياة. وهم علماءٌ كُثُر، أحصاهم بعض الباحثين فكانوا أكثر من تسعة وخمسين عالمًا، ومنهم -على سبيل المثال لا الحصر -

١/ ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة في ترجمة الإمام العسكري الله قال: «ولم يُخلّف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن

آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر».(١)

٢/ ابن خلكان في وفيات الأعيان: قال في ترجمة الإمام العسكري ما نصّه: «أبو محمّد الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن الرضا بن جعفر الصادق ابن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب أحد الأئمّة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، وهو والد المنتظر صاحب السرداب ويعرف بالعسكري، وأبوه على يعرف أيضاً بهذه النسبة». (٢)

٣/ ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، قال: وروى ابن الخشّاب في كتابه مواليد أهل البيت يرفعه بسنده إلى عليّ بن موسى الرضاية أنه قال: الخلف الصالح من ولد أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري، وهو صاحب الزمان القائم وهو المهدي... ... ولد أبو القاسم محمّد بن الحجة بن الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة، وأمّا نسبه أباً وأمّاً فهو: أبو القاسم محمّد بن الحجة بن الحسن الخالص ابن علي الهادي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين).

وأمّا أمّه فأمّ ولد يقال لها نرجس خير أمّة، وقيل اسمها غير ذلك. وأما كنيته فأبو القاسم، وأمّا لقبه فالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدى. (٣)

الثاني: إن ما ورد من روايات في كتبهم حول المهدي، عبرت عنه بها يتلاءم مع كونه مولوداً غائباً ويظهر عند الوقت المعلوم عند الله تعالى، وذلك لمجيئها بلفظ (يظهر

⁽١) الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيثمي المكي ص ٢٠٨.

⁽٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج٢ ص ٩٤.

⁽٣) الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي ص ١١٠٢ – ١١٠٤.

في آخر الزمان)، ولا توجد ولو رواية واحدة تعبّر بأنَّه (يولد في آخر الزمان)، ومن الواضح أنَّ (يظهر) تتناسب مع كونهِ قد ولِدَ سابقًا وغاب ثم ظهر.

وعليه، فلا يصح منهم الادعاء بها يخالف هذين الأمرين إلا بعد دحضهها، ولمّا لم يتمكن علماؤهم من ذلك، فلا يحقُّ لهم ادعاء عدم ولادته، فإن ادعوا _ وإنهم لفاعلون _ فقد خالفوا أصول الاستدلال وقواعده، وحينئذٍ لا قيمة لدعواهم في الميزان العلمي.

الدليل الأول: حديث الثقلين:

وهو من الأحاديث المتواترة والتي لا يستطيع أحدٌ أنْ ينكر صدوره عن الرسول على فقد رواه الترمذي في صحيحه بإسناده عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله على: "إنّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لنْ تضلوا أبدًا، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السهاء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».(١)

فقد صرّح الرسول عَلَي فيه بامتناع افتراق العترة عن القرآن بقوله: «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، أي إلى يوم القيامة.

وهذا يعني دوام وجود عترة الرسول الأكرم على ما دام القرآن موجودًا، والمراد من العترة في الحديث ليس هو عموم ذرية النبي على، بل خصوص الأئمة المعصومين الله الذين هم أمانٌ لأهل السهاء.

وعليه، فإن قلنا بعدم وجود أحدٍ من عترة النبي عَلَيْهُ، فهذا يعني أنَّ القرآن الكريم غير موجود، والتالي باطلٌ؛ لوجود القرآن، فالمقدم معه في البطلان.

_

⁽١) سنن الترمذي / ج٥ / ص٦٦٣ / رقم ٣٧٨٨.

وإن قلنا بوجود القرآن دون العترة، فهو تكذيب للنبي يَهُ، وهذا هو والكفر سواء. إذن لابد من وجود أحدٍ من عترة النبي يَهُ مع القرآن الكريم، وهذا هو المطلوب. ولحديث الثقلين دلالات أخرى، منها الدلالة على عصمة الأئمة لأن القرآن معصوم، وغيرها، ولكن أعرضنا عنها؛ فلتطلب في مظانها.

والخلاصة: أنَّ الحديث يصرح بوجود قرينٍ للقرآن الكريم يكوِّن مع القرآن حبلًا لنجاة المسلمين، من يتمسك به يرفعه عن مستنقع الظلام والضلالة، ومن يعرض عنه فإنه يهوي فيها، وذاك الرجل في زماننا الحاضر هو الإمام المهدي

الدليل الثاني: روايات عدم خلو الأرض من حجة.

تُفيد مجموعةٌ كبيرة من الرواياتٍ -المتفق عليها- معنى واحدًا، وهو: عدم خلو الأرض من حجة، فإنْ خلت ساخت وماجت بأهلها، ومنها:

ما روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا ﴿ قَالَ: ﴿ قُلْتُ لَه: أَتَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ ؟ قَالَ: لا. قُلْتُ: فَإِنَّا نُرَوَّى عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ﴿ أَنَّهَا لَا تَبْقَى بِغَيْرِ إِمَامٍ ؟ قَالَ: لا. قُلْتُ: فَإِنَّا نُرَوَّى عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ﴿ أَنْ يَسْخَطَ الله تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ أَوْ عَلَى الْعِبَادِ ؟ فَقَال: لَا، لَا تَبْقَى، إِذاً لَسَاخَتُ ﴾ (١)

كما جاء في بعض الروايات بأن الله في آخر الزمان يرفع الحجة من الأرض وبعد أربعين يومًا تنتهى الدنيا وتقوم القيامة.

فعن أبي عبد الله على قال: «ما زالت الأرض ولله فيها حجة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا ينقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوما قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة ولم ينفع نفسا إيهانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة

⁽١) الكافي للكليني ج١ ص ١٧٩ بَابُ أَنَّ الأَرْضَ لاَ ثُخَلُو مِنْ حُجَّةٍ - ح١١..

وأولئك شرار من خلق الله، وهم الذين يقوم عليهم القيامة».(١)

وبها أنَّ الأرض لم تسَخ ولم تمُّج بأهلها بعدُ، فهذا يدلَّ ذلك على وجود حجةٍ على الأرض هو صهام الأمان لها ولأهلها. والمقصود من الحجة هو من له علاقةٌ خاصة بالسهاء، أي من جعله الله تعالى حجة على الأرض، وكان معصومًا، والمتمثل بالإمام المهدي المنتظر في زماننا الحاضر.

الدليل الثالث: روايات: من مات أو بات ولم يعرف إمام زمانه فميتته جاهلية.

وهي متواترة بين العامة والخاصة تواترًا معنويًا، بمعنى وحدة المعنى وإن تعددت واختلفت الألفاظ، ولربها تواتر بعضها تواترًا لفظيًا أيضًا.

وبناءً على ادعاء العامة، لو كان إمام الزمان غير مولود بعد، لكانت ميتة الناس كلهم ميتةً جاهلية. وهو خلاف اللطف الإلهي والصفات الكمالية لوجوده (جلَّ وعلا)، وخلف تلك الروايات.

ومن تلك الروايات هي التالي:

عن أبان بن تغلب، قال: «قلت لأبي عبد الله عن عرف الأئمَّة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه أمؤمن هو؟ قال: لا، قلت: أمسلم هو؟ قال: نعم (٢).

وعن رسول الله عَيْلَةَ أنَّه قال: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية» (٣).

وعن الإمام أبي جعفر الله قال: «من مات لا يعرف إمامه، مات ميتة جاهلية كفر ونفاق وضلال»(٤).

⁽١) المحاسن للبرقي ج١ ص ٢٣٦ باب ٢٢ باب حجج الله على خلقه ح٢٠٢.

⁽٢) كمال الدين للصدوق: ١٠٤/ باب ٣٩/ ح٣.

⁽٣) كمال الدين للصدوق: ١٣ و ٤١٤/ باب ٣٩/ ح ١٥.

⁽٤) الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ٨٢/ ح ٦٩.

الدليل الرابع: روايات الاثني عشر إمامًا أو وصيًا كلهم من قريش.

وهي من الروايات الموجودة في صحاح العامة (١)، ولا خلاف فيها. فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة أنّ النبي الله قال: «يكون اثني عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنّه قال: كلّهم من قريش (٢).

وروى مسلم في صحيحه عن النبي الله حديث الأئمة الاثني عشر بثمانية طرق وبألفاظ مختلفة؛ غير أنها متفقة جميعاً في «اثني عشر» و «كلّهم من قريش»؛ منها: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً... كلّهم من قريش» (٣).

ولو بحثنا عن مصداقٍ لها في كلِّ من ادعوا الخلافة من بني أُمية وبني العباس وسواهم فلن نجد إلا تيهًا عندهم وضياعًا في تحديد الاثني عشر خليفة. ولا غرو في ذلك، فمهما شرّقوا أو غرّبوا فلن يجدوا من تنطبق عليه سوى أئمة أهل البيت الاثني عشر المعصومين اللهم علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي المعصومين يكن مولودًا لاستلزم ذك اشتباه النبي الأعظم المعلم وحيث إنّه معصومٌ - ولو في نطاق التبليغ كما ذهبت إليه العامة -، فلا بد من ولادة ولدٍ للإمام الحسن العسكري السيالية كما ذهبت إليه العامة -، فلا بد من ولادة ولدٍ للإمام الحسن العسكري السيالية كما ذهبت إليه العامة -، فلا بد من ولادة ولدٍ للإمام الحسن العسكري السيالية كما ذهبت الله العامة - الله الله العامة - الله الله العامة - الله الله العامة

روي عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله على: «إن خلفائي و أوصيائي، وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر: أولهم أخي وآخرهم ولدي، قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: على بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، والذي بعثني بالحق نبيًا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي

⁽١) للتفاصيل انظر: الكلام الإسلامي المعاصر ج٣ ص ٢٠٦ - ٢٠٩.

⁽٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، حديث ١١٤٨؛ سنن الترمذيّ، ج ٤، ح ٢٢٢؟ مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ٧١٥، ح ٢٥٨٦.

⁽٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ١.

خلفه، وتشرق الأرض بنوره ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب».(١)

المطلب الثالث: طول عمر الإمام على.

قال تَتُنُّ: «ولا يخلو من أنْ تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله له، وهي ليست بأعظم من معجزة أن يكون إمامًا للخلق وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى إذ كلم الناس في المهد صبيًا وبعث في الناس نبيًا. وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي –أو الذي يُتخيّل أنَّه العمر الطبيعي – لا يمنع منها فن الطب ولا يحيلها، غير أنَّ الطب لم يتوصل إلى ما يُمكنه من تعمير حياة الإنسان، وإذا عجز عنه الطب فإنَّ الله قادرٌ على كلِّ شيءٍ وقد وقع فعلا تعمير نوح وبقاء عيسى الله كما أخبر عنهما القرآن الكريم، ولو شكّ الشاك فيها أخبر عنهما القرآن فعلى الإسلام السلام. ومن العجب أن يتساءل المسلم عن إمكان ذلك وهو يدّعي الإيهان بالكتاب العزيز»

تقدّم إثبات أنّ الإمام المهدي قد ولِد سنة ٢٥٥ هـ، ولم تثبت وفاته، بل لم يقُل بها أحدٌ، وهذا يلزم منه القول إنّه ما زال حيًا، وقد تجاوز عمره الشريف ١٢٨٠ سنة (٢٠). وهو عمرٌ لا يعسر على المؤمن بقدرة الله على حقًا التصديقُ به، فضلًا عن أدلةٍ أخرى سنتعرض لها لاحقًا، ولكن مخالفي المدرسة الإمامية جعلوه من المستحيلات، مثيرين بشأنها شبهةً من الشبهات؛ ليجعلوا من عقيدة شيعة أهل البيت عقيدة خرافية لاحقيقة لها.

وللرد على هذه الشبهة لا بُدَّ من التطرق إلى أسئلةٍ مهمة والجواب عنها، وهي: ما الضابط في كون أمرِ ما مستحيلًا؟

⁽١) كمال الدين للشيخ الصدوق ص٢٨٠ باب ٢٤ ح٢٧.

⁽٢) في فترة طرح هذه الدروس.

وهل يمكن للإنسان أن يُعمِّر عمرًا يتجاوز ١٢٨٠ سنة أم أنَّ ذلك مستحيلٌ؟ وما الأدلة على إمكانه فيها لو كان ممكنًا؟

أولًا: متى نحكم على أن شيئًا ما مستحيلٌ؟

الجواب: نحكم على أنَّ شيئًا ما مستحيلٌ وغير ممكن في حالتين لا ثالث لهما:

الأولى: عند مخالفته قانونًا عقليًا، نحو: مخالفته قانون اجتماع النقيضين، أو مخالفته لقانون أن الكل أعظم من الجزء، أو مخالفة ضرورة كون الظرف أكبر من المظروف.

الثانية: عند مخالفته ضرورةً شرعية أو حكمًا ثابتًا شرعيًا، نحو: كون الصلاة واجبةً، وكون الخمر حرامًا.

وطول عمر الإنسان ليس فيها أية مخالفة للقانون العقلي ولا للضرورة الشرعية، فليس من المستحيل أن يعمّر إنسانٌ ما لآلاف السنين.

ثانيًا: هل يمكن للإنسان أنْ يُعمِّر عمرًا يتجاوز ١٢٨٠سنة؟

الجواب: من الممكن ذلك للتالي:

١/ الدليل الشرعي:

من المعلوم أنَّ من لم يؤمن بوجود شجرةٍ فمن البديمي أنْ يُنكر وجود ثمرتها. وعليه، ففي خصوص إثبات إمكانية طول عمر الإمام المهدي فإننا لا نناقش ملحدًا لا يقر بوجود الله في، ولا نناقش من لا يعتقد بالكمال المطلق لله في والقدرة المطلقة له، فلا موضوعية للكلام معهما في طول عمر الإمام في.

 إما أنْ يُجيب بسؤالٍ مفاده: وما هي خصوصية الإمام المهدي هذا ليطيل الله عمره؟ والجواب: إنَّ له خصوصية، وهو أنه هو الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا، الأمر الذي يقتضي توفر الظروف وفق العلم والحكمة الإلهية، وقد يستلزم إطالة العمر، كما هو الواقع في اعتقادنا.

أو يتمسك بأنَّ طول العمر بهذا الحد خلاف المعتاد.

والجواب: طالما تعلقت به قدرة الله ، فليكن من خلاف المعتاد، إذ ما المانع من الإعجاز الإلهي نفسه؟!

٢/ الدليل الطبي:

إنّ الطبّ لم ينفِ إمكانية طول عمر الإنسان، ولم يقل باستحالته، بل نسمع اليوم عن محاولاتٍ طبيةٍ علمية لإطالة عمر الإنسان، ولو كانت أمرًا مستحيلًا لما سعى إليها الطب، ولما هدر العلماء وقتهم وجهدهم. فقد نُقِل عن الدكتور الأمريكي كي لورد أنّه قال: إنّ علم الطب في هذا اليوم بمعونةِ علم التغذية رفع الموانع والحدود التي تمنع البشر من أنْ يُعمروا، ونحن اليوم على خلافِ ما كان عليه أجدادنا وآباؤنا نأمل أنْ نعيش أعهارًا طويلة.

كما نُقِل أنَّ الدكتور جورج رئيس الجامعات في المانيا قام بالتحقيق على نباتٍ طفيلي (سابرولينا مسكتا) وهذا النبات يعيش على ظهر الذباب الأزرق وعمره لا يتجاوز الأسبوعين، ولكن عندما زرعه في ظروفٍ خاصة، عاش لستِ سنواتٍ، بمعنى أنَّه ضاعف عمره ١٠٩٢٠ مرةً، أي ما يُقارب أحد عشر ألف مرة!

٣/ الدليل التاريخي:

فقد ثبت تاريخيًا أنَّ هناك معمرين عاشوا أكثر من الأعمار الطبيعية للإنسان، مثل الخضر هن، الذي عاصر النبي موسى هن، وقد ذكر لنا القرآن الكريم قصته المعروفة معه، ولا زال حيًا حتى الآن.

والنبي عيسي على فإنَّه طبقًا لعقيدتنا تمَّ رفعه إلى السماء وحتى الآن ما زال حيًا.

والنبي نوح الله الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِي اللهِ مَ اللهِ عَالَى فقط. فيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (١) وهذه مدة دعوته إلى الله تعالى فقط.

كما أنَّ النبي آدم الله كان عمره ٩٣٠ سنة.

ونبي الله هو د 🕮 ۲۷۰ سنة.

بل ولم يقتصر طول العمر على الصالحين فقط، فقد قيل: إنَّ شداد بن عاد عاش ٩٠٠ سنة، وعمر بن عامر عاش ٨٠٠ سنة. (٢)

فإذًا، فضلًا عن الإمكان العقلي والشرعي فإنَّ هناك شواهدَ من الواقع على وقوع طول العمر، ولا يرفض هذا الأمر إلا من يخالف وجدانه.

⁽١) العنكبوت ١٤

⁽٢) راجع التفاصيل: كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، الباب الرابع والخمسون: ذكر المعمرين.

المبحث الرابع:

الانتظار المهدوي

المطلب الأول: فضل الانتظار(١)

من عادة العاقل أنّه لا يخطو خطوة إلّا إذا حسب لها حسابها الخاص، وعرف ما سيجنيه منها، وهذه العادة عمَّت حتّى المقولات الدينية، ولذا نرى أنّ أصحاب كلّ حركة أو مذهب، أوَّل ما يُعلِنون فإنّهم يُعلِنون عمَّا سيجنيه الفرد من فوائد وأرباح من اتّباعه لهم...

وقد جرى الدين الحقّ في ذلك هذا المجرى، وخصَّص جزءاً كبيراً من أدبياته وتربويّاته في آياته ورواياته لبيان الفوائد_الدنيوية والأُخروية المترتّبة على دين الحقّ، وذكر الجنَّة وما فيها من نعم لا تُعَدُّ ولا تُحصىٰ تصبُّ في هذا المعنىٰ..

وعلىٰ نفس هذا السياق، جاءت الروايات الشريفة لتؤكّد فضل الانتظار والمنتظرين، وهي روايات كثيرة جدًّا، ويمكن استخلاص عدَّة عناوين لذلك الفضل:

١ _ إِنَّ الانتظار من أفضل العبادات وأحبَّها إلى الله تعالىٰ:

وعن أمير المؤمنين هي في حديث الأربعمائة: «انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح

⁽١) شذرات مهدوية - الشيخ حسين الأسدى ص ١٣١ - ١٣٤.

⁽۲) کہال الدین: ۲٤٤/ باب ٥٥/ ح ٣.

ومن هنا فقد رتَّبت الروايات الكثير من الآثار العظيمة على عبادة الانتظار، فعن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله ، قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم (٢٠٠٠).

وعن أبي بصير ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين على الله عن أبي بصير ومحمّد بدمه في سبيل الله "(").

وقال أمير المؤمنين (الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله (٤٠٠).

وعن عمرو بن ثابت، قال: قال سيّد العابدين هذا: «من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأُحُد»(٥).

وعن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر الله قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إنَّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم البارئ في فيقول: عبادي وإمائي! آمنتم بسرّي وصدَّقتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثواب مني، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً، منكم أتقبَّل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي»، قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله، فيا أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك

⁽١) الخصال: ٦١٦.

⁽٢) كمال الدين: ٦٤٤/ باب ٥٥/ ح١.

⁽٣) كمال الدين: ١٤٥/ باب ٥٥/ ح٦.

⁽٤) الخصال: ٦٢٥/ حديث الأربعائة.

⁽٥) كمال الدين: ٣٢٣/ باب ٣١/ ح٧.

الزمان؟ قال: «حفظ اللسان، ولزوم البيت»(١).

٢ _ إِنَّ الانتظار هو الأمل الذي تُحيىٰ به النفوس، وهو ما عبَّرت عنه الروايات بأنَّ انتظار الفرج هو الفرج بعينه:

فعن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا قال: «سألته عن شيء من الفرج، فقال: أوليس تعلم أنَّ انتظار الفرج من الفرج؟ إنَّ الله يقول: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ ﴾ (٢) (٣).

وعن الحسن بن الجهم، قال: «سألت أبا الحسن عن شيء من الفرج، فقال: أوَلست تعلم أنَّ انتظار الفرج من الفرج؟، قلت: لا أدري إلَّا أن تُعلِّمني، فقال: نعم، انتظار الفرج من الفرج»(٤).

٣_ إنَّ الانتظار سبب القرب الإلهي:

فعن المفضَّل بن عمر، عن أبي عبد الله في قال: «أقرب ما يكون العباد من الله جلَّ ذكره، وأرضى ما يكون عنهم، إذا افتقدوا حجَّة الله ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنَّه لم تبطل حجَّة الله جلَّ ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقَّعوا الفرج صاحباً ومساءً، فإنَّ أشدَّ ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجَّته ولم يظهر لهم، وقد علم أنَّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنَهم يرتابون ما غيَّب حجَّته عنهم طرفه عين، ولا يكون ذلك إلَّا على رأس شرار الناس»(٥).

⁽۱) كهال الدين: ٣٣٠/ باب ٣٢/ ح ١٥.

⁽٢) الأعراف: ٧١

⁽٣) تفسير العيّاشي ٢: ١٣٨/ ح ٥٠.

⁽٤) الغيبة للطوسى: ٥٩١/ ح ٤٧١.

⁽٥) الكافي ١: ٣٣٣/ باب نادر في حال الغيبة/ ح١.

٤ _ إنَّ الانتظار سبب لتكامل العقول والمعرفة:

فعن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين الله قال: «... ثمّ تمتدُّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله قله والأئمّة بعده. يا أبا خالد، إنَّ أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان، لأنَّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله قله بالسيف، أُولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً... (۱).

٥ _ إِنَّ الانتظار مخرج من المهلكات، وباب رزق _ معنوي ومادّي _ من الله تعالىٰ، وهو موجب لرحمة الله تعالىٰ:

عن عبد الحميد الواسطي، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر الله قال: قلت له: أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر، فقال عند "يا عبد الحميد، أترى من حبس نفسه على الله لله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلى والله ليجعلنَّ الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا»، قال: قلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم؟ قال: «القائل منكم أن لو أدركت قائم آل محمّد نصرته، كان كالمقارع بين يديه بسيفه، لا بل كالشهيد معه»(٢).

المطلب الثاني: الفوائد التربوية للانتظار. (٣)

للانتظار وجهتان: وجهة فردية، وأُخرىٰ اجتماعية.

والانتظار في وجهتيه يُمثِّل حالة من الصراع النفسي، وعملاً باستمرار وجهد

⁽۱) کہال الدین: ۳۲۰/ باب ۳۱/ ح۲.

⁽٢) كمال الدين: ٦٤٤/ باب ٥٥/ ح ٢.

⁽٣) شذرات مهدوية - الشيخ حسين الأسدى - ص ١٣٨ - ١٤٠.

ونصب إلىٰ أن يسيطر المؤمن على شهواته، ويجعل قيادة وجوده بيد عقله الواعي، فإذا عرفنا أنَّ الانتظار هو عبادة من العبادات، بل هو من أفضلها _ كها تقدَّم قبل قليل _ حينئذٍ أمكننا الجزم بفائدة الانتظار على المستوىٰ الفردي، ويمكن تلخيص ذلك بـ:

الله المعظيم، وما يستتبعه من لطف إلهي خفي وظاهر، ومن توفيق للعمل وفق فطرة الدين.

٢ _ والانتظار _ حاله في ذلك حال بقيَّة العبادات _ يصبُّ في عملية بناء الفرد بناءً متكاملاً، وليس الفرد فقط بل والمجتمع، فإنَّ الدين عموماً جاء من أجل هذه الغاية، خصوصاً عندما يُتعرَّف علىٰ المعنىٰ الصحيح للانتظار...

" و الانتظار _ بمعناه الصحيح _ يُمثِّل شعلة أمل تبثُّ إلىٰ النفس قوَّة العمل، ووهج نور ينير الطريق بالاتِّجاه الصحيح، ذلك أنَّ المؤمن المنتظر لا بدَّ وأن يتعايش مع المجتمع المنحرف، ذلك المجتمع الذي يكون المؤمن فيه (كالقابض علىٰ جمرة بيده)، وأنت تعرف حالة القابض علىٰ جمرة! خصوصاً إذا علمنا أنَّه لا يمكنه الاستغناء عن تلك الجمرة، إذ أنَّه لا يري وجوده وكيانه إلَّا بالقبض عليها(۱)!

وإنسان بهذه الصفة يعيش حالة من الاضطراب والألم، وصراعاً نفسياً عظيماً،

بين اتّجاهين في وجوده: اتّجاه يناديه: ألق ما في يدك، وعش بحرّية مع الناس، وفق مبدأ (حشر مع الناس عيد)، واتّجاه يناجيه: اثبت على مبدئك، ولا تخشَ الناس، إنَّ الله معك.

في صراع كهذا، يأتي الانتظار ليلقي بالصبر والأمل في قلب المؤمن، ليجعله ليس فقط يتحمَّل أذى الجمرة، وإنَّما ليجعله يعيش حالة من اللذَّة والفرح بقبضه عليها، ذلك عندما يرى كثرة الساقطين في الطريق، وهو يرى نفسه ثابتاً في خطواته على طريق الحقّ.

إنَّ من الآثار المهمَّة للاعتقاد بوجود الإمام المهدي هو شحن طاقات الأُمَّة وبعث روح الأمل فيها..، ففرق بين من يسير وليس له هدف مرجو ومحدَّد، وبين من يسير ويحدوه الأمل الكبير..، ومن هنا تأكَّد الأمر بانتظار الفرج، وأنَّه أفضل الأعمال، ومن الواضح أنَّ المراد بانتظار الفرج هو تهيئة الأسباب لقدوم من ننتظر فرجه..، وذلك يكون في كلِّ شخص بحسب قدراته العقلية والجسدية.

المطلب الثالث: معنى الانتظار.

نذكر هنا أموراً:

الأمر الأول: ما معنى الانتظار؟ ولماذا كان أفضل الأعمال؟

المراد بانتظار الفرج هو تهيئة الأسباب لقدوم من ننتظر فرجه..، وذلك يكون في كلِّ شخص بحسب قدراته العقلية والجسدية.

والتفصيل أنَّ مفهوم الانتظار مفهومٌ مركب من أربعةِ عناصر ضرورية يجب أنْ

تتوفر كلُّها ليتحقق معنى الانتظار التام:

العنصر الأول: العنصر الاعتقادي.

فالاعتقاد في كلِّ عملٍ هو الأساس فيه، وما من عملٍ لاسيها -إن كان دينيًا- يؤتي أكله ما لم يؤسس على أساس عقائدي، ومن هنا كان الانتظار قائمًا على أساس الإيهان بالله و بصفاته الكهالية والجلالية، وبنبوة النبي الأكرم على أمر به ونهى عنه، والإيهان بأئمة الهدى الله الله والإيهان باليوم الآخر..

فانتظار الإمام المهدي إنّها هو انتظار لأحد الأئمة الله فلا بُدّ من الإيهان به، والرسول الأكرم الإمامتهم، وهم خلفاء الرسول الأعظم أله فلا بُدّ من الإيهان به، والرسول الأكرم النّه هو رسول الله في فلا بُدّ من الإيهان به وبصفاته، وأنّه عادلٌ حكيمٌ ما خلق الخلق في الدنيا لهوًا ولا عبنًا، وإنّها خلقهم ليُعيدهم في يوم يُثيب فيه المطيعين ويعاقب العاصين، وهو يوم المعاد، فلا بُدّ من الإيهان بالعدل والمعاد.

وبذا فقد اختزل الانتظار الإيهان بأصول الدين كافة فضلًا عن معرفتها، وهذا يعني: أنَّ كلَّ شخصٍ ينتظر الإمام المهدي عليه أنْ يبحث عن عقائده الحقّة ويُثبتها بالدليل القطعي، عن سدير، عن أبي عبد الله على، قال: «قال رسول الله على لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه، يأتم به وبأئمَّة الهدى من قبله، ويبرء إلى الله من عدوّهم، أُولئك رفقائي وأكرم أُمَّتي عليًّ»(۱).

العنصر الثاني: العنصر الفقهي.

ويعني الالتزام العملي بالتكاليف الشرعية، أيّ: فعل الواجبات وترك المحرّمات، وهذا هو المُستفاد مما روي عن يهان التهار، قال: كنّا عند أبي عبد الله على جلوساً فقال لنا:

(۱) كمال الدين: ٢٨٦ و٢٨٧/ باب ٢٥/ ح ٣.

«إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسّك فيها بدينه كالخارط للقتاد_ ثمّ قال هكذا بيده __. فأيّكم يُمسِك شوك القتاد بيده؟»، ثمّ أطرق مليًا، ثمّ قال: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتَّق الله عبد وليتمسَّك بدينه»(١).

والتقوى عنوان لأمرٍ مركب من عنصرين، هما: الورع والاجتهاد، أي الورع عن محارم الله والاجتهاد في عبادته، ويشمل اجتناب الظلم والكذب والسرقة وشرب الخمر وكلِّ المحرمات، وأداء الصلاة والصوم والخمس والحج وكلِّ الواجبات.

العنصر الثالث: العنصر السلوكي.

وهو أشمل من العنصر الفقهي، ويتضمن -علاوة على أداء الواجبات والانتهاء عن المحرمات - القيام بالمستحبات وترك المكروهات، لا على المستوى الفردي وحسب، بل وعلى المستوى الاجتماعي أيضًا، فلا بُدَّ من الالتزام بآداب العشرة (حقوق الأهل والجيران والأصدقاء وما يُذكر في كتب الأخلاق).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الله قال ذات يوم: «أَلا أُخبركم بها لا يقبل الله عن العباد عملاً إلَّا به؟»، فقلت: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، والإقرار بها أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا _ يعني الأئمَّة خاصَّة _، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم الله عن ثمّ قال: «إنَّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء»، ثمّ قال: «من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيَّتها العصابة المرحومة»(٢).

⁽١) الكافي ١: ٣٣٥ و ٣٣٦/ باب في الغيبة/ ح ١.

⁽٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٧/ باب ١١/ ح ١٦.

العنصر الرابع: الاستعداد العملي.

وهو مستبطن في العناصر الثلاثة المتقدمة، ولكن لأهميته ولأثره الفعّال في التمهيد المهدوي؛ فقد تم إفراده كعنصر مستقل.

فعن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عند الله الله عند أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عند أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عند الله عند في عمره حتَّىٰ يُدرِكه، فيكون من فإنَّ الله تعالىٰ إذا علم ذلك من نيَّته رجوت لأن ينسئ في عمره حتَّىٰ يُدرِكه، فيكون من أعوانه وأنصاره (۱).

يُنقل أنَّ بعض العلماء كان ينام وسيفه تحت وسادته؛ ليكون متهيئًا لظهور الإمام، وفي هذا المضمار لا يبعد أنْ يكون التدريب على السباحة أو كمال الأجسام بنية التهيئة لظهور الإمام، ولنصرته من مفردات انتظاره.

والخُلاصة: الانتظار هو الإسلام.

الانتظار أفضل الأعمال.

ولا غرو في ذلك؛ لما تقدّم من أنَّ الانتظار الصحيح يتضمن عناصر متعددة هي بمجموعها تمثل الإسلام بجميع مفاصله، من اعتقادٍ صحيحٍ راسخ، وأداء الواجبات بشقيها العبادية والأخلاقية والانتهاء عن المحرمات بجميع أشكالها، بل والتحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسنها من المروءة والكرم وطلاقة الوجه، وطيب الكلام وما شابهها من سلوكيات..

ومنه نعرف أنه وإن كانت الصلاة عمود الدين، ومعراج المؤمن، إنْ قُبِلت قُبِل ما

⁽١) الغيبة للنعماني: ٣٣٥/ باب ٢١/ ح ١٠.

⁽۲) کہال الدین: ۲٤٤/ باب ٥٥/ ح ٣.

سواها، وإنْ رُدَّت رُدَّ ما سواها، إلا أنها على عظم أهميتها، لا تعدو أن تكون مفردةً من عناصر الانتظار الأربعة.

الأمر الثاني: بيان المراد من روايات لزوم البيت.

كيف نوفق بين ما تقدم من: ضرورة التهيئة العملية لظهور الإمام هذه وبين الروايات الآمرة بعدم التحرك وبلزوم البيت، ومنها: «كونوا أحلاس بيوتكم وألبدوا ما ألبدنا»، و«كونوا أحلاس بيوتكم فإنَّ الغبرة على من أثارها»، و«كفُوا ألسنتكم وألزموا بيوتكم»؟

تدلُّ ظواهر هذه الروايات على لزوم الابتعاد عن ساحة الصراع في الحياة، وكأنّها تقول: قِفوا على التل، ولا تذهبوا يمينًا ولا شمالًا، أي كن متفرجًا فقط.

ولكن إذا قسنا هذه الروايات إلى العنصر الرابع من الانتظار -وهو التهيؤ العملي ولو بتحضير سهم للظهور المبارك- نجد أن هناك تنافراً وتعانُداً بين الأمرين، فكيف نوفق بينها؟

والجواب(١):

أُوَّلاً: أَنَّ هذا الكلام دعوة صريحة لإلغاء أهم مبدأ من مبادئ الإسلام، ذلك المبدأ الذي به كانت هذه الأُمَّة خير أُمَّة أُخرجت للناس، وهو المبدأ الذي كان مقدّمة مهمَّة، بل أهم مقدّمات الإيهان، ألا وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالىٰ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمُعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكِرِ وَتُوْمِنُونَ بِاللهُ... ﴿ اللهُ عَنْ هذا الإشكال دعوته إلى ذلك.

وثانياً: إنَّ من الأساليب الملتوية للمغرضين هو أنَّهم يستندون إلى جزء رواية

⁽١) انظر: شذرات مهدوية - الشيخ الحسين الأسدى ص ١٤ - - ١٤٤.

⁽۲) آل عمران: ۱۱۰

ويقطعونه عن بقيَّة الرواية، أو ينظرون إلى الروايات بنظرة تجزيئية لا ربط لها بالروايات الأُخر...

وهذا ما لا يمكن القبول به، فإنَّ الدين كلُّ واحدٌ، يُفسِّر بعضه بعضاً، ويرتبط أوَّله بآخره، ونظرة كهذه من شأنها أن تحلَّ أمثال هذه الإشكالات، وعليه فنقول في الجواب:

إنَّ تتبعاً بسيطاً لأجواء صدور مثل تلك الروايات يكشف عن أنَّ أهل البيت الله المطلق المن الفرص بأتباع أهل أطلقوها في أجواء ومناسبات خاصَّة، كانت فيها السلطات تتحيَّن الفرص بأتباع أهل البيت الله من جانب، وكانت بعض الصيحات اللامسؤولة تتعالى بالثورات والقتال من جانب آخر..

وبين هذين الجانبين، كان أهل البيت الله يلاحظون الظروف الموضوعية لمثل تلك الحركات، وكانوا يعلمون أنّها ستنتهي بالفشل الذريع، وأنّها لا يُجنى منها إلّا القتل والتشريد، لأنّها ستُعطي الظالمين العذر المشروع لتتبّع أنصارها والقضاء عليهم..

وفي ظروف كهذه صدرت بعض الروايات الآمرة بعدم الخروج والانطواء تحت رايات تلك الحركات (۱)، بمعنى أنهم المهلي أمروا أتباعهم بالقعود عن تأجيج الفتن وعن الانغهاس فيها، ولكن في نفس الوقت هناك روايات كثيرة تدعو إلى أنّه متى ما ظهر الإمام المهدي فلا بدّ من الخروج معه ولو حبواً، ويلزم من هذا ضرورة التهيّؤ لخروجه والعمل على توفير الظروف المناسبة للظهور، وهو معنى الانتظار الصحيح كها ستعرف قريباً إن شاء الله تعالى _.

وعلىٰ كلِّ حالٍ، فالروايات تلك بعضها جاء علىٰ نحو القضيَّة الخارجية المحدودة (١) ولا يعني هذا أنَّ تلك الحركات كانت باطلة ومحرَّمة بأجمعها، وإنَّما كانت تنتهي بالفشل رغم حقّانية بعضها، وما كان الشيعة رخيصي الثمن عند أهل البيت السيسال ليسمحوا لهم بالانخراط في معركة خاسرة، فمثل حركة زيد بن علي ;انتهت بالفشل، ولكن الإمام الصادق على عمّه زيد كثيراً، وكان يبكى عليه كلَّما تذكّره.

بحدودها، ومن تلك الروايات ما ورد: عن أبي عبد الله الله قال: «كفّوا ألسنتكم، والزموا بيوتكم، فإنّه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبداً، ويصيب العامّة، ولا تزال الزيدية وقاء لكم أبداً»(١).

فهذه الرواية يظهر منها أنَّها صدرت في زمن تحرَّك الزيدية، والإمام الصادق المر أتباعه بعدم الانخراط في تلك الحركة، لأنَّ تلك الحركة ستلهي السلطات عن متابعة الشيعة، بمعنى أنَّ تلك الحركة ستكون بمثابة الغطاء الذي يُخفي الشيعة (٢).

وبعض تلك الروايات جاءت على نحو القضيَّة الحقيقية التي تنطبق على أيِّ مورد مشابه لمورد الرواية، ومن تلك الروايات التالى:

ا _ عن أبي بكر الحضرمي، قال: دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟ فقال: «اجلسوا في بيوتكم، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدّوا إلينا بالسلاح»(").

وهذه الرواية ظاهرة المعنى في أمر أهل البيت التباعهم بعدم الانخراط في أي حركة ليس لهم فيها دور، فإذا كان لهم الله فيها دور فيجب التحرّك إليها بالسلاح وبسرعة.

٢ _ عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر الباقر الله قال: «اسكنوا ما سكنت السهاوات والأرض، أي لا تخرجوا على أحد فإنَّ أمركم ليس به خفاء، ألا إنَّها آية من

⁽¹⁾ الغيبة للنعماني: 7.7 و7.7/ باب 11/ - 7.

⁽٢) وربَّما يكون هذا من أهداف حركة زيد بن علي، فلعلَّه رأىٰ توجّه السلطات إلى الإمام الصادق الله وأتباعه الذين سيقومون بدور نشر المذهب والتعريف به، فقام بثورته ليُبعد أنظار السلطات عنهم، خصوصاً وإنَّ السلطات كانت ترىٰ القضاء علىٰ المعارضة المسلَّحة أهم من القضاء علىٰ المعارضة الفكرية.

⁽٣) الغيبة للنعماني: ٢٠٣/ باب ١١/ ح٦.

الله الله الله الناس، ألا إنها أضوء من الشمس لا تخفى على برّ ولا فاجر، أتعرفون الصبح؟ فإنها كالصبح ليس به خفاء (١٠).

وكم هي واضحة هذه الرواية في اتّباع الحقّ إذا ظهر، والابتعاد عن الشبهات، لأنَّها ربَّها تُهلِك المؤمن من حيث لا يشعر.

وخلاصة القول في الجواب هو أنَّ أهل البيت علال دعوا إلى:

أ) عدم الانخراط في الحركات المنحرفة.

ب) الصبر إلى حين تحرّكهم علا السبر

ج) الإسراع بالالتحاق بحركة يقومون بها هم الله الم

ووفق هذه المعاني يكون تأويل الروايات الواردة بلزوم البيت وحفظ اللسان وما شابه.

ولذلك، فإنَّ أَيَّة حركة تقوم، ويكون منهجها منهج أهل البيت الله فإنَّه يمكن للمنتظر أن ينخرط فيها، ويكون من دعاتها، لأنَّها حركة تُمثِّل أهل البيت الله وفي المقابل فإنَّ أيَّة حركة لا تكون في طول خطّ أهل البيت الله ولا تقوم وفق منهجهم صلوات الله عليهم تكون مشمولة للنهى الوارد في تلك الروايات.

ولذلك نجد علماءنا أفتوا بالجهاد وبالقيام إذا اقتضت الظروف الموضوعية ذلك، كما حصل في ثورة العشرين وفتوى الشيخ محمّد تقي الشيرازي (رضوان الله عليه) بالجهاد، وكما عشناه من فتوى السيّد علي السيستاني (دام ظلّه) بالجهاد ضدّ أعداء أهل البيت الله في العراق.

_

⁽١) الغيبة للنعماني: ٢٠٧ و٢٠٨/ باب ١١/ ح ١٧.

الأمر الثالث: مفاهيم مغلوطة للانتظار.

تقدُّم أنَّ الانتظار يتضمن عناصر تجعل منه مبدأً فعالًا حركيًا مؤثرًا منتجًا.

بيدَ أَنَّ البعض انقلب على ما تسالم عليه العلماء وعموم الشيعة، بل وانقلب على ما نصت عليه الروايات بشكلٍ واضحٍ وصريح، فنظّر لنظرياتٍ مغلوطة عن الانتظار أفرزت حركات منحرفة ودعاوى مُضِلة، أطلق عليها بعض الباحثين مصطلح (الانتظار السلبي).

بدايةً نتساءل: هل هناك انتظار سلبي وانتظار إيجابي؟

في الحقيقة أن الانتظار هو ما تقدم معناه، وهو بذاك المعنى انتظار إيجابي حركي تفاعلي، وأما ما يُسمى بالانتظار السلبي، فإنه من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فهو ليس انتظاراً أصلاً، إلا أن بعض الباحثين جرى على هذا الاصطلاح لبيان المفاهيم المغلوطة للانتظار؛ والتي تخلو من مقوماته، فلا تكون انتظارًا.

ولتقريب المعنى نقول: لو كان للنبي عيسى أبّ، لأمكن حينئذ السؤال عن خصائصه من عمر وعمل وغيرها، وأما لو لم يكن له أبّ، لما صحّ السؤال من رأس، لعدم وجود موضوع نحمل عليه الجواب. وهذا معنى سالبة بانتفاء الموضوع، فلا يمكن تثبيت حكمٍ لما هو بالأساس غير ثابتٍ أو موجود، وكما يُقال (العرش ثم النقش) أي ثبت الموضوع ثم الصفات.

إذاً ليس هناك سوى انتظار بمعنى العمل والتمهيد، وأما (الانتظار السلبي) فهو ما اصطلحه بعض الباحثين قاصدًا به بيان بعض المفاهيم المغلوطة من الانتظار.

ومن تلك المفاهيم المغلوطة للانتظار:

الانتظار المهدوي الانتظار المهدوي

الأول: الانتظار يعنى السكون.

حاول البعض تصوير أنَّ الانتظار يستلزم السكون والهدوء وكف الألسن، وعدم تقديم قدم ولا تأخير أخرى، وكأنّ المنتظر جالسٌ بانتظار دوره عند الطبيب، يلتزم الهدوء ويترقب دوره دون أنْ ينبس ببنت شفة أو يقوم بأيّ عمل. ولسان حاله يقول:

هي النفسُ نفسي يذهبُ الكلُّ عندها إذا سلُمت، فليذهبْ الكونُ عاطبًا فإذا حان الظهور المقدس فإنَّه سوف يتنعم بدولة العدل الإلهي.

ويظهر أن هذه النظرية استند أصحابها إلى نصوص مقتطعة من الروايات يظهر منها الأمر بلزوم السكون وعدم التحرك، والتي تقدّمت مناقشتها.

الثاني: الانتظار بنشر الفساد لأجل تعجيل الفرج.

لم تتوقف هذه النظرية -أو على الأصح: الحركة- عند المستوى النظري، بل أفرزت حركات أخذت على عاتقها الترويج إلى مثل هذه الأفكار، وحجتهم في ذلك:

أن الروايات صرّحت بأن الإمام المهدي الله لا يظهر إلا إذا امتلأت الأرض ظلمًا وجورًا، وهذه المقدمة الأولى وهي صحيحة وقد استندت إلى الروايات التي تصرِّح بهذه الحقيقة: (...يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ما ملأت ظلمًا وجورًا).

وحيث إننا مطالبون للعمل بتعجيل الفرج والظهور... وهذه صحيحة أيضًا.

فالنتيجة: إذا أردنا أنْ نعجل الظهور، فعلينا أنْ نحقق سببه، وهو: أنْ تمتلاً الأرض ظلمًا وجورًا، فعلينا أنْ ننشر الظلم والفساد والانحراف، ونهارسه أيضًا؛ فالمرأةُ تلقي حجابها وتترك العفة، والرجل يرتكب المحرمات، وسيكونا في عبادةٍ، حيث إنَّه يقومان بخطوةٍ في تعجيل الظهور!

والجواب(١):

في البداية لا بدَّ أن نضع نُصب أعيننا أنَّ أيَّ مقولة إذا أردنا أن نعرف صحَّتها من سقمها، فعلينا أن نزنها بميزان القرآن الكريم وسُنَّة النبيِّ الأكرم وأهل البيت الطاهرين الله إذ هما المرجع في مثل هذه الأُمور.

ووفق هذا المقياس الواضح، نجد التالي:

أُوَّلاً: أَنَّ القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢)

ثانياً: أنَّ الإمام الصادق ﴿ في ضمن كلام له عن زمن الغيبة الكبرى يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتَّق الله عبد وليتمسَّك بدينه» (٣).

ثالثاً: من الواضح جدّاً أنَّه «لا يُطاع الله من حيث يُعصى»، إذ العقل يحكم بأنَّ طاعة المولى تكون كما يُحِبُّ هو، لا كما يحلو للعبد ولو كان الفعل مبغوضاً للمولى.

ومن هنا ورد عن الإمام الصادق أنّه قال في رواية: «... قال الله تبارك وتعالى للملائكة: اسجدوا لآدم، فسجدوا له، فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد، فأبى أن يسجد، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْ تُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ ﴾ قال الصادق في: «فأوّل من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أوّل معصية عُصِيَ الله بها»، قال: «فقال إبليس: يا ربّ، اعفني من السجود لآدم، وأنا أعبدك عبادةً لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبيُّ مرسل، فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنّها أريد أن أُعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن

⁽١) على ضفاف الانتظار - الشيخ حسين الأسدى ص ١٠٤ و ١٠٥.

⁽٢) المائدة: ٢٧

⁽٣) كمال الدين للصدوق: ٣٤٣/ باب ٣٣/ ح ٢٥.

⁽٤) الأعراف: ١٢

يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْم الدِّينِ﴾(١)»(٢).

ووفق هذه المعطيات، ينكشف بسهولة زيغ وزيف تلك المقولة، وأنَّ هناك أيدِ خفيَّة تعمل من وراء الكواليس هدفها تمييع القضيَّة المهدوية وتحويلها إلىٰ سبب للفساد والدمار الشامل.

فعلىٰ المؤمن أن ينتبه لخدع أبالسة الجنِّ والإنس، ولا يُدخِل يده في جُحر أفعيٰ، فإنَّ اللدغة ممنة.

⁽١) الحجر: ٣٤ و٣٥

⁽٢) تفسير القمّى ١: ١١ و ٤٦.

المبحث الخامس:

الغيبة المهدوية

بعد أن أثبت الشيخ الله ولادة الإمام المهدي الله عرابة في مسألة طول عمره الشريف، تعرَّض إلى مفهوم الانتظار وما يتعلق به من تفريعات تشبع الأساسيات في هذا المطلب.

ولفهم موضوع الغيبة لابُدَّ من التعرَّف على معناها، وعللها، والفوائد المترتبة على كل منها ومن الإمام الغائب. وهذا ما سنتناوله، مفردين لكل جانب منها مطلبًا خاصًا، مقدمين مطلب العلل على معنى الغيبة؛ لترتب توضيح معنى الغيبة وترجيح أحد معنييه على بعض ما نورده في مطلب العلل.

المطلب الأول: علل الغيبة والحكمة منها. (١)

وقد تقدَّم في بحث (عقيدتنا في الأحكام الشرعية) أنَّ العلل الواقعية للأحكام - مِلاكات الأحكام - ليست مُتاحةً لنا، وبالتالي فنحن لسنا مكلّفين بمعرفتها وإنْ كُنا مكلّفين بالامتثال للأحكام.

بيدَ أَنَّ القول بمجهولية علل وملاكات أمرٍ ما، لا يعني خلوه من المصالح والحِكَم، (١) يُنظر: شذرات مهدوية - الشيخ حسين الأسدي - ص ١٠٦ - ١٠٩. وهو ما نريد التأكيد عليه في مسألة معرفة العلة الحقيقية لغيبة الإمام المهدي الله ما أثبتته بعض الروايات الشريفة، منها ما روي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفرًا بن محمد الله يقول: "إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبةً لابد منها يرتاب فيهل كلُّ مُبطل، فقلت: ولم جُعِلتُ فداك؟ فقال الإمام : لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم. قلتُ: فها وجه الحكمة في غيبته؟ فقال الإمام : وجهُ الحكمة في غيبته وجهُ الحكمة في غيبته ينكشفُ إلا بعد ظهوره كها لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من من خرق السفينة، ينكشفُ إلا بعد ظهوره كها لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من من خرق السفينة، وقتلِ الغلام، وإقامة الجدار لموسى إلا وقت افتراقهها. إنَّ هذا الأمرَ أمرٌ من أمرِ الله وسي وسرٌ من سرِ الله وغيبٌ من غيبِ الله، ومتى علمنا أنَّه عكمة وإنْ كان وجهها غير منكشف». (١)

فالعلة أو المِلاك في أمرِ الغيبة منكشفٌ بالنسبةِ للإمام الله لكن لم يؤذن له في كشفه لنا.

ونفس الكلام يُقال في علمه على بساعة الظهور المبارك (ساعةُ الصفر بالتعبير الحديث) وهو التوقيت الذي نُهينا عنه؛ لأنَّ عدم علم المعصوم بذلك خلاف العصمة وما تقتضيه من العلم اللدني.

ثم إنَّ إسدال ستار الغيب على بعض الأمور الغيبية أمام سائر الناس إنّم لعلةٍ ما هي منتفيةٌ تمامًا في المعصومين الله ولذا فلا مانع من رفع هذا الستار أمامهم، كعلمهم بزمان ومكان وكيفية موتهم دون سائر البشر.

وعليه فلا مشكلة من معرفة الإمام المام الصفر أي ساعة الظهور، وبملاكات الأمور والأحكام، ومنها الغيبة، وإنْ لم يؤذن له أنْ يكشف لنا ذلك.

⁽١) كمال الدين ص ٤٨١، ٤٨٢ باب٥٤ ح١١.

الغَيبة المهدوية المغيبة المهدوية المهدولة المهدوية المهدوية المهدولة المهد

وعلى كل حال، فإن من الحكم التي ذكرتها الروايات من غيبته راحكم التي ذكرتها الروايات من غيبته الله على

أ) الخوف من القتل:

عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر على يقول: «إنَّ للغلام غيبة قبل أن يقوم، وهو المطلوب تراثه»، قلت: ولِمَ ذلك؟ قال: «يخاف_وأوماً بيده إلى بطنه، يعني القتل_»(١).

ذلك الخوف الذي فُسِّر بأنَّه على نفسه من أعدائه، والخوف على النفس ليس معناه الجبن، بل هو الخوف على دين الله وشريعة جدّه سيّد المرسلين ٩.

ب) التمييز والتمحيص:

وفي حديث أمير المؤمنين السابق: «وليبعثنَّ الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبنَّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة حتَّىٰ يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد من حاجة»(٣).

ج) حتَّى لا يبايع ظالماً:

ورد في جواب الإمام المهدي الله لل السحاق بن يعقوب: «وأمَّا علَّة ما وقع من الغيبة فإنَّ الله الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (١)، الغيبة فإنَّ الله على يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (١)، إنَّه لم يكن أحد من آبائي الله إلَّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج

⁽١) الغيبة للنعماني: ١٨٢ و١٨٣/ باب ١٠/ فصل ٤/ ح ٢٠.

⁽٢) الغيبة للنعماني: ٢١٢/ باب ١٢/ ح ٦.

⁽٣) الغيبة للنعماني: ١٤٣/ باب ١٠/ ح ١.

⁽٤) المائدة: ١٠١

حين أخرِج وV بيعة V عنقى...V

وطبعاً هذا يعتبر واحداً من خصائصه التي تميَّز بها عن آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم.

د) السنن التاريخية:

عن سدير، عن أبي عبد الله عن أبي عبد الله عن قال: «إنَّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها»، فقلت له: يا ابن رسول الله، ولِمَ ذلك؟ قال: «لأنَّ الله الله أبي إلَّا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليه في غيباتهم، وإنَّه لا بدَّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم»، قال الله تعالى: ﴿لَرَّ كُبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقاً عَنْ طَبَقاً مَنْ طَبَقاً عَنْ طَبَقاً مَنْ مَن كان قبلكم»(٣).

ه) أن لا تضيع ودائع الله ﴿ :

و) قبائح أعمال العباد، وفضائح أفعالهم، ممَّا يُسبِّب قلَّة العدد المطلوب من

⁽١) كمال الدين: ٤٨٥/ باب ٥٤/ ح٤.

⁽٢) الانشقاق: ١٩

⁽٣) كيال الدين: ٤٨٠ و ٤٨١/ باب ٤٤/ ح ٦.

⁽٤) الفتح: ٢٥

⁽٥) كمال الدين: ٦٤١/ باب ٥٤.

الغَيبة المهدوية المه

الأنصار:

فَإِنَّهَا المَانِعَةُ عَنْ ظَهُورِهِ عَقُوبَةً عَلَيْنَا كَمَا وَرَدْ عَنْ أُمِيرِ المؤمنينَ اللهُ قال: «واعلموا أنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة لله الله الله سيُعمي خلقه عنها، بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم...» الخبر(۱).

وفي توقيع الحجَّة إلى الشيخ المفيد: «ولو أنَّ أشياعنا وفَّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخَّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجَّلت لهم السعادة بمشاهدتنا، على حقِّ المعرفة، وصدقها منهم بنا، فما يُحبِسنا عنهم إلَّا ما يتَصل بنا ممَّا نكرهه، ولا نُوثِره منهم، والله المستعان...»(٢).

ولربها لا ينحصر الارتباط بين غيبة الإمام وقبائح الأعمال في العقوبة وحسب، إذ من البديهي أنْ يؤدي ارتكاب المعاصي لا سيها كثرته إلى قلة العدد المطلوب من الأنصار كشرطٍ للظهور.

وسواء كان الأمر عقابًا أو تأخرًا في تحقق الشرط (العدد المطلوب من الأنصار) فيتأخر المشروط (وهو الظهور)، فإن على كلِّ منا أنْ يدرك أنّه قد ساهم في تأخير الظهور في حال ارتكابه للذنوب، وإنْ لم تكن مساهمته على نحو العلة التامة فهي من قبيل الجزء من العلة بلا شك. ومن ثم فإنَّ كلًا منّا بكلِّ فعلٍ من أفعاله لا يخلو إما أنْ يعجل أو يؤخر بالظهور ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾.

ز) إظهار عجز من يسعى للإصلاح الكامل من غير أهل البيت الشاهل وإن كان محقاً:

عن أبي صادق، عن أبي جعفر على قال: «دولتنا آخر الدول، ولن يبقَ أهل بيت لهم

⁽۱) الغيبة للنعماني: ١٤٤/ باب ١٠/ ح ٢.

⁽٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٥.

المطلب الثاني: معنى الغيبة. (٣)

اقتضت الحكمة الإلهية حفظ الإمام المهدي من كيد الأعداء إلى اليوم الموعود للظهور المبارك، وتلك الحكمة استوجبت اتخاذ طريقة عملية مزدوجة، يتم فيها حفظ الإمام من جانب، وضهان اطّلاعه على الأوضاع الجارية ومتابعتها ومعايشتها عن كثب من جانب آخر...

تلك الطريقة كانت هي الغيبة..

ولكن ما هو معناها؟

هل معناها هو أنَّ الإمام على وبمعجزة إلهية اختفىٰ عن الأنظار، بحيث فقد جسمه أيّ لون أو أصبح مثالياً أو شفّافاً أو شيئاً من هذا القبيل؟

أو أنَّ معناها هو أنَّه الله لا زال يراه الناس، ولكنَّهم لا يعرفون انطباق عنوان المهدي عليه، وإنَّما قد يرونه لكن بشخصية شاب وقور عليه سياء الصالحين؟

الصحيح هو الثاني، ويمكن الاستدلال عليه:

ا _عرفنا فيها سبق أنَّ واحداً من أسباب الغيبة هو حفظ الإمام هم أعدائه، إذ هم يحاولون القضاء عليه، لأنَّ وجوده يقلق مضاجعهم. وهذه الغاية من الغيبة يكفي فيها أن لا يعرفوه بشخصه وإن رأوه، ولا داعي للانتقال إلى إخفائه، لأنَّ هذه الطريقة تعني جريان المعجزة، وقد قيل بأنَّ المعجزة إنَّها تجري عادَّة فيها لو توقَّف إثبات الحقّ

⁽١) الأعراف: ١٢٨.

⁽٢) الغيبة للطوسي: ٤٧٢ و٤٧٣/ ح ٤٩٣.

⁽٣) انظر: شذرات مهدوية - الشيخ حسين الأسدى ص ١١٠ - ١١٣.

الغَيبة المهدوية

عليها، أمَّا إذا كان لإثباته طريقة أُخرى من دون جريان المعجزة فلا تجري، وفي المقام حيث أمكن حفظ الإمام على بإخفاء هويَّته وشخصيته، فلا موجب لاتِّخاذ الطريقة الأُخرىٰ.

Y_وقد كان من أسباب الغيبة أيضاً هو جريان السنن التاريخية في الأنبياء السابقين عليه هن، وقد كانت غيبتهم بابتعادهم عن الناس من دون اختفاء الجسد، بل ما زالوا يمكن رؤيتهم بالعين المجرَّدة. وبمقتضى وحدة تلك السنن الجارية، يثبت أنَّ غيبة الإمام هي بنفس النحو..

عن سدير الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عول: "إنَّ في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف"، فقلت: فكأنَّك ثُخِرنا بغيبة أو حيرة؟! فقال: "ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك؟ إنَّ إخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلَّموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه وكانوا إخوته وهو أخوهم أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلَّموه وخاطبوه وتاجروه في فعرفوه حينئذ، فها تنكر هذه الأُمَّة لم يعرفوه حتَّىٰ عرَّفهم نفسه، وقال لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذ، فها تنكر هذه الأُمَّة المتحيّرة أن يكون الله يويد في وقت من الأوقات أن يستر حجَّته عنهم، لقد كان يوسف النبيّ ملك مصر، وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثهانية عشر يوماً، فلو أراد أن يُعلِمه بمكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر، فها تنكر هذه الأُمَّة أن يكون الله يفعل بحجَّته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبهم المظلوم المجحود حقَّه صاحب هذا الأمر يتردَّد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه حتَّىٰ يأذن الله له أن يُعرِّفهم نفسه كها أذن ليوسف حين قال ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه حتَّىٰ يأذن الله له أن يُعرِّفهم نفسه كها أذن ليوسف حين قال الموتهد، ﴿قالُوا أَإِنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ قالَ أَنا يُوسُفُ ﴾ (١٠) (١٠).

⁽۱) يوسف: ۹۰

⁽٢) الغيبة للنعماني: ١٦٦ و١٦٧/ باب ١٠/ فصل ٣/ ح ٤.

٣ _ الروايات التي تُصرِّح بإمكان رؤيته الكن من دون معرفته بشخصيته الواقعية..

عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمّد بن عثمان العمري الله بن جعفر الحميري، عن محمّد بن عثمان العمري الناس ويعرفهم ويرونه ولا (والله إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه).

وعنه، قال: سألت محمّد بن عثمان العمري الله فقلت له: أرأيت صاحب هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني»(۲).

وفي رواية: رأيته صلوات الله عليه متعلَّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم لي من أعدائي»(٣).

إشارة:

نحن وإن انتهينا إلى أنَّ معنى الغيبة هو ما تقدَّم، لكن هذا لا يمنع من أن يتَّخذ الإمام المهدي الله طريقة اختفاء الجسد (الشخص)، بمعنى أنَّ قدرته على ذلك ما زالت موجودة، والإمام الله يمكنه أن يستعمل هذه الطريقة متى شاء أو اضطرَّته الظروف الموضوعية إلى ذلك.

وبهذا يتَّضح المغزي من بعض الروايات الشريفة التي صرَّحت باختفاء شخص الإمام صلوات الله عليه، ومنها التالي:

الرواية الأُولى: عن عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله على يقول: «يفقد

⁽۱) کیال الدین: ۲٤٠٠ بات ۲۳ ح ۸.

⁽٢) كمال الدين: ٤٤٠/ باب ٤٣/ ح ٩.

⁽٣) كمال الدين: ٤٤٠/ باب ٤٣/ ح ١٠.

الغَيبة المهدوية المعدوية المع

الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه»(١).

الرواية الثانية: ما ورد عن يعقوب بن منقوش، قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي الله وهو جالس على دكّان في الدار، وعن يمينه بيت وعليه ستر مسبل، فقلت له: [يا] سيّدي، من صاحب هذا الأمر؟ فقال: «ارفع الستر»، فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشر أو ثهان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، درّي المقلتين، شثن الكفّين (۱)، معطوف الركبتين (۱)، في خدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبي محمّد ، ثمّ قال لي: «هذا صاحبكم»، ثمّ وثب فقال له: «يا بنيّ، أُدخل إلى الوقت المعلوم»، فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثمّ قال لي: «يا يعقوب، أُنظر من في البيت؟»، فدخل في رأيت أحداً (١).

المطلب الثالث: فائدة الغائب والغيبة. (°)

من الأسئلة التي ترد كثيراً حول القضيَّة المهدوية سؤالان:

السؤال الأوَّل: ما الفائدة في إمام غائب عن قواعده وعن مباشرة ما أُوكل إليه من مهام؟

السؤال الثاني: وأصلاً، ما الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة؟

أمَّا جواب السؤال الأوَّل فهو:

إنَّ هذا السؤال يستبطن اعترافاً بوجود الإمام على، حتَّىٰ لو كان هذا الاعتراف

⁽١) الكافي ١: ٣٣٧ و ٣٣٨/ باب في الغيبة/ ح ٦.

⁽٢) أي خشن الكفّين.

⁽٣) أي منحني الكتفين.

⁽٤) كمال الدين: ٢٠٧/ باب ٣٨/ ح ٢.

⁽٥) انظر: شذرات مهدوية - الشيخ حسين الأسدى ص ١١٣ - ١١٧.

تنزّلياً، ومع تسليم وجود الإمام على فالفوائد المترتّبة عليه _ حتّى وهو غائب _ كثيرة، منها:

أوَّلاً: إنَّ الشعور بوجود إمام مفترض الطاعة، مطَّلع على الأعمال، وعلى ما يجري على أتباعه، يتألمَّ لألمهم ويفرح لفرحهم، يُولِّد إحساساً بالطمأنينة، ودافعاً لتحمّل المصاعب ما دامت بعين الإمام، وبصيص أمل للمستضعفين، بأنَّ ما يمرُّ عليهم من مصاعب مها طال زمنها فإنَّما لا محالة منتهية وزائلة، وأنَّ العاقبة لهم، وأنَّ عاقبة أمرهم هي الراحة والسرور والطمأنينة، إنْ في الدنيا لو أدركوا زمن ظهور إمامهم، وإنْ في الآخرة بالنعيم الأبدي.

ثانياً: إنَّ من أدوار الإمام _ أيّ إمام _ هو دور الرعاية الأبوية لأتباعه وشيعته، وهذا الدور يمكن تأديته _ وعلى وجه حسن _ حتَّىٰ لو كان الراعي غائباً عن الأنظار.. ومعه نقول: إنَّ الإمام المهدي الله دور رعاية أتباعه وهو غائب عنهم ما دام لم يؤذن له بعد بالظهور..

في مكاتبة الإمام المهدي الله للشيخ المفيد؛ يقول الله الماعاتكم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء... (().

ثالثاً: إنَّ للإمام _ أيّ إمام _ ثلاثة أدوار _ غير دور الرعاية الأبوية _:

الدور الأوَّل: دور المبيِّن للأحكام الشرعية، وهذا الدور يرتكز على العلم والورع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾. (٢)

عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبي الصباح، عن أبي عبد الله على، قال: «إنَّ الله

⁽١) الاحتجاج ٢: ٣٢٣.

⁽٢) آل عمران: ١٦٤.

الغَيبة المهدوية المه

تبارك وتعالى لم يدع الأرض إلَّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردَّهم وإذا نقصوا شيئاً أكمله لهم، ولولا ذلك لالتبست على المؤمنين أُمورهم»(١).

وعن عبد الأعلىٰ بن أعين، عن أبي جعفر هذا قال: سمعته يقول: «ما ترك الله الأرض بغير عالم يُنقِص ما زادوا ويزيد ما نقصوا، ولولا ذلك لاختلطت على الناس أُمورهم»(٣).

الدور الثاني: دور الحاكم الأعلىٰ للدولة، وهذا الدور مرتكز على العلم والأمانة، قال تعالىٰ حكاية عن النبيّ يوسف (قال اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللّ

الدور الثالث: دور الحجَّة، والواسطة بين الله تعالى وبين جميع عالم الإمكان... الحجَّة الذي يجب أن يوجد على الأرض حتَّىٰ لو لم يبقَ على الأرض إلَّا شخصان لكان أحدهما الحجَّة... الحجَّة الذي هو أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء... الحجَّة الذي لو رُفِعَ من الأرض طرفة عين لساخت الأرض ومن فيها..

عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن أبي جعفر هذه قال: سمعته يقول: «لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها، ولعذّبهم الله بأشدّ عذابه، إنَّ الله تبارك وتعالى جعلنا حجَّةً في أرضه، وأماناً في الأرض لأهل الأرض، لم يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم، فإذا أراد الله أن يُهلِكهم ثمّ لا يمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا

⁽۱) کہال الدین: ۲۰۳/ باب ۲۱/ ح ۱۱.

⁽٢) كمال الدين: ٢٠٣ و٢٠٤/ باب ٢١/ ح ١٢.

⁽٣) كمال الدين: ٢٠٤ و ٢٠٥/ باب ٢١/ ح ١٦.

⁽٤) يوسف: ٥٥

من بينهم ورفعنا إليه، ثمّ يفعل الله ما شاء وأحبّ $^{(1)}$.

هذه هي الأدوار الثلاثة للحجَّة على الأرض..

ولكن هل يجب أن يُفعِّل الحجَّة هذه الأدوار الثلاثة كلَّها بنفسه أم يمكن أن يوكلها إلى غيره؟ وهل يمكن لأحدٍ أن يسلبها منه بطريقة أو بأُخرى أو لا يمكن ذلك؟

في هذا تفصيل:

أمَّا الدور الأوَّل (دور العلم)، فلا يمكن لأحدٍ أن يسلبه منه، وهل يمكن لأحدٍ أن يسلب علم غيره!؟

نعم، لظروف موضوعية تحيط بالحجَّة لعلَّه لا يُظهِر علمه، ولكن هذا لا يمنعه من إيكال هذه المهمَّة إلىٰ غيره مُّن أخذوا العلم عنه وحفظوه ووعوه...، ولذا فالإمام المهدي وإن ابتعد عن مباشرة دور التعليم، ولكنَّه أوكل هذه المهمَّة للفقهاء الذي يستقون علمهم من مناهل أهل البيت الملكي ويُعلِّمونه للشيعة..

وأمَّا الدور الثاني (دور الحاكم الأعلىٰ للبلاد)، فليس هو دوراً أساسياً للحجَّة، وإنَّا هو دور كهالي أو تكميلي، فها دام هو العالم بأحكام الله تعالىٰ والمبيِّن لها، فمن المناسب أن يكون هو الحاكم السياسي الأعلىٰ للدولة، ومعه فلو أخذ ظالم هذا المركز فهذا لا يُؤثِّر في مقام الحجّية شيئاً، بل تجد الظالمين رغم أخذهم الحقّ من أصحابه الشرعيين يعرفون في دخائل أنفسهم ويعترفون بأنَّ الحقَّ للحجَّة لا لهم.

فتلخَّص: أنَّ الدورين الأوَّل والثاني بحاجة إلىٰ ظروف موضوعية مناسبة حتَّىٰ يقوم الإمام والحجَّة نفسه بأدائها.

وأمًّا الدور الثالث (دور الحجَّة)، فهذا الدور ذاتي للإمام، ولا يمكن لأحدٍ أن

⁽۱) كمال الدين: ۲۰٤/ باب ۲۱/ ح ١٤.

الغَيبة المهدوية

يسلبه إيّاه أو يمنعه من أدائه كما هو واضح، ويمكن للإمام أن يؤدّيه سواء كان ظاهراً أو مغموراً، وهو ما عبَّر عنه أمير المؤمنين على بقوله: «اللهُمَّ بَلَىٰ، لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ الله وَبَيِّنَاتُه»(١).

وهنا تظهر واحدة من فوائد وجود الإمام المهدي في زمن الغيبة _ وإن كان غائباً _، فهو الحجَّة على الأرض الذي به نُرزَق، وهو الأمان على الأرض، وهو الذي لو لاه لساخت الأرض وما فيها في طرفة عين..

الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة.

وأمَّا جواب السؤال الثاني: أصلاً، ما الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة؟ فتكمن الفائدة من أُسلوب الغيبة الطويلة في عدَّة أُمور أيضاً، هذه بعضها باختصار:

ا _ إنَّ الغيبة أفضل أُسلوب للتمحيص ولفرز المخلصين عن غيرهم، خصوصاً إذا طالت مدَّة الاختبار، وهي سُنَّة إلهية تاريخية للتمحيص، كما في قضيَّة النبيِّ نوح ...

٢ _ إنَّ الغيبة فرصة سانحة ومهمَّة للتوبة والإنابة قبل الظهور وعدم التوفيق للتوبة، في مكاتبة الإمام المهدي كل للشيخ المفيد: «فليعمل كل امرء منكم بها يقرب به من محبّتنا، ويتجنَّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإنَّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم علىٰ حوبة. والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته»(٢).

٣_ إنَّ فترة الغيبة أفضل فترة يمكن للمؤمن أن يُهيِّئ نفسه فيها للظهور المبارك ونصرة المهدي هذا... وهو الذي عبَّرت عنه الروايات الشريفة بلزوم الانتظار.

٤ _ إِنَّ من أهم عناصر انتصار ثورة الإمام المهدي على أعدائه المتهيّئين له

⁽١) نهج البلاغة: ٤٩٧/ ح ١٤٧.

⁽٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٣ و٣٢٤.

علىٰ الدوام هو عنصر المباغتة، وحتَّىٰ يكون عنصر المباغتة تامَّاً لا بدَّ من تكتيك منظَّم يُنسي الظالمين لحظة الظهور، وليس هو أفضل من تكتيك الغيبة الطويلة.

المبحث السادس:

كيف لنا أن نُميّز المهدي الحقّ (١١)

مع غيبة الإمام هذه ، وعدم رؤيتنا له مباشرة ، وعدم وجود صورة شخصية له ، ومع كثرة المدّعين للمهدوية زمن الغيبة الكبرى ، ما هي الطريقة التي يُمكِننا من خلالها معرفة المهدي الحقّ من مدّعيها زوراً ؟

الجواب: هناك نحوان من الطرق(٢):

النحو الأوَّل: طرق تشخيصية:

بمعنى أنَّ من خلالها يمكن تشخيص المهدي الله وعدم اشتباهه بغيره أبداً، ونذكر طريقين في هذا المجال:

الأوَّل: سؤاله عمَّا يعجز غيره عن الإجابة عنه: كسؤاله عن معضلة تاريخية أو مسألة علمية عجز عنها أهل الاختصاص كلّهم، وما شابه ممَّا يعجز عنه الناس كلّهم، ولا يستطيع أن يجيب عنها إلَّا الإمام المفترض الطاعة من الله ، وعلى غرار قول أمير المؤمنين : «سلوني قبل أن تفقدوني» (٣).

عن المفضَّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عنه يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر

⁽١) انظر: شذرات مهدوية: الشذرة رقم (١٩)

⁽٢) يضاف إلى هذين النحوين ما تقدَّم من صفاته الخاصَّة به (في الشذرة الثانية)، وبعض مواريث الأنبياء التي تحمل صفة إعجازية (كما في الشذرة السادسة)، وكذلك بعض مختصَّاته كخروجه شابًا لا يتغيَّر بتطاول السنين.

⁽٣) نهج البلاغة ٢: ١٣٠/ ح ١٨٩.

غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأُخرى يقال: هلك، في أيِّ وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادَّعىٰ مدعٍ فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله»(١).

الثاني: سؤاله المعجزة: فإنَّ الله تعالىٰ يؤيِّد رسله وحججه بالمعجزات الخارقة للعادة، والتي لا يستطيع أيّ إنسان عادي أن يأتي بها، والإمام يمكنه القيام بذلك فيما إذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك، فإنَّ الإمام المهدي عنده القدرة علىٰ ذلك بلا شك، وأوضح ما ورد في ذلك ما جاء في إقامة الإمام المهدي المعجزة الواضحة للحسني عندما يطالبه بها لإثبات أنَّه الحقّ (٢).

النحو الثاني، طرق تقريبية،

بمعنىٰ أنَّها لا تُشخِّص المهدي بالضبط، وإنَّها تفيد في تقريب الصورة، ممَّا يساعد علىٰ التهيّؤ النفسي لظهور الإمام، ونذكر هنا طريقين أيضاً:

الأوَّل: زيادة المعرفة المهدوية زمن الغيبة الكبرى، فإنَّ لها أثراً مهيًا في التعرّف على الواقع المعاش وعلى قرب الظهور وعلى تمييز الحقّ من الباطل، كما ورد ذلك عن أهل البيت المين في عدَّة روايات:

في كتاب الغيبة للنعماني (٣) وردت الروايات التالية:

ا _ عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله على يقول: «ينادي منادٍ من السياء: إنَّ فلاناً هو الأمير، وينادي منادٍ: إنَّ عليًا وشيعته هم الفائزون»، قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: «إنَّ الشيطان ينادي: إنَّ فلاناً وشيعته هم الفائزون

⁽۱) الغيبة للنعماني: ۱۷۸/ باب ۱۰/ فصل ٤/ ح ٩.

⁽٢) راجع: الهداية الكبرى: ٤٠٤.

⁽٣) الغيبة للنعماني: ٢٧٢ - ٢٧٤/ باب ١٤/ ح ٢٨ و ٣١ و ٣٦.

لرجل من بني أُميَّة»، قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟ قال: «يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا، ويقولون: إنَّه يكون، قبل أن يكون، ويعلمون أنَّهم هم المحقّون الصادقون».

فالرواية واضحة في أنَّ إبليس وأعوانه سيحاولون خداع الناس، وأنَّ الناس في معرض الوقوع في تلك الخُدع، ولكن الذين عندهم معرفة مسبقة بالحقِّ، سوف ينجحون في هذا الاختبار ويتجاوزونه.

ولعلَّه إشارة إلى ضرورة استشارة الفقهاء المأمونين على الدين ممَّن ثبت كونه نائباً عامّاً للمعصوم على في زمن الغيبة الكبرى، فيكون الرجوع إليهم عاملاً مساعداً في كشف الفتنة.

٢_عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله على يقول: «هما صيحتان: صيحة في أوَّل الليل، وصيحة في آخر الليلة الثانية»، قال: فقلت: كيف ذلك؟ قال: فقال: «واحدة من السهاء، وواحدة من إبليس»، فقلت: وكيف تُعرَف هذه من هذه؟ فقال: «يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون».

٣_عن عبد الله عند إلى المسلمة الجريري، قال: قلت لأبي عبد الله عند إنَّ الناس يُوبِّخونا ويقولون: من أين يُعرَف المحقّ من المبطل إذا كانتا؟ فقال: «ما تردّون عليهم؟»، قلت: فما نردّ عليهم شيئاً، قال: فقال: «قولوا لهم: يُصدِّق بها إذا كانت من كان مؤمناً يؤمن بها قبل أن تكون»، قال: «إنَّ الله على يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحُقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتّبَعَ أَمَّنْ لا يَهدِي إِلَى الحُقِّ أَنْ يُتّبَعَ أَمَّنْ لا يَهدِي إِلَّا أَنْ يُهْدى فَها لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١)».

⁽١) يونس: ٣٥

وهنا إشارة مهمّة جدَّاً، وهي أنَّه لا بدَّ أن تكون المعرفة من الطريق الذي رسمه لنا أهل البيت الشرعة، وهو طريق العلماء الذين بذلوا أنفسهم لاستنباط الأحكام الشرعية، وتداول أحاديث أهل البيت الشراعية، فهم صمّام الأمان للأُمَّة الإسلاميَّة لو اتَّبعناهم بصدق.

الثاني: علامات الظهور: إنَّ أهل البيت الله ذكروا علامات حتمية لظهور الإمام هذه وكونها علامات يعني أنَّها أُمور فارقة من خلالها يمكننا تمييز المهدي الحقّ، مع الالتفات إلى أنَّ العلامات لها فائدة من جهتين:

الجهة الأُولى: القطع بكذب وزيف مدَّعي المهدوية قبل وقوعها، تطبيقاً للتوقيع المشريف الأخير الذي صدر للسفير الرابع: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنَّك ميّت ما بينك وبين ستَّة أيّام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلَّا بعد إذن الله ، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدَّعي المشاهدة، ألا فمن ادَّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلى العظيم»(۱).

الجهة الثانية: إنَّ وقوعها مؤشِّر مهمّ لقرب ظهور الإمام المهدي ك.

وهذا لا يعني امتناع أن يدَّعي أحد المهدوية بعد وقوع العلامات، فتكون فائدة العلامة آنذاك هو التريِّث والبحث عن صدق المدَّعي بأحد الطريقين المتقدِّمين.

ولذا، توجَّه البحث إلى معرفة أمر لطالما سأل عنه كثير من الناس، وهو معرفة علامات الظهور.

⁽۱) كمال الدين: ٥١٦/ باب ٥٤/ ح ٤٤.

إشارة: في بعض الصفات المختصة بالإمام المهدي اللهاء

۱/ عدم تغيّر هيأته وقوَّته بمرور الدهور والسنين، وخروجه يوم يخرج شاباً
 كأقوى ما يكون الإنسان، وإن كان عمره أكبر من عمر أيّ شيخ موجود:

فعن أبي الصلت الهروي، قال: قلت للرضا عند ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: «علامته أن يكون شيخ السنّ، شابّ المنظر، حتَّىٰ أنَّ الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإنَّ من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتَّىٰ يأتيه أجله»(١).

٢/ تظليل غمامة على رأسه الشريف دائماً، وصوت من تلك الغمامة يسمعه الثقلان بأنَّ هذا مهدي آل محمّد، وبعض الروايات قالت بأنَّ المنادي بذلك الصوت هو ملك، ولا منافاة بين الروايتين كما هو واضح.

فعن الإمام الصادق (... يظهر في آخر الزمان [و]على رأسه غمامة تظلّه من الشمس تدور معه حيثها دار تنادى بصوت فصيح هذا المهدى (٢).

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله على «يخرج المهدي وعلى رأسه غهامة فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتَّبعوه»(٣).

وفي رواية أُخرىٰ عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلىٰ رأسه ملك ينادي: ألا إنَّ هذا المهدي فاتَبعوه»(١٤).

٣/ يكون عليه درس رسول الله على بخاصيته التي ذكرتها الروايات الشريفة،
 فقد روي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله فقال: قلت له: جُعلت فداك، إنّي أُريد أن

⁽۱) كهال الدين: ۲۰۲/ باب ۷۰/ ح ۱۲.

⁽٢) كشف الغمَّة ٣: ٢٧٥.

⁽٣) كشف الغمَّة ٣: ٢٧٠/ ح ١٦.

⁽٤) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٩/ ح ١.

ألمس صدرك. فقال: «افعل»، فمسست صدره ومناكبه، فقال: «ولِمَ يا أبا محمّد؟»، فقلت: جُعلت فداك، إنّي سمعت أباك وهو يقول: «إنّ القائم واسع الصدر مسترسل المنكبين عريض ما بينهما»، فقال: «يا [أبا] محمّد، إنّ أبي لبس درع رسول الله على وكانت من تستخب على الأرض، وأنا لبستها فكانت وكانت، وإنّها تكون من القائم كما كانت من رسول الله على مشمرة، كأنّه ترفع نطاقها بحلقتين، وليس صاحب هذا الأمر من جاز أربعين»(۱).

(١) بصائر الدرجات: ٢٠٨ و ٢٠٩/ باب ما عند الأئمَّة من سلاح رسول الله ٩ ... / ح٥٦.

⁽٢) الكافي ١: ٢٣٣/ باب ما عند الأئمَّة من سلاح رسول الله ٩ ومتاعه/ ح ١.

المبحث السابع:

علامات الظهور(١)

شاءت إرادة المولى جلَّ وعلا أن يجعل قبيل ظهور وليَّ من أوليائه أو مزامناً له إرهاصات كونية ملفتة لنظر عموم الناس حتَّىٰ يستعدَّ من كان ينتظره لتفعيل مقتضىٰ انتظاره، وهذا ما وجدناه في حركات أغلب الأنبياء، فالنبيّ موسىٰ كانت قبله نبوءة من أتباع بلاط فرعون بأنَّ مولوداً من بني إسرائيل سيزيل ملكه، وقتل لأجل التخلّص منه أكثر من عشرين ألف مولود ذكر، ولكن شاء المولىٰ أن يعيش من يزيل ملك فرعون في بيت فرعون نفسه...(٢).

والنبيُّ الأكرم لَيُّ كذلك، حيث سقطت شرف طاق كسرى، وخمدت نار فارس وهي التي لم تخمد مذنشبت، وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي الساوة...(٤).

- (١) انظر: شذرات مهدوية الشيخ حسين الأسدي ص ٢٤٧ ٢٧٣.
 - (٢) راجع: كمال الدين: ٣٥٤/ باب ٣٣/ ح ٥٠.
 - (٣) راجع: سعد السعود: ٥٥٣ و٥٥٥.
- (٤) عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله الصادق ، قال: «كان إبليس لعنه الله يخترق السهاوات السبع، فلمّا وُلِدَ عيسى عن ثلاث سهاوات، وكان يخترق أربع سهاوات، فلمّا وُلِدَ رسول الله ٩ حُجِبَ عن السبع كلّها، ورُميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أُميّة، وكان من أزجر أهل الجاهلية: أُنظروا هذه النجوم التي

فهذه هي سنن ولادات الأنبياء على أو قل: هذه هي علامات ظهور حركة جديدة تُغيِّر مساراً سارت عليه الأُمَّة لقرون متهادية، وتلك هي العلامات التي ينتظرها المؤمنون.

إذن، «مسألة العلامات تُمثِّل إرهاصات لظهور الحقّ، وتمهيد الناس لاستقبال الحدث المهمّ، وهو أمر جرى في الأنبياء السابقين....»(١).

وهي عادةً تشير إلى أُمور غير مألوفة أو غير طبيعية، وربَّما حوت بعضها على عنصر المعجزة، من شأنها أن تهزّ كيان الإنسان، وأن تُحرِّك شعوره وفضوله حول معرفة ما يجرى حوله، وبالتالى الاستعداد لذلك الحدث المهمّ.

علامات الظهور قسمان:

إنَّ علامات الظهور كثيرة جدَّاً، وقد قُسِّمت إلى حتمية وغير حتمية، ولكن «النبيِّ عَلَيْ والأَثمَّة النظر، ممَّا يعلمون وقوعه في المستقبل، بالوحي والإلهام، فيُخبرون به مرتبطاً بالظهور، حتَّىٰ إذا ما وقعت

 علامات الظهور الله المنافق الم

الحادثة في الأزمان ثبت عند الجيل المعاصر لها والأجيال المتأخّرة عنها صدق هذه الأخبار بالحسِّ والوجدان...»(١).

ومن هنا، سنذكر بعضاً من مهمّ العلامات.

لعلامات الظهور فهمان:

ولكن قبل ذكر ذلك، لا بدَّ أن نعرف أنَّه يمكن فهم العلامات بنوعين من الفهم، أحدهما سمّي بالفهم الحرفي، والآخر بالفهم الرمزي، فالأوَّل يعني فهم العلامة حرفياً كما وردت في الرواية، فالدجّال والسفياني شخصان يقودان خطّ الفساد ومحاولة القضاء على حركة المهدي، واليهاني رجل يُمثِّل خطّ الإيهان والتمهيد للمهدي، والفهم الثاني يعني فهم الروايات بفهم رمزي تأويلي، وعليه يكون الدجّال والسفياني رمزين للحركات المنحرفة العاملة ضدّ المهدي.

وعلىٰ كلِّ حالٍ، الظاهر من الروايات الشريفة لمن اطَّلع عليها أنَّ مثل السفياني والخراساني هم شخصيات حقيقية لا رمزية، نعم، مثل الدجّال لو صحَّت رواياته فربَّما يظهر منها أنَّه يُمثِّل حركة فكرية لا شخصاً بعينه، علىٰ أنَّه يمكن حمله علىٰ الشخص الحقيقي، وعلىٰ كلِّ حالٍ، لا يهمّنا التعرّض لمثل هذه المسألة الآن.

المهمّ لنا الآن أن نتعرَّف على العلامات البارزة كما ذكرت ذلك الروايات الشريفة.

والعلامات المذكورة في الروايات كثيرة، ولكن سأُحاول هنا ذكر ما له دخل في التمحيص الإلهي والابتلاءات التي تمرُّ علىٰ المؤمن زمن الغيبة، حتَّىٰ نكون علىٰ اطلاع جا، وبالتالي نضمن _ ولو جزئياً _ عدم الوقوع في شراكها.

وأهم العلامات هي ما ورد عن أبي عبد الله الله الله القائم خمس علامات

⁽١) تاريخ الغيبة الكبرى للسيّد محمّد الصدر: ٤٤٣ و٤٤٤.

محتومات: اليهاني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكيَّة، والخسف بالبيداء»(١).

هل من ضرورةٍ لمعرفة العلامات؟

ينبغي أن يكون واضحاً أنَّ الله تعالىٰ لم يجعل علامات الظهور بمحض الصدفة أو العبثية، وإنَّما جعلها لأهداف تربوية ونفسية، وتلك الفوائد لا يمكن لأحد أن يشعر بها إلَّا إذا اطَّلع علىٰ تلك العلامات، وهذا هو أساس الفوائد المرجوَّة من العلامات، وهذا يعني أنَّه لولا المعرفة بها، لحصلت عدَّة أُمور لا تُحمَد عقباها، وهي:

اشتباه الحق بالباطل، حيث إنَّ المنحرفين يحاولون تغرير البسطاء من الناس ببعض تصرّ فاتهم، خصوصاً مدَّعي المهدوية.

٢ _ فقدان عنصر الاستعداد النفسي والسلوكي، الذي يُعتَبر من أهم فوائد معرفة العلامات، بمعنى أنَّ من كان يعرف العلامات، لو حدثت، فإنَّه سيعمل على تفعيل ما كان قد تجهَّز به زمن الغيبة، أو زيادة التعبئة والتهيئة عند وقوعها، أمَّا من فَقَد هذه المعرفة، فستمرُّ عليه تلك العلامات من دون أن تترك أيّ أثر في نفسه وسلوكه، وبالتالي لربَّما ظهر الإمام على وهو غافل بالكلّية عنه وعن الاستعداد له.

" هذا فضلاً عن أنَّ معرفتها قبل حصولها، من شأنه أن يكون دافعاً مهيًا وحافزاً قويًا للتدارك إذا ما حصلت، فهي بمثابة المنبهات من الخطر، الأمر الذي يدفع إلى تجنبه.

والخطر يكمن في أن يعيش المرء حالة الفساد والانحراف إلى أن يظهر الإمام ، وحينئذٍ لا ينفع نفساً إيهانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيهانها خيراً (٢)، إذ لعلَّ

⁽۱) كهال الدين: ۲۰۰ باب ۷۰/ ح ۷.

علامات الظهور الله ١٩٦٩

المنحرف لا يُوفَّق للتدارك زمن الظهور، خصوصاً مع سرعة عمليات التطهير من براثن الانحراف، ممَّا نسمعه في الروايات الشريفة.

إذن، لمعرفة العلامات فوائد عديدة ظهرت، وقد عبَّرت الروايات عنها بعدَّة تعبيرات، فمرَّة يقول الإمام الصادق (يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون (١٠).

و أُخرى قال الناس يُوبِّخونا ويقولون: من أين يُعرَف المحقّ من المبطل إذا كانتا؟ فقال: «ما تردّون عليهم؟»، قلت: فها نردّ عليهم شيئاً، قال: فقال: «قولوا لهم: يُصدِّق بها إذا كانت من كان مؤمناً يؤمن بها فها نردّ عليهم شيئاً، قال: «إنَّ الله على يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقِّ أَنْ يُتَبّعَ أَمَّنْ لا يَهِدِي إِلَى الْحُقِّ أَنْ يُتَبّع أَمَّنْ لا يَهِدِي إِلَى الْحُقِّ أَنْ يُتَبّع أَمَّنْ لا يَهِدِي إِلَى الْحُقِّ أَنْ يُتَبّع مَا لَكُمْ كَيْفَ تَعْكُمُونَ ﴾ [يونس: ٣٥]»(٢).

إشارةٌ مهمَّة :

لا يعني هذا ضرورة التعمّق الكبير والغور في أعهاق معرفة العلامات، فالمهم هو البحث عن وتطبيق عوامل الظهور، وأمّا علامات الظهور فهي واضحة جدّاً بحيث لا تقبل التشكيك، فإنّها إمّا قائمة على الإعجاز _ كالخسف والصيحة _، وإمّا على كونها ظواهر اجتهاعية أو سياسية غريبة ملفتة للأنظار بشكل كبير، كتحرّك ثلاث قوى ومن ثلاثة محاور إلى مركز واحد (السفياني من الشام، واليهاني من اليمن، والخراساني من بلاد المشرق (إيران)، في يوم واحد باتّجاه الكوفة أو العراق عموماً)، وكقتل النفس الزكيّة في حرم الله الآمن بين الركن والمقام.

المهمّ لنا الآن أن نتعرَّف على العلامات البارزة كما ذكرت ذلك الروايات الشريفة. والعلامات المذكورة في الروايات كثيرة، ولكن سأُحاول هنا ذكر ما له دخل في

⁽١) الغيبة للنعماني: ٣٧٣ و٢٧٤/ باب ١٤/ ح ٣١.

⁽٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٤/ باب ١٤/ ح ٣٢.

التمحيص الإلهي والابتلاءات التي تمرُّ علىٰ المؤمن زمن الغيبة، حتَّىٰ نكون علىٰ اطّلاع بها، وبالتالي نضمن _ ولو جزئياً _ عدم الوقوع في شراكها.

وأهم العلامات هي ما ورد عن أبي عبد الله الله الله القائم خمس علامات على العاني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكيَّة، والخسف بالبيداء»(١).

العلامة الأُولى والثانية: السفياني والخسف في البيداء:

يعتبر السفياني من البلاءات والاختبارات الصعبة التي تمرُّ بها الأُمَّة الإسلاميَّة المؤمنة على مشارف الظهور، ويمكن متابعة حركته من خلال ثلاثة مواقف متسلسلة تاريخياً:

الموقف الأوَّل: مبدأ ظهوره وتحرّكه:

تُحدِّثنا الروايات الشريفة بالتالي:

إشارة مهمّة جدّاً:

يظهر من الأخبار أنَّه حين يتوجَّه إلى العراق والكوفة، فإنَّه يقع قتلاً بشيعة علي الله عن عمر بن أبان الكلبي، عن أبي عبد الله من قال: «كأنّي بالسفياني أو لصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس [رجل من] شيعة على فله ألف درهم، فيثبُ الجار على جاره يقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ

⁽۱) کہال الدین: ۲۵۰/ باب ۷۵/ ح۷.

⁽٢) الغيبة للنعماني: ٣١٠/ باب ١٨/ ح ١.

علامات الظهور السمات الطهور

ألف درهم. أمَا إنَّ إمارتكم يومئذٍ لا تكون إلَّا لأولاد البغايا... $^{(1)}$.

ولكن ينبغي الالتفات إلى أنَّ أصل خروج السفياني هو من الأُمور الحتمية كما نصَّت الروايات على ذلك، ولكنَّ هذا لا يعني أنَّه إذا خرج فإنَّ علينا أن نخنع له، وأن نستسلم له، وأن ننتظر سيفه ليصل إلى أعناقنا، كلَّا أبداً، إنَّ هذه الفكرة هي ما يحاول البعض أن يقنع بها الشيعة والمنتظرين، مَّا يُولِّد الخوف والفزع عندهم من السفياني، والحال أنَّه يمكن أن نقول التالي:

ا _ إنَّ أهل البيت عني حينها ذكروا لنا ما يفعله السفياني بالشيعة، لا يعني هذا أنَّهم يأمروننا بأن نستسلم لهذا الأمر، وإنَّها يعني أنَّهم يريدون تحذيرنا منه، ممَّا يعني أنَّهم يدعوننا إلى أخذ الحيطة والحذر منه، وإلى الاستعداد تمام الاستعداد لتحرّكه في أيِّ وقت.

٢ _ وهذا يعني أنَّه لو اتَّحد المؤمنون يداً واحدة، ووقفوا ضدّ أطهاع السفياني التوسّعية، وانضووا تحت لواء قياداتهم المخلصة ومرجعياتهم الدينية، لأمكن أن يقفوا في وجه السفياني، وأن يمنعوه من إيقاع القتل والتشريد فيهم.

٣ _ إذن، لا ينبغي للمؤمن أن يعيش حالة الخوف والفزع من السفياني بقدر ما
 يلزم عليه أن يُمينئ نفسه لمواجهته في أيَّة لحظة.

الموقف الثاني: بعثه بالجيش خلف المهدي على والخسف به:

يظهر من بعض الروايات أنَّ السفياني إذا ظهر في الشام وملك كورها الخمسة، فإنَّه سيعلم _ من طريق جواسيسه المنتشرين في بقاع الأرض _ أنَّ ثمَّة ظهوراً جزئياً للمهدي في المدينة، فيبعث السفياني بجيش ليقتله، ولكن الإمام في يخرج إلى مكّة، فيصل الجيش ويعلم بذلك، فيتبعه، ولكن مكّة حرم الله الآمن، والمهدي هو الموعود لتطبيق الوعد الإلهي، فتقتضي الحكمة الإلهية أن يُخسَف بذلك الجيش في البيداء، ولا (١) الغيبة للطوسي: ٥٥٠/ ح ٥٥٪.

ينجو منه إلَّا المخبر عن ذلك الخسف.

ويظهر أيضاً أنَّ ذلك الجيش فيه بعض من كره قتال المهدي، ولكنَّه خرج مكرهاً، وسيشمله الخسف، ولكن في يوم القيامة سيُحاسب علىٰ نيَّته الواقعية.

عن رسول الله عَيْلِيَّة: «يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كان ببيداء من الأرض يُخسَف بهم»، فقلنا: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: «يُخسَف به معهم، ولكنَّه يُبعَث يوم القيامة علىٰ نيَّته»(١).

الموقف الثالث: القضاء عليه:

بعد حصول الخسف بجيش السفياني، تحصل عنده حجَّة واضحة بأنَّ الحقّ مع المهدي هُ ويقرُّ بذلك، ويلتقي بالإمام هُ في الكوفة، وفي محاولة من الإمام المهدي هلا مدايته، يبايعه السفياني، ولكنَّها بيعة لا عن اعتقاد قلبي راسخ، وإنَّما عن خوف وفرق منه هُ، ولذلك حينها يرجع إلى أخواله _ وهم قبيلة كلب _ يُعيِّرونه بذلك، فينكث بيعته، فيقاتل المهدي، فيقتله الإمام هُ، وبذلك تنتهي حركة السفياني إلى الأبد.

عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عن الله القائم، فيخرج فيقول: أُخرجوا إليَّ ابن الله من ناحية الكوفة، يتجرَّد بخيله حتَّىٰ يلقىٰ القائم، فيخرج فيقول: أُخرجوا إليَّ ابن عمّي، فيخرج عليه السفياني فيُكلِّمه القائم هُ، فيجيء السفياني فيبايعه، ثمّ ينصرف إلى أصحابه، فيقولون له: ما صنعت؟ فيقول: أسلمت وبايعت، فيقولون له: قبَّح الله رأيك، بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعاً، فيستقبله فيقاتله، ثمّ يمسون تلك الليلة، ثمّ يصبحون للقائم هُ بالحرب، فيقتتلون يومهم ذلك. ثمّ إنَّ الله تعالىٰ يمنح القائم وأصحابه أكتافهم، فيقتلونهم حتَّىٰ يفنوهم، حتَّىٰ أنَّ الرجل يختفي في الشجرة القائم وأصحابه أكتافهم، فيقتلونهم حتَّىٰ يفنوهم، حتَّىٰ أنَّ الرجل يختفي في الشجرة

⁽۱) صحيح مسلم ۸: ١٦٧.

علامات الظهور الله المستعلقة المستعلق المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلق المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلق المستعلم المستعلق المستعدد المستعلق المستعلم المستعلم المستعلم المستعلق المستعلق المستعل

والحجرة، فتقول الشجرة والحجرة: يا مؤمن، هذا رجل كافر فاقتله، فيقتله...»(١).

وتكشف لنا الروايات المتقدمة عن:

١/ أن باب التوبة مفتوحٌ زمن الإمام

٢/ أنَّ الإمام المهدي هلى رجلُ سلام غيرُ مُحبِّ للقتل والدماء، يشبه في ذلك جده المصطفى على إذ كلاهما أُرسِل رحمةً للعالمين.

العلامة الثالثة: اليماني:

وهو من الشخصيات التي تعمل على تمهيد الأوضاع للإمام المهدي ها خصوصاً في ما يتعلَّق بمجابهة حركة السفياني، ويبدو أنَّه «نطلق من اليمن إثر أنباء قادمة من الكوفة بتوجّه السفياني إليها، وهو صاحب حركة إصلاحية تتَّخذ اليمن معقلاً لها تهدف إرجاع الناس إلى الحقّ...»(٢).

ويظهر من الروايات أنَّ اليهاني يبدأ حركته متزامناً مع حركة السفياني، ليوقف من مدّ جذوره في الكوفة، وكذلك متزامناً مع تحرّك الخراساني، الذي يعمل أيضاً على إيقاف تحرّكات السفياني والقضاء عليه.

ولا يخفى ما لهاتين الحركتين من أثر مهم يومذاك في مجابهة السفياني، فالخراساني من الشرق (إيران)، واليماني من الجنوب الغربي (اليمن)، فيُطوِّقان حركة السفياني ويوقفانها في الكوفة، ويحدّان من توسّعها لغير العراق.

وعموماً، فالذي يظهر من الروايات هو أنَّ هناك ثورة عارمة ستحدث في اليمن على يدي شخص سمَّته باليهاني، وهي راية هدى، «بل تصفها عدَّة روايات بأنَّها أهدى

⁽١) بحارالأنوار ٥٢: ٣٨٨/ ح ٢٠٦.

⁽٢) موجز دائرة معارف الغيبة: ١٨٦.

الرايات في عصر الظهور على الإطلاق...»(١).

قال الإمام الباقر على: «خروج السفياني واليهاني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليهاني، هي راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليهاني حرم بيع السلاح على الناس وكلّ مسلم، وإذا خرج اليهاني فانهض إليه فإنّ رايته راية هدى، ولا يحلُّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنّه يدعو إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم»(۱).

عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمّد الأزدي، عن أبي عبد الله هذه قال: «خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليهاني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليهاني، يهدى إلى الحقّ»(٣).

أسئلة وأجوبة مفيدة(1):

السؤال الأوَّل: ما هي مقوِّمات وأُسس معرفة اليماني التي هي غير واضحة عندنا. الجواب:

أوَّلاً: كون اليهاني لا يخرج عن بديهيات المذهب الجعفري، ولا يخالف ضروريات المذهب من عدم مخالفة الحجَّة الشرعية في زمن الغيبة الكبرى وهم الفقهاء العدول، وهذا ما أمر به أهل البيت المسلط من انحصار طريق أخذ التكليف الشرعي من طريق الفقهاء.

⁽١) عصر الظهور للشيخ على الكوراني العاملي: ١١٣.

⁽٢) الغيبة للنعماني: ٢٦٤/ باب ١٤/ ح ١٣.

⁽٣) الغيبة للطوسي: ٤٤٦ و٤٤٧ ح ٤٤٣.

⁽٤) مستفادة من مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدى ك.

علامات الظهور الطهور

أو كونه منهم حقيقة لا مجرَّد ادِّعاء، وهذا أهمّ أمر، علماً أنَّه لم يرد في الروايات أنَّه من فقهاء وعلماء الطائفة.

ثانياً: خروجه من اليمن.

ثالثاً: التزامن الواحد في الخروج بين اليهاني والخراساني والسفياني، فقد ورد عن الإمام الباقر عن «خروج السفياني واليهاني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً»(١).

السؤال الثاني: من هو اليماني في عصرنا؟

الجواب:

ليس اليماني ولا السفياني ولا الخراساني شخصية مستنسخة يمكن أن نُوجِد لها شاخصاً في كلّ عصر حتّى يصحّ السؤال عن من هو اليماني في عصرنا.

وكأنَّ اليهاني في العصور الماضية كان شخصية أُخرى وفي عصرنا هذا شخصية ثانية وفي عصر الظهور شخصية ثالثة، كلَّا، فإنَّ اليهاني هو شخصية واحدة تظهر قبيل ظهور الإمام المهدي هم ويواكب ظهوره ظهور كلّ من الخراساني والسفياني، كها في تعبير الروايات: «اليهاني والسفياني كفرسي رهان»(۲)، وأنَّ رايته أهدى الرايات الثلاث.

السؤال الثالث: إذا ظهر اليهاني بعد السفياني هل يجب علينا وإن كنّا في كلّ مكان من العالم الالتحاق به؟

الجواب:

ورد في الروايات ما يمكن أن يدلَّ على لزوم اتّباع اليهاني وحرمة الالتواء عليه، فعن الإمام الباقر على أنَّه قال: «خروج السفياني واليهاني والخراساني في سنة واحدة، في شهر

- (١) الغيبة للنعماني: ٢٦٤/ باب ١٤/ ح ١٣.
- (٢) الغيبة للنعماني: ٣١٦ و٣١٧/ باب ١٨/ ح ١٥.

واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز، يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كلّ وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليهاني، هي راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليهاني حرم بيع السلاح على الناس وكلّ مسلم، وإذا خرج اليهاني فانهض إليه فإنّ رايته راية هدى، ولا يحلُّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنّه يدعو إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم»(۱).

هذا، ولكن الرواية يمكن المناقشة في صحَّة سندها، بالإضافة إلى أنَّ معنى عدم الالتواء هو عدم معاداته ومحاربته، وهذا غير الالتحاق به.

علىٰ أنَّ النصرة تختلف باختلاف الزمان والمكان وقدرات الشخص، فلعلَّ نصرة رجل يعيش في اليمن تتحقَّق بالالتحاق بجيش اليماني، ولكن نصرة رجل يعيش في بلاد الهند أو السند تكون بتأييده قلباً وذكره لساناً.

علىٰ أنَّ القاعدة في مثل هذه الحالة هو الرجوع إلىٰ المراجع الذين أُمرنا باتباع أوامرهم في زمن الغيبة الكبرىٰ.

العلامة الرابعة: الصيحة:

ذكرت الروايات أنَّه ستحصل حادثة غريبة من نوعها، تكون المعجزة سِمتُها الظاهرة، عبَّرت عنها الروايات الشريفة بعدَّة تعبيرات، كالصيحة والفزعة والنداء في السهاء، حيث يظهر من الروايات «أنَّ أخبار الصيحة والفزعة وأخبار النداء بأقسامها تشير إلى معنى مشترك وحادثة واحدة، لا اختلاف فيها وإن تعدَّدت أساليب الأخبار، ولا تعارض بينها في الحقيقة...»(٢).

وخلاصة هذه العلامة هي: في الليلة الثالثة والعشرين _ ليلة جمعة _ من شهر

⁽١) الغيبة للنعماني: ٢٦٤/ باب ١٤/ ح ١٣.

⁽٢) تاريخ ما بعد الظهور للسيّد محمّد الصدر: ١٣٠.

علامات الظهور الله المستحدد ال

رمضان، سينادي جبرئيل بالحق: أنَّ الحقّ مع آل محمّد عموماً ومع قائمهم خصوصاً، وحينئذٍ سيحصل فزع عظيم، بحيث يصل إلى كلّ من على وجه البسيطة، وستفزع حتَّىٰ الفتاة الحيية من خدرها، ويعلم الجميع بالحقّ، فتخضع رقاب الظالمين وأعداء الله تعالىٰ، لأنَّ إعلامهم المنحرف ضدّ القضيَّة المهدوية سيذهب أدراج الرياح بسبب ذلك النداء الإعجازي(۱)، وستكون هذه العلامة أقرب العلامات نسبياً للظهور بسبب ذلك النداء الإعجازي(۱)، وستكون هذه العلامة أقرب العلامات نسبياً للظهور المبارك، إذ أنَّها تحصل في شهر رمضان، والظهور سيكون في محرَّم الحرام. وسيكون لذلك النداء أثر مهمّ في قيام ذكر المهدي علىٰ ألسنة الناس، حتَّىٰ يُشربوا حبّه، وسيكون موضوع الساعة _ كلّ ساعة _ هو الإمام المهدي .

والروايات في هذا المجال عديدة، نذكر منها:

⁽١) وكون النداء إعجازياً يمنع من صدور نداء معارض بأنَّ الحقّ مع (آل فلان) كها عبرَّت بعض الروايات، اللَّهمّ إلَّا أن يُحمَل النداء على معنى طبيعي، والتفاصيل في تاريخ الغيبة الكبرى: ١٣١.

⁽۲) کہال الدین: ۲۰۰۰ باب ۷۷/ ح ۲.

أنَّه صوت جبرئيل، وعلامة ذلك أنَّه ينادي باسم القائم واسم أبيه الله حتَّىٰ تسمعه العذراء في خدرها فتُحرِّض أباها وأخاها علىٰ الخروج...»(۱).

وأخرج ابن طاووس; عن أبو نعيم بإسناده عن علي الله قال: «إذا نادى منادٍ من السياء أنَّ الحقَّ في آل محمّد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبَّه، فلا يكون لهم ذكر غيره»(٢).

والصيحة أوضح العلامات على الإطلاق؛ وذلك لمواصفاتها الواضحة:

١/ صوتٌ من السماء.

٢/ في ليلةٍ معينةٍ ومحددة ليلة الجمعة ليلة ٢٣ من شهر رمضان وهي ليلة القدر.

٣/ يسمعها كلُّ الناسِ كلُّ بلغته.

٤/ كونها مُفزعة.

٥/ وأنَّ من كان عالمًا بهذه الصيحة فإنه يستطيع أنْ يُميّزها عن صيحة الباطل
 الأخرى التي تم ذكرها سابقاً.

العلامة الخامسة: قتل النفس الزكية:

بعد أن يلجأ المهدي إلى مكّة، ويخسف بجيش السفياني، يقبل أصحاب المهدي عليه ويقتر حون أن يعلن ظهوره ويبدأ بحركته المباركة في مكّة، فيجيبهم بأنَّ أهل مكّة لا ينصرونه، ولكن من باب إلقاء الحجَّة، ورجاء هدايتهم أو هداية بعضهم، فإنَّه يُرسِل بعض المؤمنين من خاصَّته _ وهو الذي سمَّته الروايات بالنفس الزكيَّة _ ليدعوهم إلى نصرته، فيطيع أمره، ويذهب إلى مكّة، وعند بيت الله الحرام يخطب بهم

⁽١) الغيبة للنعماني: ٢٦٢ و٢٦٣/ باب ١٤/ ح ١٣.

⁽٢) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٣٩/ ح ١٣٦.

ويدعوهم لنصرة المهدي هي، ولكن أهل مكّة يقتلونه في حرم الله الآمن، ليقترفوا بذلك أنواعاً من المعاصى في آنٍ واحد، هي:

١ _ هتك حرمة البيت الحرام، الذي اعتبره القرآن الكريم حرماً آمناً.

٢ _ قتل النفس المحرَّمة بدون حقّ، قال تعالىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ إَسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّها أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جاءَتُهُمْ رُسُلُنا بِالْبيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْياها فَكَأَنَّها أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جاءَتُهُمْ رُسُلُنا بِالْبيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَي الْأَرْضِ لُسْرِفُونَ ﴾ (١)

٣_ رفض نصرة المظلومين، وقد قال النبيُّ عَيَّالَةَ: «من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»(٢).

ولا يخفىٰ أنَّ قتل أهل مكّة إيّاه إعلان منهم لمعارضة حركة المهدي في وتمرّدهم عليه، وهذا ما يحدو به للطهيرها بداية ظهوره، ولعلَّ تسميته بالنفس الزكيَّة لبراءته وكونه يُقتَل مظلوماً، وقد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً ﴾ (٣)، أي بريئة من الذنب، كما عليه المفسِّر ون (١٠).

هذا وتُحدِّثنا الروايات الشريفة أنَّ ظهور المهدي التام سيكون بعد مقتل النفس الزكيَّة بخمس عشرة ليلة، لتكون هذه العلامة أقرب العلامات للظهور المبارك.

عن أبي جعفر ه في حديث طويل إلى أن قال: «يقول القائم ه لأصحابه: يا قوم، إنَّ أهل مكّة لا يريدونني، ولكنّي مرسل إليهم لاحتجَّ عليهم بها ينبغي لمثلي أن يحتجَّ

⁽١) المائدة: ٣٢.

⁽٢) الكافي ٢: ١٦٤/ باب الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم ح٥.

⁽٣) الكهف: ٧٤.

⁽٤) موجز دائرة معارف الغيبة: ١٧٣.

عليهم. فيدعو رجلاً من أصحابه، فيقول له: امض إلى أهل مكّة، فقل: يا أهل مكّة، أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرّية محمّد وسلالة النبيّين، وأنّا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتزَّ منّا حقّنا منذ قُبِضَ نبيّنا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصر كم فانصرونا. فإذا تكلَّم هذا الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكيَّة، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أنَّ أهل مكّة لا يريدوننا...»(۱).

وعن صالح مولى بني العذراء، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق على يقول: «ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكيَّة إلَّا خمسة عشر ليلة»(٢).

⁽١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٧/ ح ٨١.

⁽۲) کہال الدین: ۲٤٩/ باب ۷٥/ ح ۲.

المبحث الثامن

أسئلةٌ حول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

الجواب:

لقد وردت روايات عديدة تصرح بأن الإمام المهدي الله السيف، من قبيل التالى:

عن المفضل بن عمر، قال: «قلت لأبي عبد الله هذا: ما علامة القائم؟ قال: إذا استدار الفلك، فقيل: مات أو هلك، في أي واد سلك؟ قلت: جعلت فداك، ثم يكون ماذا؟ قال: لا يظهر إلا بالسيف». (١)

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله الله أنه قال: «ما تستعجلون بخروج القائم، فوالله ما لباسه إلا الغليظ، ولا طعامه إلا الجشب، وما هو إلا السيف، والموت تحت ظل السيف». (٢)

وهذا النوع من اللباس والطعام خاص بالإمام، أما رعيته فسيلعقهم العسل ولا يتعامل معهم بالشدة، إلا جيشه؛ لأنه يريد منهم رباطة الجأش.

ولكن ما المقصود بالسيف؟ هل هو هذا السيف الحقيقي؟ أي الآلة الحديدية، أو إنَّ كلمة السيف رمزٌ يراد به غير المعنى الموضوع له؟

⁽١) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٨ - ١٥٩ الباب ١٠ الحديث ١٩.

⁽٢) نفس المصدر ص ٢٣٨ - ٢٣٩ الباب ١٣ الحديث ٢٠.

لا شك أن القرآن الكريم والرسول الأعظم الله وأهل البيت الله كانت لهم طريقة معينة في إلقاء الخطابات الشرعية وروايات المستقبل، وتلك الطريقة لا شك أنها اتصفت بالخطاب الذي يتناسب مع أفهام المخاطبين وحدودهم العلمية، وإن كانت هناك في بعض الأحيان إشارات لمفاهيم ومعانٍ علمية مستقبلية أوسع بكثير مما كان يفهمه المخاطبون في عصر النص.

ولكن الطريقة العامة والمتعارفة في تلك الخطابات هي أن تكون متناسبة مع المستوى العلمي للمخاطبين.

وعلى هذا شواهد عديدة، نذكر منها:

عن الإمام الصادق عن «ما كلّم رسول الله عليه العباد بكنه عقله قطُّ»، وقال: «قال رسول الله عليه الله عليه الما معاشر الأنبياء أُمِرْنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم»(١).

وقال رسول الله على «الا تحدثوا أمتى من أحاديثي إلا بما تحمله عقوطم». (٢)

ومن هنا نجد أن الروايات الشريفة ذكرت أسلحة البر والبحر، ولم تذكر سلاح الجو رغم أن المتكلم عالم بها ستؤول إليه حالة الأسلحة وتطورها.

ومن هذا القبيل ورد في الصحيح أنّ رجلاً من أهل الشام سأل الإمام الحسن الله الله عن المشرق والمغرب؟ فقال: بين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب من مغربها. (٣)

⁽١) الكافي للكليني ١: ٢٣/ كتاب العقل والجهل ح ١٥.

⁽٢) كنز العمال للمتقى الهندي ج١٠ ص ٢٤٢ ح ٢٩٢٨٤.

⁽٣) الشيخ الصدوق في الخصال: ٤٤١ ضمن ح٣٣ باب العشرة.

والسائل آنذاك.

ومن هنا، يتضح لنا جلياً السبب في تعبير أهل البيت عن سلاح الإمام المهدي الله المهدي الله السيف، في ذاك إلا لأن السيف هو رمز القوة والغلبة على مر العصور.

وإلا فتصوروا دهشة وحيرة أصحاب الأئمة الله في ذلك العصر لو كان أهل البيت المناس أخبروهم بأن المهدي يخرج مثلاً بدبابة من طراز كذا! أو أن عنده مسدس ليزر قدرته كذا! أو أن طائراته أسرع من لمح البصر!

وبعبارة واضحة: نحن نعتقد أن الإمام صلوات الله عليه سيظهر بأسلحة أقوى بكثير مما هو معروف اليوم، أسلحة لا تقاوم ما هو موجود اليوم وحسب، وإنها تنتصر عليه أيها انتصار.

أما أنه يرجع إلى عصر السيف (بالمعنى الحقيقي) فهو رجوع بالحضارة إلى الوراء، وهو مما لا يتناسب مع عصر العلم الذي سيفجره الإمام بصورة لم يسبق لها مثيل، فقد ورد عن أبي عبد الله قال: «العلم سبعة وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبتها في الناس، وضم إليها الحرفين، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا». (١)

وعن جابر قال: «قال أبو جعفر ﷺ في قول الله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ضَال اللهُ عَلَى اللَّهُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ (٢)قال: «ينزل في سبع قباب من نور لا

⁽١) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - ص ١١٧.

⁽٢) البقرة ٢١٠.

يعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة، فهذا حين ينزل».(١)

وقال أبو جعفر على «إنه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة». (٢)

وهكذا ما قد يقال من إنه عندما يخرج بالسيف فإنه وبإشارة واحدة من سيفه فإنه سيوقف جميع أجهزة الاتصالات، وسيوقف عمل جميع الأسلحة، ولو أطلقت عليه قوة غاشمة صاروخاً، فإنه سيرجعه على المنصة التي انطلق منها بإشارة من سيفه، فكل ذلك هو مجرد تخرصات وكلام مضحك للثكلي وألفاظ لا دليل عليها أبداً، ولا يعني هذا أننا لا نعتقد بامتلاك الإمام التلك القدرة، كلا، بل هو صاحب الولاية التكوينية بلا أدني ريب، ولكن هذا مما لا دليل عليه ولا داعي له، وهو خروج عن النظام العام للدنيا ولحركة الإمام الذي هو نظام الأسباب والمسببات الطبيعية، وأن العصمة استثناء من هذا النظام.

فالأولى إذن والصحيح أن نلتزم بالنتيجة التي انتهينا إليها.

وهو ما عليه المحققون من العلماء.

وقال السيد محمد الصدر الهدي المال ا

وقال الشيخ خليل رزق: «لا بد من حمل السيف على المعنى الرمزي الذي يراد به أي سلاح»(٤)

⁽۱) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي - ج ۱ - ص ١٠٣ الحديث ٣٠١.

⁽٢) نفس المصدر الحديث ٣٠٣.

⁽٣) تاريخ ما بعد الظهور ص ٤٠٤.

⁽٤) الإمام المهدى واليوم الموعود ص ٩٣.

إشارة:

إذا أبي البعض إلا التمسك بظاهر الروايات الواردة في السيف، فيمكن القول:

إن الإمام المسطهر بالسيف حقيقة - سيف ذي الفقار - ولكنه يظهر به من باب أنه من المواريث المهمة لديه، للدلالة على ارتباط قيامه المبارك بأمير المؤمنين الذي يمثل الإسلام المحمدي الأصيل، فيقوم بأحدث التقنيات، لكنه يرتدي ذلك السيف، وهذا الأمر طبيعي جداً، بل نرى اليوم أن الكثير من الرؤساء من يرتدي شيئاً يمثل ارتباطه بقوميته أو بدينه أو حتى ببلده، رغم امتلاكه أنواع الأسلحة الحربية للقتال.

السؤال الثاني: هل المهدي ها قاتلٌ سفاح وقصّاب أرواح؟ أو هو داعيةُ سلام؟! الجواب:

عندما نطالع الروايات في قضية الإمام المهدي سلام الله عليه نجد أنَّ هناك كمًا من الروايات أشارت إلى أنَّ الإمام السيف، أي سيقتل عدة طوائف من الناس، فاستغلها البعض في توظيفها لتصوير الإمام كرجل محب للدماء، مُزهق للأرواح، لا رحمة في قلبه، لا همَّ له إلا استئصال الآخر، فهل هذا الأمر صحيح؟

للجواب بصورة واضحة جليّة، نذكر عدة خطوات:

الخطوة الأولى: ركائز الدولة إداريًا.

إنَّ قيام أيِّ دولةٍ يحتاج إلى ثلاث ركائز بعد الفراغ عن ضرورة وجود القائد والجمهور، وهذه المسألة ليس لها علاقة بالدين أو الشريعة بمعنى أنَّها قضية عقلائية:

١/السلطة التشريعية

ومهمتها تشريع الأحكام وسنِّ القوانين التي تحكم الدولة، وكذلك تشريع الجزاءات المناسبة لموافقة أو مخالفة تلك التشريعات، كقانون المرور مثلًا.

٢/السلطة التنفيذية.

ومهمتها تنفيذ القوانين، ولأنَّ القوانين تقيد السلوك البشري ضمن إطارها، وتمنع من ارتكاب المخالفات والجرائم التي تنزع ضعاف النفوس إلى ممارستها، احتيج إلى جهازٍ يكفل تنفيذ القوانين بالقوة، وتقديم من لا يلتزم بها من الشعب إلى القضاء؛ لينال جزاءه العادل، وهو جهاز الشرطة مثلاً. والسلطة التنفيذية مهمة؛ إذ لا فائدةٍ تُرجى من القوانين إنْ لم تُنفّذ.

٣/السلطة القضائية.

ومهمتها إرجاع الأمور الى نصابها عند حدوث خرقٍ للقانون، فمن أمن العقاب أساء الأدب.

فهي نوع من التدخلات الإجرائية والعملية عند حدوث خرق للقانون أو تطاول عليه، من أجل إرجاع الأمور إلى نصابها.

ولا ينفرد القانون الوضعي بالنص على هذه السلطة، ودورها في إصدار الأحكام والعقوبات على من يخالفه، بل القانون الإلهي ينص على ذلك أيضًا، وإلا فما خلق الله الله نار جهنم إلا لهذا الغرض، ولولاها لترك جُلَّ الناس طاعته ، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا اللَّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾. (١)

ولكن عندما علم الأنسان أنَّ هناك مراقبة وملائكة تسجل كلَّ ما يقوم به بل وتنسخه، وأنَّ هناك حساباً أخروياً، حينها علم أنَّ عليه عدم المخالفة.

وهذا أمرٌ عقلائي، ولا تقوم دولة منظمة من دون هذه الركائز الثلاثة، ونتيجة لهذا الأمر نقول التالى:

⁽١) المؤمنون ٣٧.

إنَّ الروايات وإنْ ذكرت أن الإمام المهدي سيقوم ببعض الحروب وبقتل بعض الاصناف من الناس، إلا أن هذا لا يخرج من الإطار العقلائي لإقامة الدولة، فبالنتيجة فإن الإمام للديه تشريعات ويريد أن يقيمها، فمن قام بالمخالفة يجب أن يحاسب وفق إجراءات عملية، والتي اسهاها الإسلام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وبهذا هو لم يخرج عن الإسلام حيث ان الإسلام امرنا بذلك في رواية «أُمرت أن أُقاتل الناس حتَّىٰ يقولوا: لا إله إلَّا الله، فإذا قالوها فقد حرم عليَّ دماؤهم وأموالهم»(١)، ووضع القوانين تحت عنوان (القصاص والحد والتأديب وما الى ذلك)، وعليه فإن الإمام عن خر خارج عن الإطار العقلائي ولا الإسلامي لإقامة الدولة.

الخطوة الثانية: لماذا يخاف البعض من ظهور الإمام المهدي الخطوة

إذا كانت المسالة عقلائية إلى هذه الدرجة، فلهاذا نجد أنَّ بعض الناس -سواء أأظهروا هذا الأمر أم أبقوه في كامن شعورهم- يتصورون أنَّ الإمام المهدي عندما يخرج لا يكون له همٌ إلا القتل والذبح والتشريد؟

وهذا نجده حتى في بعض الأوساط الشيعية _ مع بالغ الأسف _، إذ بمجرد أنْ يُذكر الإمام عند البعض، تتوارد هذه الأفكار السلبية، ولا يحضر تصور أنَّ الإمام سيأتي كها أتى جده المصطفى (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) رحمةً للعالمين، وأنّه سيبني مدينة سلام وجنةً على الأرض، فلا يستحضر النظرة الإيجابية، وإنّها بعض مهم من الناس في اللاشعور يرى الجانب السلبي فقط؛ لذلك يخاف من ظهور الإمام من الناس في اللاشعور الداخلي لديه، وتلك النظرة؟

الجواب:

وأهمها:

١/ الجهل بقضية الإمام المهدي في وبأهدافه التي يقوم من أجلها، وعدم الاطلاع الكافي على روايات هذه القضية الطاهرة، وهو من أهم الأسباب، فكثيرٌ من الناس يتصور أنَّ الإمام من ما إنْ يخرج حتى يبدأ بقتل علماء الشيعة رغم عدم وجود حتى روايةٍ واحدة تشير إلى ذلك، فهذا كلامٌ من دون دليل، وهو نتيجة الجهل المطبق، أو الحقد الدفين لأهل العلم.

القراءة السطحية والساذجة لروايات فتن واختبارات الظهور، من دون الرجوع لأهل الاختصاص فيها ومعرفة الهدف منها وتخريجاتها العقائدية والفقهية والعقلائية، فإنَّ أهل الاختصاص يدخلون في أعماق الرواية ويعطون الفهم الصحيح لها.

٣/ تعمُّد بثّ تلك الفكرة الخاطئة في نفوس الناس من قبل بعض المُغرضين، وهذا الأمر له مؤشراتٌ كثيرة، فهناك كثيرٌ من الفئات تعمل خلف الكواليس وهدفها بثّ أفكار يائسة سلبية تجاه الدين عمومًا، نحو: الدين يقيد الحرية، ولا يقبل بالعلم، ومنها قضية الإمام المهدي .

الخطوة الثالثة: من هم الذين سيقتلهم الإمام المهدى اللهاء

الجواب: ذكرت الروايات العديد من الأصناف الذين سيقتلهم الإمام ، نذكر منهم ثلاثة عناوين:

١/ السفياني:

ومن الواضح أنه لا نحتاج إلى تبرير مقاتلة الإمام المهدي السفياني، ولكن مع ذلك فالمبررات لذلك عديدة، نذكر منها:

أولاً: إن السفياني هو من يبدأ الإمام القتال، بل ويبعث البعث تلو الآخر

في محاولة قتل الإمام صلوات الله عليه، ومن الواضح أن حكم من يريد قتل الإمام المفترض الطاعة هو القتل على أقل تقدير.

عن رسول الله على: "ويعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كان ببيداء من الأرض يخسف بهم، فقلنا: يا رسول الله، كيف بمن كان كارها؟ قال: يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته..».(١)

ثانياً: أن السفياني يمثل امتداداً للعداء المتأصل بين بني هاشم وبني أمية، القتال الذي كان محوره تصديق الله وعدمه.

فقد ورد عن أبي عبد الله على قال: «إنَّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفيان رسول الله على وقاتل معاوية على بن أبي طالب . وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي الله الله وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي الله الله القائم . (٢)

ثالثاً: إن السفياني مجرم حرب، بل مجرم إنسانية، وهو يعمل على قتل كل من ينتمي لخط أهل البيت السلامية كها ذكرت الروايات ذلك، وأنه يقتل كل من اسمه على أسهاء أهل البيت المالية ال

ولا ريب أن من وظيفة الإمام الله هو الدفاع عن المظلومين عموماً وعن شيعته خصو صاً.

جاء في خطبة البيان المنسوبة لأمير المؤمنين الله قال: «ولا يزال السفياني يقتل كل من اسمه محمد وعلي وحسن وحسين وفاطمة وجعفر وموسى وزينب وخديجة ورقية بغضاً وحنقاً لآل محمد...». (٣)

⁽۱) مسند أحمد: ج ٦ ص ٢٩٠ ومسلم: ج ٤ ص ٢٢٠٨ ب ٥٢ ج ٢٨٨٢.

⁽٢) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٦.

⁽٣) الزام الناصب ج٢ ص١٧٣ خطبة البيان.

وعن أمير المؤمنين الله المعث فيجمع الاطفال ويغلي الزيت لهم فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمها حسن وحسين فيصلبها، ثم يسير الى الكوفة فيفعل بها كما فعله بالأطفال ويصلب على باب مسجدها طفلين اسمهما حسن وحسين فتغلى دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا....».(١)

وسواء صحت هذه الروايات من حيث السند ام لم تصح، فإنها تعطي صوراً واضحة -وبضم الروايات الاخرى التي بيّنت سيرة السفياني في خروجه وتحركاته-عن سلوك السفياني وعقيدته وسيرته في الناس، فإنها تشير الى بغضه الصارخ لآل البيت اليهم بصلة ولو بالاسم، ويشير الى انه يعتبر التسمية رابطة عقائدية تشير الى مدلول باطني، فهو يقتل من ينتسب الى اهل البيت الله ولو بالاسم.

رابعاً: إن السفياني ينكث البيعة مع الإمام كما ذكرت ذلك بعض الروايات الشريفة، ونكثه للبيعة يساوق خروجه ضد الإمام، والخارج على إمام زمانه المفترض الطاعة حكمه أن يُقاتَل.

فعن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر على قال: «إذا بلغ السفياني أن القائم قد توجه إليه من ناحية الكوفة، يتجرد بخيله حتى يلقى القائم فيخرج فيقول: أخرجوا إلى ابن عمي، فيخرج عليه السفياني فيكلمه القائم في فيجيء السفياني فيبايعه ثم ينصر ف إلى أصحابه فيقولون له: ما صنعت؟ فيقول: أسلمت وبايعت فيقولون له: قبح الله رأيك بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعا فيستقبله فيقاتله، ثم يمسون تلك الليلة، ثم يصبحون للقائم بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك. ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى يفنوهم حتى أن الرجل يختفي في الشجرة والحجرة، فتقول الشجرة فيقتلونهم حتى أن الرجل يختفي في الشجرة والحجرة، فتقول الشجرة

⁽١) عقد الدرر ٩٣ و ٩٤.

والحجرة: يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله، فيقتله..».(١)

٢/البترية.

يظهر من الروايات الشريفة أنَّهم خطّ منحرف عقائدياً، حيث إنَّهم لا يتبرَّؤون من أعداء الإمام علي، وإنَّهم بتروا أمر أهل البيت على بعدم البراءة من أعدائهم، ولهم جذور تاريخية تمتدُّ إلىٰ زمن الإمام زين العابدين، ولمزيد بيان ننقل ما أورده الشيخ الصدوق: «البترية _ بضمِّ الباء الموحَّدة وسكون التاء المثنّاة الفوقية والراء المكسورة _، والنسبة بتري، وهم طائفة من الزيدية يُجوِّزون تقديم المفضول على الفاضل، يقولون: إنَّ أبا بكر وعمر إمامان وإن أخطأت الأُمَّة في البيعة لهما مع وجود علي، ولكنّه خطأ لم ينته إلى درجة الفسق، وتوقَّفوا في عثمان، ودعوا إلى ولاية أمير المؤمنين، ويرون الخروج مع بطون ولد علي، ويذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُثبِتون لكلِّ من خرج من أولاد علي عند خروجه الإمامة، وهم أصحاب المنكر، ويُثبِتون لكلِّ من خرج من أولاد علي عند خروجه الإمامة، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حيّ وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عتيبة وسَلَمة بن كهيل أبي يحييٰ الحضرمي، وأبي المقدام ثابت بن هرمز الحدّاد.»(٢).

وروى أيضاً بإسناده عن سدير، قال: «دخلت على أبي جعفر ومعي سَلَمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحدّاد وسالم بن أبي حفصة وكثير النواء وجماعة منهم، وعند أبي جعفر أبي جعفر أبي علياً وحسناً وحسيناً وحسيناً وحسناً من أعدائهم، قال: «نعم»، قالوا: فنتولّى أبا بكر وعمر ونتبرّاً من أعدائهم، قال: فالتفت إليهم زيد بن علي وقال لهم: «أتتبرّ ؤون من فاطمة الله بترتم أمرنا بتركم فالتفت إليهم زيد بن علي وقال لهم: «أتتبرّ ؤون من فاطمة الله بترتم أمرنا بتركم

⁽١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - ص ٣٨٨.

⁽٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج٤، ص٤٥٥-٥٤٥

الله » فيومئذ سمّوا البترية »(١).

وعلى كل حال، فقد ذكرت بعض الروايات أنهم سيخرجون ضد الإمام المهدي هو سيقاتلهم ويقتلهم، ففي بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: روى أبو الجارود، عن أبي جعفر هو في حديث طويل أنّه قال: "إذا قام القائم سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس يُدعون البترية، عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بنى فاطمة، فيضع فيهم السيف حتّىٰ يأتي على آخرهم»(٤).

وهذه الرواية على فرض ثبوتها فيها ما يأتي:

ا _ الرواية تتحدَّث عن أُناس منحرفين عقائدياً، حيث أطلقت عليهم الرواية اسم البترية، وهم طائفة من الزيدية يقولون بالنصِّ علىٰ أمير المؤمنين والحسنين وزين العابدين على فقط، ويدَّعون أنَّ الإمامة بعدهم شورىٰ في أولاد الحسنين لمن قام منهم بالسيف.

٢ _ إنَّ هذه الطائفة توالي قوماً غصبوا حقوق أهل البيت الله وأزالوهم عن مراتبهم.

٣ _ إنَّ هؤلاء الأقوام الذين يقتلهم الإمام الحجَّة الله رفعوا السلاح في وجهه وردوا دعوته ولم يستمعوا إليه.

⁽١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٠٤ و٥٠٥/ ح ٤٢٩.

⁽٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٩٩٤/ ح ٤٢٢.

⁽٣) من لايحضره الفقيه ٤: ٤٤٥ و ٥٤٥.

⁽٤) بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٨/ ح ٨١، عن الإرشاد ٢: ٣٨٤.

٤ _ إنَّ هؤلاء ليسوا من رجال العلم والعلماء، بل هم من جهلة الأُمَّة، فالروايات تُعبِّر عن علماء الدين برواة الحديث، ففي توقيع الإمام الحجَّة ﷺ: «وأمَّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنَّم حجَّتي عليكم وأنا حجَّة الله عليهم»(١).

ومن هنا يتَّضح أنَّ دعوىٰ قتل الإمام الحجَّة الله لعلماء الدين دعوىٰ باطلة منشؤها الجهل بتعابير الروايات، فأصحاب هذه الدعوىٰ قد وقعوا في جهل مركب.

٣/ذراري قتلة الإمام الحسين الله على المام الحسين الله على المام الحسين الله على المام الحسين الله على المام المام

حتى نعرف حقيقة الحال في هذا العنوان علينا أن نتبين أمرين:

الأمر الأول: إن من الأمور الواضحة للعيان أن قيام أية دولة ستواجهه العديد من المشاكل والتلكؤات، ومن الطبيعي جدا أن الدولة ومن أجل أن تبني نفسها وتحافظ على كيانها فإنها تعمل على إزالة الأشواك من طريقها قبل تعبيده.

وإذا كانت الدولة تنشد العدل وتطبق القسط، فإن العقل والطبيعة والفطرة الإنسانية تتفق على قبول بعض الإجراءات العملية ولو كانت صعبة قليلة، ولو استلزمت القيام ببعض الأعهال التي قد لا يتعرف الناس على مناشئها العقلية أو نتائجها الإنسانية إلا بعد حين، لكنهم حينها يتعرفون النتائج العظيمة لتلك الأفعال، فإنهم سيحكمون بحسنها بل وبضرورتها في وقتها، وما نحن فيه من هذا القبيل.

الأمر الثاني: هناك مبدأ إسلامي يقرره القرآن الكريم وتؤكده الروايات الشريفة، وهو أن العلاقة العقائدية القائمة على الرضا القلبي من أقوى العلاقات التي تجمع بين بني البشر على اختلاف جنسياتهم وقومياتهم، بل ورغم اختلاف أزمنتهم.

وهذا ما نجده بوضوح في الروايات الشريفة.

⁽١) كمال الدين: ٤٨٤/ باب ٥٥/ ح٤.

فقد ورد عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن الرضا قال: «من غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه».(١)

وعن أمير المؤمنين (أيها الناس، إنها عقر ناقة صالح واحد فأصابهم الله بعذابه بالرضا لفعله، وآية ذلك قوله (فَنَادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطىٰ فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذابِي وَنُذُرِ (٣)، وقال: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها * وَلا يَحَافُ عُقْباها (٤)، ألا ومن سئل عن قاتلى فزعم أنه مؤمن فقد قتلنى. (٥)

ولما أظفر الله أمير المؤمنين الله بأصحاب الجمل، قَالَ لَه بَعْضُ أَصْحَابِه: وَدِدْتُ أَنَّ أَخَدَائِكَ. أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا، لِيَرَى مَا نَصَرَكَ الله به عَلَى أَعْدَائِكَ.

فَقَالَ لَه ﷺ: أَهُوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ ﷺ: فَقَدْ شَهِدَنَا، ولَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وأَرْحَام النِّسَاء، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ ويَقْوَى بِهِمُ الإِيمَانُ. (٦)

ومن هذا المنطلق، وهذا المبدأ، يمكن أن نفهم ما ورد من أن الإمام المهدي اللهاء الميقتل ذراري قتلة الإمام الحسين اللهاء لرضاهم بفعال آبائهم.

فقد ورد أنَّ عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت لأبي الحسن عليِّ بن موسىٰ

⁽١) التوحيد - الشيخ الصدوق - ص ٣٩٢.

⁽٢) عيون أخبار الرضاك - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٨٢.

⁽٣) القمر ٢٩ و ٣٠.

⁽٤) الشمس ١٤ و ١٥.

⁽٥) الغيبة للنعماني ص ٣٥ مقدمة المؤلف.

⁽٦) نهج البلاغة - خطب الإمام على الله - ج١ - ص ٤٤.

الرضائي: يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق أنّه قال: "إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعال آبائها»؟ فقال نهو كذلك»، فقلت: فقول الله نهو: "هو كذلك»، فقلت: فقول الله نهو: "ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرِى (۱)، ما معناه؟ فقال: "صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنَّ رجلاً قُتِلَ في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب كان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنَّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم (۱).

ويُقرِّر الإمام الصادق هذا المبدأ أكثر فيها روى عنه محمّد بن الأرقط حيث قال له الإمام الصادق في: «تنزل الكوفة؟»، قلت: نعم، قال: «ترون قتلة الحسين بين أظهر كم؟»، قال: قلت: جُعلت فداك، ما بقي منهم أحداً، قال: «فأنت إذاً لا ترى القاتل إلاً من قُتِلَ أو من ولي القتل؟! ألم تسمع إلى قول الله: ﴿قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَيْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِاللَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴿"، فأيُّ رسول قتل الذين كان محمّد في بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسىٰ رسول، إنَّها رضوا قتل أُولئك فسمّوا قاتلين "''.

وهو الأمر الذي أشارت له العديد من زيارات الإمام الحسين ، بعنوان: «وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بذلِكَ فَرضِيَتْ بِهِ» (٥).

الخطوة الرابعة: الإمامُ داعيةُ سلام.

هنا مؤشرات لابد أنْ نلتفت إليها حتى تطمئن النفوس وتنشرح الصدور وتتحول

⁽١) الأنعام: ١٦٤.

⁽٢) علل الشرائع للصدوق ١: ٢٢٩/ باب ١٦٤/ ح ١.

⁽٣) آل عمران: ١٨٣.

⁽٤) تفسير العيّاشي ١: ٢٠٩/ ح ١٦٥.

⁽٥) مصباح المتهجِّد للطوسي: ٧٢١/ ح (٨٠٦/ ٥٧).

النظرةِ إلى نظرةٍ إيجابية تجاه الإمام ، فتكون دافعًا للعمل والتهيئة لدولته،

والمؤشِّرات على ذلك كثيرة، نذكر منها التالي:

۱ – وصفه بأنَّه رحمةً للعالمين في بعض الروايات الشريفة، ففي حديث اللوح الوارد عن جابر، عن الإمام الباقر ﷺ: «وأختم بالسعادة لابنه عليٍّ وليِّي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن، وأكمل ذلك بابنه (مح م د) رحمةً للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب...»(۱).

٢ - قبوله لبيعة السفياني رغم أفعاله الشنيعة، كما ذكرت ذلك بعض الروايات (٢).

٣ - ما ورد من إرساله الجند إلى القسطنطينية، ممّا يظهر منه أنّه أرسلهم للقتال،
 لكن عندما يستسلم أهاليها فإنّ جنده يتركون القتال، ويدخلون المدينة سلماً (٣).

٤ - ما ورد من جلوسه لمحاججة أهل الديانات بالدليل، عمَّا يعني أنَّه يُقدِّم الحجَّة والدليل العلمي على القتال...(١٠).

٥ - ما ورد من أنّه على سوف لا يقاتل إلّا من يقاتله، ولا يزيد على ذلك شيئاً، وهو أمر لا تجده إلّا عند من تتمثّل الإنسانية والأحكام الشرعية في سلوكه رغم ما عنده من أسباب القوَّة ما لا يحتاج معه إلى التودّد إلى أحد.

فقد روي بالإسناد إلى الكابلي، عن أبي جعفر هذه قال: «يبايع القائم بمكّة على كتاب الله وسُنَّة رسوله، ويستعمل على مكّة، ثمّ يسير نحو المدينة فيبلغه أنَّ عامله قُتِلَ، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة، ولا يزيد علىٰ ذلك»(٥).

- (١) الكافي للكليني ١: ٥٢٨/ باب فيها جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم الشير/ ح٣.
 - (٢) راجع: بحار الأنوار للمجلسي ٥٢: ٣٨٨/ ح ٢٠٦.
 - (٣) الغيبة للنعماني: ٣٣٤ و٣٣٥/ باب ٢١/ ح ٨.
 - (٤) علل الشرائع للصدوق ١: ١٦١/ باب ١٢٩/ ح٣.
 - (٥) بحار الأنوار للمجلسي ٥٦: ٣٠٨/ ح ٨٣.

٦ - ما ورد من أنّه وأصحابه يعظون بعض الخارجين عليهم قبل أن يبدؤوهم القتال، ممّاً يعني أنّهم يرجون أن لا يكون بينهم قتال، ولكن لو لم يكن إلّا الكيّ فهو آخر العلاج.

فقد ورد عن الإمام الباقر عن الإمام الباقر الله : «ثمّ يرسل جريدة خيل إلى الروم فيستحضرون بقيَّة بني أُميَّة، فإذا انتهوا إلى الروم قالوا: أخرجوا إلينا أهل ملَّننا عندكم، فيأبون ويقولون: والله لا نفعل، فيقول الجريدة: والله لو أمرنا لقاتلناكم، ثمّ ينطلقون إلى صاحبهم...»(١).

إنَّ هذه المؤشِّرات وغيرها واضحة في أنَّ الإمام المهدي الموقع بموقع القوَّة والهيمنة، إلَّا أنَّه لا يبدأ المشركين، بل الزنادقة وأهل الردَّة بالقتال، وإنَّما يُظهِر لهم من قوَّة البطش والقتل، وما هذا إلَّا لأنَّه داعية صلاح وسلام، اللّهمّ إلَّا من يأبي منهم، أو من يبادر الإمام الواضح والذي لحركة الإصلاح المهدوية العالمية، فإنَّه يتعامل معه التعامل الإسلامي الواضح والذي فعله قبله رسول الله ٩ عندما كان يضطرُّ إلىٰ ذلك.

هذا فضلاً عن توافق هذا الفعل مع القانون العقلائي القاضي بإزاحة العقبات عن طريق الإصلاح.

فيتلخص:

١/ إنَّ الإمام على سيقوم ببعض المعارك؛ لأنَّ هذه مسألةٌ طبيعية لبناء الدولة وهي غير خارجة عن حدود الإسلام، وإنَّ النبي عَيَّالًا أيضًا فعل ذلك.

٢/ لا يكون القتال هو الطابع العام لحركة الإمام، فيقتل بصورة عشوائية وغير مبررة كما يتصور البعض. وإنّما كلّ ما سيقوم به الإمام، من قتالٍ مبررٌ إسلاميًا وإنسانيًا وعقلائيًا.

⁽۱) تفسير العيّاشي ۲: ۲۰/ ح ٤٩.

المبحث التاسع:

ضمانات الانتصار المهدوي

للدول الكافرة منظومة ضخمة جدًا من الأسلحة، ترسانة بإمكانها أن تفني الأرض ست مراتٍ حسب بعض التقارير، ومع كلِّ هذا التطور في تلك الدول، كيف سيواجه الإمام على تلك القوى؟ هل هناك ضمانات توضح لنا كيفية انتصار الإمام على أعدائه؟

الجواب:

نجيب ببعض العناوين؛ لأنّ البحث في هذا الموضوع ضخمٌ جدًا، ولكن قبل الجواب من المناسب أنْ نشير إلى ملاحظةٍ جدًا مهمة وهي تبعث الاطمئنان في النفوس، وهي:

إنَّ الإمام المهدي هو وعد الله ، وقد أخبر الله والروايات الشريفة الكثيرة المتواترة لدى الطرفين أنَّ الإمام هسينتصر، وأنَّ الله سيؤيده بالنصر ويُمكِّن له الأرض، وهذه هي النتيجة. أما الضهانات فمعرفتها قد تدخل في باب الفضول العلمي الذي يزيد من الاطمئنان في النفوس ويساعد في جدال الطرف المقابل.

وعلى كل حال، فهناك عدةُ ضماناتِ تساعد في انتصار القضية المهدوية:

الضمان الأول: قوة مصادر القضية المهدوية.

وهذا ما أشرنا إليه في بداية البحث في القضية المهدوية، وإنَّ من أهم مصادر قوة

هذه القضية كونها قضية إنسانية أولًا، وكونها نابعةً من الواقع لمعالجة الواقع ثانيًا، وكونها وعدًا إلهيًا وأصلًا اعتقاديًا ثالثًا.

الضمان الثانى: عنصر المباغتة:

المباغتة: بضم الميم وفتح الغين من بغته الامر، أي: فاجأه. ولقيته بغتة، أي: فجأة، ومنه: مباغتة العدو. (١)

من الأمور التي أكدت عليها الروايات الشريفة بشأن الظهور المبارك، أمران:

الأمر الأول: إن وقت الظهور غير محدد.

والروايات في هذا المعنى عديدة، نذكر منها التالي:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله ﷺ إِذْ دَخَلَ عَلَيْه مِهْزَمٌ، فَقَالَ لَه: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الأَمْرِ الَّذِي نَنْتَظِرُ مَتَى هُوَ؟ فَقَالَ: يَا مِهْزَمُ، كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ وَهَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ وَنَجَا الْمُسَلِّمُونَ». (٢)

وعن محمد بن مسلم، قال: «قال أبو عبد الله عند عمد، من أخبرك عنا توقيتاً فلا تهابن أن تكذبه، فإنا لا نوقت لأحد وقتاً».(")

وهنا قد يرد إلى الذهن سؤال(٤):

ما هي الحكمة من عدم التوقيت والنهي عنه؟

أوَ لم يكن الأفضل أن يذكر لنا أهل البيت الله وقت الظهور بالضبط، حتى نكون على بينة من أمرنا؟

⁽١) معجم لغة الفقهاء - محمد قلعجي - ص ٣٩٩.

⁽٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨ - ٣٦٩ باب كراهية التوقيت، الحديث ٢.

⁽٣) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٠٠ الباب ١٦ الحديث ٣.

⁽٤) مستفاد من مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي اللهادي

الجواب:

لابد أن يعلم أنه إن كان المقصود من الحكمة هي العلة التامة، فلا يعلم العلة التامة الاالله جل وعلا.

أما إن كان المقصود منها الحكمة أو الفائدة فنقول: هناك فوائد كثيرة:

أولاً: إن انتظار الفرج بمعنى ترقب ظهور المهدي في كل زمان، يستوجب - في ما يستوجب - أن يكون المؤمن متهياً للظهور في أية لحظة، وهذا يناسبه عدم التوقيت، بحيث يتوقع المؤمن الظهور في أية لحظة، على غرار ما ورد «فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً»(١)

ثانياً: إن الظهور ممكن جداً في العصر الراهن، بدليل الروايات الشريفة التي تصرح بأن ظهور الإمام هو أمر مخفي ويحصل فجأة، من قبيل «فليعمل كل امرئ منكم بها يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدنيه من كراهيتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجاءة، حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»(٢).

ومن قبيل «يصلح الله له أمره في ليلة». (٣)

ثالثاً: إن التوقيت يولد اليأس والإحباط، وهذا أمر وجداني، فلو علمت يقيناً بأن الظهور سوف يكون في سنة ٣٠٠٠ ميلادية، فإن اليأس سيدب أكيداً في ذهني ويمنعني من العمل على تهيئة الظروف المناسبة للظهور، فإني أكيداً لن أدركه.

ورابعاً: لو علم الشخص بأن وقت الظهور مثلاً هو في عام ٢٠٥٠ فإن إمكانية انحراف الشخص عن سبيل الشريعة وارد جداً، وإذا دعوته إلى التوبة لأخبرك بأنه

⁽١) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٧ الباب ٢٣ الحديث ١٠.

⁽٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

⁽٣) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٢ الباب ٦ الحديث ١٣.

سيتوب قبيل الظهور! وهذا المعنى يكون أوضح إذا نظرنا إلى قضية الموت.

الأمر الثاني: إن الظهور حيث إنه لم يحدد وقته، فسيكون الظهور مفاجأة وبغتة. وهو أمر أكّدته الروايات كثراً.

روي أن النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال ﷺ: مثله مثل الساعة التي ﴿لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّهاواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾(١).(٢)

وعن أبي حمزة الثمالي أنه سئل الإمام الباقر عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (٣)، فقال: يعنى قيام القائم ». (١)

وفي مكاتبة الإمام المهدي الشيخ المفيد تتُكن ... فليعمل كل امرئ منكم بها يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة. (٥)

وهو ما حدث في غزوة بني النضير كها حكى القرآن لنا ذلك في قوله عز من قائل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحُشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي

- (١) الأعراف ١٨٧
- (٢) كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق ص ٣٧٣.
 - (٣) الأنعام ٤٤
- (٤) بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار ص ٩٨.
- (٥) الاحتجاج الشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٣٢٣ ٣٢٤.

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيمِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾.(١)

ولعنصر المباغتة فوائد مزدوجة:

الأول: عنصرٌ قوةٍ في المجال العسكري للإمام المهدي ك.

الثاني: عنصرُ إنذارٍ للذين ابتعدوا عن الطريق الصحيح، فالتشيع الحقيقي لا يقتصر على الادعاء والأقوال المجردة عن واقع يصدقها؛ إذ إنَّ الدين كلَّه عملٌ يجسد العقيدة، وليس الإيهان قول بلا عمل، بل إن الإيهان عمل كله، فعلى من يدّعي التشيع أن يعجل بالتوبة وأن يستمر بالسير على الصراط المستقيم، إذ لعل الظهور يحدث فجأة وهو في غفلة لو كان عاصياً.

الضمان الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش.

فهي على مستوى عالٍ من القوة والانضباط والإيمان والجهاد، وكلَّ هذه الأمور تؤدي إلى جيش قوي لا يُقهر. وفي هذه القضية جهتين:

الجهة الأولى: شخصية القائد:

لا شك أنَّ شخصية القائد لها تأثير مباشر إيجابي أو سلبي على الجيش، فإذا كانت شخصية فذة وكان القائد قائدًا محنكًا لا يخاف فإنَّ الجيش ستكون معنوياته قوية جدًا، والعكس بالعكس.

فلا يختلف اثنان في أن هناك صفات واقعية إذا ما توفرت في القائد، فإن من شأنها أن تولّد إخلاصاً لا مثيل له في الأفراد، مما يجعلهم مستعدين للتضحية من أجل قضيتهم، سواء بالأموال أم بالأنفس.

وشخصية المهدي الحتوت على الكثير من الصفات تلك، ومن أهمها التالي:

⁽١) الحشر: ٢.

الصفة الأولى: العصمة: وهذه الصفة وإن كانت مختصة بمن يعتقد بها في الإمام، لكنها على كل حال ستفرز سلوكاً اجتهاعياً عميزاً، يجعل كل من يراه يطمئن قلبه له، على غرار ما روي عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن الرضا يقول: «رحم الله عبداً أحيى أمرنا»، فقلت له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: «يتعلَّم علومنا ويُعلِّمها الناس، فإنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتَّبعونا...»(۱).

وهذه سيرة أهل البيت الله المسلم المعصوم على أن سلوكهم الاجتهاعي المعصوم كان من أهم الأسباب التي أدت إلى اطمئنان المخالفين لهم إن لم نقل هدايتهم والانضواء تحت لوائهم.

والعصمة تنضوي في حقيقتها على علم لدني، ينكشف معه الواقع للمعصوم، وهذا ما يفرز سلوكاً مزدوجاً ذا أثرين:

الأثر الأول: إنه يولّد لدى الأتباع إحساساً بمراقبة الإمام الدائمة والمستمرة لهم، خصوصاً مع تصريح الروايات بهذا المعنى.

الأثر الثاني: إنّه يولّد إحساساً بالاطمئنان بأن الأتباع هم في عين قائدهم، وهو يتابع أمورهم باستمرار، فينامون قريري العيون بتلك المتابعة.

الصفة الثانية: الإنصاف: فقد ذكرت بعض الروايات الشريفة أن من أنصافه النه سيشترط شروطاً على أصحابه، في قبال التزامات يُلزم بها نفسه، وهذا من الإنصاف الذي قلما يوجد عند قائد، فقد روي أنه النه يقول لأصحابه: «إني لست قاطعاً أمراً حتى تبايعوني على ثلاثين خصلة تلزمكم، لا تغيرون منها شيئاً، ولكم على ثمان خصال.

قالوا: قد فعلنا ذلك، فاذكر ما أنت ذاكريا بن رسول الله عَنالَة، فيخرجون معه إلى

⁽۱) معاني الأخبار للصدوق: ۱۸۰/ باب معنىٰ قول الصادق ﷺ: من تعلَّم علمًا ليماري به السفهاء.../ ح ۱.

الصفا، فيقول: أنا معكم على أن لا تولوا، ولا تسرفوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا محرماً، ولا تأتوا فاحشة، ولا تضربوا أحداً إلا بحقه، ولا تكنزوا ذهباً ولا فضة ولا تبراً ولا شعيراً، ولا تأكلوا مال اليتيم، ولا تشهدوا بغير ما تعلمون، ولا تخربوا مسدداً، ولا تقبحوا مسلياً، ولا تعلنوا مؤاجراً إلا بحقه، ولا تشربوا مسكراً، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج، ولا تبيعوها رباً، ولا تسفكوا دماً حراماً، ولا تغدروا بمستأمن، ولا تبقوا على كافر ولا منافق، وتلبسون الخشن من الثياب، وتتوسدون التراب على الخدود، وتجاهدون في الله حق جهاده، ولا تشتمون، وتكرهون النجاسة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر.

فإذا فعلتم ذلك فعلي أن لا أتخذ حاجباً، ولا ألبس إلا كما تلبسون، ولا أركب إلا كما تركبون، وأرضى بالقليل، وأملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأعبد الله عز ودجل حق عبادته، وأفي لكم وتفوا لي.

قالوا: رضينا واتبعناك على هذا.

فيصافحهم رجلاً رجلاً.»(١)

الصفة الثالثة: التعامل الحازم مع خوارق النظام.

والتي تشمل:

١/ منهج الطاعة المطلقة لله ١٠٠٠

⁽١) عقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيى المقدسي ص ٩٣ و ٩٤.

⁽٢) الغيبة للنعماني ص ٣٤٥ و ٣٤٦ ب١٣ ح ٣٢.

٢/ منهج اليقين.

٣/ المنهج العلمي.

٤/ المنهج الأخلاقي.

٥/ المنهج الاقتصادي.

٦/ منهج الأمن العام.

٧/ منهج الصحة العامة.

وكل هذه الجهات صرحت بها الروايات الشريفة، وعلى من يحب التوسع مراجعة الروايات الواردة بشأن بركات الدولة المهدوية. (١)

الجهة الثانية: الجيش.

وجيش الإمام سيكون مركبًا من:

القسم الأوَّل: أصحاب الألوية:

وهم الأصحاب الذين يبدأ الإمام معهم نهضته، وهم الـ (٣١٣) رجلاً.

قال الإمام الصادق على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثة مائة وثلاثة عشر رجلاً، عدَّة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكّام الله في أرضه على خلقه»(٢).

القسم الثاني: الجيش الذي سيخرج به من مكَّة المكرَّمة:

وقد اختلفت الروايات في تحديد عدده بين (١٠) أو (١٢) أو (١٥) ألفاً.

⁽۱) للتوسع يمكن مراجعة كتاب: في رحاب حكومة الإمام المهدي الشيخ نجم الدين الطبسي- ترجمة الشيخ أحمد وهبي- مطبعة نكارش- الطبعة الأولى سنة النشر ١٤٢٥ هـ.ق. ص ٧١ وما بعدها. (٢) كهال الدين للصدوق: ١٤٢٦ و ٢٧٣ باب ٥٨/ ح ٢٥.

ورد عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله ﴿ الله ﴿ يَخْرِجِ الْقَائِمِ ﴿ حَتَّىٰ يَكُونَ تَكُمُلَةُ الْحُلْقَةُ ﴾، قلت: وكم تكملة الحلقة ؟ قال: «عشرة آلاف...» (١).

وقد روىٰ السيِّد ابن طاووس في (الملاحم والفتن)(٢) عن ابن زرير الغافقي أنَّه سمع عليّاً هي يقول: «يخرج المهدي في اثني عشر ألفاً إن قلوا، وخمسة عشر ألفاً إن كثروا...».

يُضاف إلى ذلك من سيلتحق به في قادم الأيام، كالحسني وجيشه، وأمثاله، وبقية المؤمنين.

الضمان الرابع: مساندة العنصر الغيبي لتلك القضية:

صحيح أن الصفة العامة لحركة التغيير المهدوية هي الصفة الطبيعية، أي اتخاذ الإجراءات العملية بصورة طبيعية لا إعجازية، وهذا الأمر هو ما قد يكون من أسباب تأخر اليوم الموعود إلى حين اكتهال التهيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة (الزمنية والبشرية)، وهو ما قد تشير له بعض الروايات الشريفة، من قبيل ما ورد عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عند لا يخرج القائم حتى يكون تكملة الحلقة. قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: عشرة آلاف...».(٣)

إن هذا كله صحيح.

⁽١) الغيبة للنعماني: ٣١٩ و٣٢٠/ باب ١٩/ ح ٢.

⁽٢) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٣٨/ ح ١٥٨.

⁽٣) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٢٠.

⁽٤) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٣٥.

ولكن مع ذلك، نجد أن السنة الإلهية اقتضت أن يكون هناك تأييد غيبي للحركات الرسالية، وهذا التأييد له عدة مبررات، يمكن إجمالها بالتالي:

أولاً: قد يقتضي إثبات الحق في بعض الأحيان قدرات غيبية، حينها تعجز القدرات الطبيعية عن إنجاز ذلك.

ثانياً: إنها تزيد من قوة الأتباع وإصرارهم وثباتهم على مبدئهم، فإن رؤيتهم للعنصر الغيبي بين يدي قائدهم يطمئنهم بأن الغيب معهم، وبأن قوة -أعلى من قوة أي إنسان وأية قوة - تسير معهم وبجانبهم.

ثالثاً: إن الإعجاز خير دليل على حقانية الحركة، لذلك كانت المعجزة هي أول ما يطالب به الناس الأنبياء إبان دعواتهم الإلهية.

أو قل: إنها فيصل مهم يميز الحركة الحق من الأخرى الكاذبة، ولذلك يمكننا أن نطالب من يدّعي المهدوية بم لا يستطيع أن يأتي به إلا من عنده تأييد إلهي غيبي، على غرار ما ورد عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عن يقول: «...إن ادّعى مدع فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله».(١)

وأوضح ما ورد في ذلك ما جاء في إقامة الإمام المهدي المعجزة الواضحة للحسني عندما يطالبه بها لإثبات أنَّه الحقّ. (٢)

وكل هذا يولّد نقطة قوة لا مثيل لها في أية حركة تصاحبها المعجزة، أو قل: يصاحبها التأييد الغيبي.

والقضية المهدوية شأنها شأن الحركات التغييرية للأنبياء، ستقوم وفق القانون الطبيعي، لكن العنصر الغيبي سيكون حاضراً فيها بصورة واضحة جداً، وهو ما

⁽۱) الغيبة للنعماني: ۱۷۸/ باب ۱۰/ فصل ٤/ ح ٩.

⁽٢) راجع: الهداية الكبرى: ٤٠٤.

حدّثتنا به روايات الملاحم وعصر الظهور.

المفردة الأولى: الصيحة:

فإن عنصر التأييد الغيبي فيها واضح جداً، فالمنادي بها هو جبرئيل، والصوت يصل إلى الجميع في لحظة واحدة، بل ويفهمها الجميع مرة واحدة، والصوت يوضح وبصراحة أن الحق هو مع المهدي .(١)

المفردة الثانية: الخسف في البيداء.

فعندما يلحق جيش السفياني بالمهدي، يؤمر به، فيُخسف به في البيداء بين مكة والمدينة، وهي علامة إعجازية بحتة.

المفردة الثالثة: الرعب:

ففي الرواية عن أبي جعفر ﷺ: «...يسير الرعب أمامه شهرا وخلفه شهرا...».(۲) وعن علي ﷺ: «...ويسير الرعب بين يديه...».(۳)

المفردة الرابعة: بعض خصائص الإمام على:

۱/ عدم تغيّر هيأته وقوَّته بمرور الدهور والسنين، وخروجه يوم يخرج شاباً
 كأقوى ما يكون الإنسان، وإن كان عمره أكبر من عمر أيّ شيخ موجود:

فعن أبي الصلت الهروي، قال: قلت للرضا على: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: «علامته أن يكون شيخ السنّ، شابّ المنظر، حتّى أنَّ الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٦ - ص ٣٤٣ عن تفسير العياشي ج٢ ص ٥٩

⁽١) غيبة النعماني/ باب ١٤.

⁽٣) الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٣٨ عن نعيم.

سنة أو دونها، وإنَّ من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتَّىٰ يأتيه أجله »(١).

ولذا، فمن فتن وامتحانات الظهور هو خروج الإمام شابًا وهم يظنّونه شيخاً كبيراً، فعن أبي عبد الله في أنّه قال: «لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شابًا موفّقاً، لا يثبت عليه إلّا من قد أخذ الله ميثاقه في الذرّ الأوّل»، وفي غير هذه الرواية أنّه قال في: «وإنّ من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شابًا وهم يحسبونه شيخاً كبيراً»(١).

٢/ تظليل غمامة على رأسه الشريف دائماً، وصوت من تلك الغمامة يسمعه الثقلان بأنَّ هذا مهدي آل محمّد، وبعض الروايات قالت بأنَّ المنادي بذلك الصوت هو ملك، ولا منافاة بين الروايتين كما هو واضح.

فعن الإمام الصادق (... يظهر في آخر الزمان [و]على رأسه غمامة تظلّه من الشمس تدور معه حيثها دار تنادي بصوت فصيح هذا المهدي (٢٠).

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله على: « يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها منادِ ينادى: هذا المهدى خليفة الله فاتَّبعوه » (٤).

وفي رواية أُخرى عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلىٰ رأسه ملك ينادى: ألا إنَّ هذا المهدى فاتَّبعوه»(٥٠).

٣/ عنده مواريث الأنبياء(٢)، ومن تلك المواريث ما صفته إعجازية كعصا موسى

⁽۱) كمال الدين: ٢٥٢/ باب ٥٧/ ح ١٢.

⁽٢) الغيبة للنعماني: ١٩٤ و١٩٥/ باب ١٠/ فصل ٤/ ح ٤٣.

⁽٣) كشف الغمَّة ٣: ٢٧٥.

⁽٤) كشف الغمَّة ٣: ٢٧٠/ ح ١٦.

⁽٥) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٩/ ح ١.

⁽٦) انظر لتفاصيل تلك المواريث: شذرات مهدوية - الشيخ حسين الاسدي - الشذرة السادسة.

ودرعي رسول الله على فإذا ما لبسه غير المعصوم لا يستوي عليه، وأما الإمامة)، ولا يلبسه إلا المعصوم، فإذا ما لبسه غير المعصوم لا يستوي عليه، وأما الدرع الآخر: فيسمى بـ(درع الخاتمية)، وهذا لا يستوي إلا على الرسول على والإمام المهدي في وقد روي عن الإمام الصادق في يذكر فيها بعض مواريث الأنبياء التي ورثها أهل البيت على «ولقد لبس أبي درع رسول الله على فخطّت على الأرض خطيطاً، ولبستها أنا فكانت وكانت، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إن شاء الله»(١).

المفردة الخامسة: نصرته بالملائكة.

وهو ما ذكرته الروايات الكثيرة أيضًا، فعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي الله يقول: «لو قد خرج قائم آل محمّد الله بالملائكة المسوّمين والمردفين والمنزلين والكرّوبيين، يكون جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والملائكة المقرّبون حذاه...»(٢). تذكر بعض الروايات الشريفة أنَّ مجموعة من الملائكة نزلوا لنصرة الإمام الحسين، ولكنّهم لم يُؤذَن لهم، وكان رئيسهم اسمه (منصور)، وأنّهم ينتظرون قيام القائم الله لينصروه وليكونوا معه.

وعن الإمام الصادق : «... وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين الم يُؤذَن لهم، فرجعوا في الاستيار، فهبطوا وقد قُتِلَ الحسين، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره زائر إلَّا استقبلوه، ولا يُودِّعه مودِّع إلَّا شيَّعوه، ولا مريض إلَّا عادوه، ولا يموت ميِّت إلَّا صلّوا عليه

⁽١) الكافي ١: ٢٣٣/ باب ما عند الأئمَّة من سلاح رسول الله ٩ ومتاعه/ ح١.

⁽٢) الغيبة للنعماني: ٢٣٩ و٢٤٠/ باب ١٣/ ح ٢٢.

وغيرها من الروايات.

المفردة السادسة: إحياء بعض الموتى وحضورهم في ركبه الله المفردة السادسة المسادسة المس

عن أبي عبد الله الله الله الله الله الله الله الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالكاً الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً» (٢).

وموضوع الرجعة موضوع مستقل، لذلك أفرده الشيخ تتمُّ ببحث خاص.

⁽۱) الغيبة للنعماني: ٣٢٣/ باب ٢٠/ ح ٥.

⁽٢) الإرشاد ٢: ٣٨٦.

عقيدتنافي الرجعة

قال سماحة الشيخ المظفر (رحمه الله وطيّب ثراه):

«عقيدتنا في الرجعة:

إنّ الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بها جاء عن آل البيت على أنّ الله يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيُعِزُّ فريقاً ويُذِلُّ فريقاً آخر، ويديل المُحقين من المُبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيهان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كها حكى الله في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المُرتجعين الذين لم يُصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أنْ يخرجوا ثالثاً لعلهم يُصلحون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاكُو بِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجِ مِنْ سَبِيلٍ ﴾.

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، وتظافرت بها الأخبار عن بيت العصمة.

والإمامية بأجمعها عليه إلا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة بأنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتى.

والقول بالرجعة يُعدُّ عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها،

وكان المؤلفون منهم في رجال الحديث يُعدّون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي والشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته وطرحها.

ويبدو أنّهم يُعدّونها بمنزلة الكفر والشرك بل أشنع، فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تنبز به الشيعة الإمامية ويشنع به عليهم.

ولا شكَّ في أنَّ هذا من نوع التهويلات التي تتخذها الطوائف الإسلامية فيما غبر ذريعة لطعن بعضها في بعض والدعاية ضده.

ولا نرى في الواقع ما يبرر هذا التهويل، لأنَّ الاعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوة، بل يؤكد صحة العقيدتين، إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله كالبعث والنشر، وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته (صلى الله عليه وعليهم) وهي عيناً معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح هنا؛ لأنها بعد أنْ يصبح الأموات رميهاً ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِي رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *

وأما من طعن في الرجعة باعتبار أنّها من التناسخ الباطل، فلأنّه لم يفرق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني، والرجعة من نوع المعاد الجسماني، فإن معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول، وليس كذلك معنى المعاد الجسماني، فإن معناه رجوع نفس البدن الأول بمشخصاته النفسية فكذلك الرجعة.

وإذا كانت الرجعة تناسخاً فإنّ إحياء الموتى على يد عيسى كان تناسخاً، وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً.

إذن، لم يبقَ إلا أنْ يناقش في الرجعة من جهتين (الأولى) أنّها مستحيلة الوقوع (الثانية) كذب الأحاديث الواردة فيها.

وعلى تقدير صحة المناقشتين فإنّه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة من الشناعة التي

عقيدتنا في الرجعة الرجعة المرجعة المرج

هو لها خصوم الشيعة.

وكم من معتقداتٍ لباقي طوائف المسلمين هي من الأمور المستحيلة أو التي لم يثبت فيها نص صحيح، ولكنّها لم توجب تكفيراً وخروجاً عن الإسلام، ولذلك أمثلةٌ كثيرةٌ: منها الاعتقاد بجواز سهو النبي أو عصيانه، ومنها الاعتقاد بقدم القرآن، ومنها القول بالوعيد، ومنها الاعتقاد بأنّ النبي لم ينص على خليفة من بعده.

على أنَّ هاتين المناقشتين لا أساس لهم من الصحة، أما أنّ الرجعة مستحيلةٌ فقد قلنا أمّا من نوع البعث والمعاد الجسماني غير أمّا بعثٌ موقوتٌ في الدنيا، والدليل على إمكان البعث دليلٌ على إمكانها.

ولا سبب لاستغرابها إلا أنها أمرٌ غير معهودٍ لنا فيها ألفناه في حياتنا الدنيا، ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقربها إلى اعترافنا أو يبعدها وخيال الإنسان لا يسهل عليه أنْ يتقبّل تصديق ما لم يألفه، وذلك كمن يستغرب البعث فيقول: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ فيقال له: ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾.

نعم في مثل ذلك، مما لا دليل عقلي لنا على نفيه أو إثباته أو نتخيل عدم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التي هي من مصدر الوحي الإلهي، وقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات كمعجزة عيسى في إحياء الموتى ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَضَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ﴾، وكقوله في إحياء الموتى ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَضَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ﴾، وكقوله في إحياء الموتى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بَعَثه والآية المتقدمة: ﴿قَالُوا رَبّنَا أَمَتّنَا اثْنَتَيْنِ.. ﴾، فإنه لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وإنْ تكلّف بعض المفسرين في تأويلها بها لا يروى الغليل ولا يُحقِّق معنى الآية.

وأما المناقشة الثانية، وهي دعوى أنَّ الحديث فيها موضوع، فإنّه لا وجه لها؛ لأنّ الرجعة من الأمور الضرورية فيها جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة. وبعد هذا، أفلا تعجب من كاتب شهير يدعي المعرفة مثل أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) إذ يقول: «فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة»، فأنا أقول له على مدعاه: فاليهودية أيضاً ظهرت في القرآن بالرجعة، كها تقدم ذكر القرآن لها في الآيات المتقدمة.

ونزيده فنقول: والحقيقة أنّه لا بُدّ أنْ تظهر اليهودية والنصر انية في كثيرٍ من المعتقدات والأحكام الإسلامية؛ لأنّ النبي الأكرم جاء مصدقاً لما بين يديه من الشرائع الساوية وإنْ نسخَ بعض أحكامها، فظهور اليهودية أو النصر انية في بعض المعتقدات الإسلامية ليس عيباً في الإسلام، على تقدير أنّ الرجعة من الآراء اليهودية كما يدّعيه هذا الكاتب.

وعلى كُلِّ حالٍ فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها، وإنّا اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت الله الذين ندين بعصمتهم من الكذب، وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، ولا يمتنع وقوعها.» انتهى.

أشار الشيخ إلى عدة نقاطٍ نتناولها بشيءٍ من التوضيح تباعًا، وهي:

النقطة الأولى: معنى الرجعة.

إنَّ الرجعة بعبارة بسيطة هي: رجوع بعض الأموات بأجسادهم التي دُفِنوا بها إلى دار الدنيا عند ظهور الإمام المهدي الله الميكاني الميكانية الترى لهم من النقطة التي ماتوا عندها، لا من نقطة الصفر.

فتختلف رجعة الإنسان عن ولادته في أن الولادة هي خروج من رحم الأم ومن نقطة الصفر، ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. (١)

⁽۱) النحل ۷۸

عقيدتنا في الرجعة الرجعة المرجعة المرج

كما تختلف عن البعث يوم القيامة من عدة جهات، منها: أنّها خاصة، ورجوعٌ إلى عالم الدنيا، ومتبوعةٌ بالموت، أما البعث فهو عام لجميع البشرية التي وجدت على وجه الأرض بل حتى الحيوانات، ولا يكون إلا في عالم الآخرة، وهو يوم الخلود.

وتختلف أيضًا عن التناسخ الذي يعتقد به البعض؛ لأنَّ التناسخ يعني تحول وانتقال الروح إلى جسم جديد إنساني أو حيواني، ويبدأ التكامل من نقطة الصفر، على حين أنَّ الرجعة هي رجوعُ الروح إلى نفس الجسد الذي خرجت منه لا إلى غيره، وترجع إليه وهو بنفس الحالة الكهالية التي كانت عندما خرجت الروح منه.

تفسيرٌ آخر للرجعة ومناقشته:

حاول البعض أنْ يفسر الرجعة بتفسيرٍ غير ما تقدّم، وخلاصته: رجوع الحق والإمامة إلى أصحابها الشرعيين أهل البيت الله في زمن الإمام المهدي الأموات إلى الحياة.

وهو تفسيرٌ ليس وليد اليوم، إنَّما يظهر من بعض الروايات الشريفة أنَّه موجود في زمن الأئمة على من يقول بهذه المقولة من الشيعة (مقصرة الشيعة).

روي أنَّ الإمام الصادق على سأل المفضل بن عمر: «فمن أين قلت برجعتنا ومقصرة شيعتنا أن معنى الرجعة أن يرد الله الينا ملك الدنيا فيجعله للمهدي، ويجهم متى سلبنا الملك حتى يرد إلينا.

قال المفضل: لا والله يا مولاي ما سلبتموه ولا تسلبونه لأنه ملك النبوة والرسالة

والوصية والإمامة.

قال الصادق ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ ثُخْيِ اللَّوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ قُول الله جل من قائل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ ثُخْيِ اللُّوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَهٰ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ (())، فأخذ إبراهيم ﴿ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ (())، فأخذ إبراهيم أربعة أطيار فذبحها وقطعها وأخلط لحومها وريشها حتى صارت قبضة واحدة ثم قسمها أربعة اجزاء وجعلها على أربعة أجبال ودعاها فأجابته وأقرت وأيقنت بوحدانية وبرسالة إبراهيم بصورها الأولية... (())

وأخذ الإمام على يعدد بعض الآيات التي تدل على وقوع الرجعة في الأمم السابقة...

النقطة الثانية: القيمة الاعتقادية للرجعة.

إنَّ الاعتقاد بالرجعة لا يُعدُّ أصلًا من أصول الدين بحيث يكفر منكرها أو يخرج عن المذهب فيها إذا كان إنكاره لها عن شبهةٍ أو عن شيءٍ اعتقد به دليلًا على عدم وقوعها.

وبعبارةٍ أخرى: لو قال شخصٌ بعدم ثبوت أدلة الرجعة عنده، فلا يكفر ولا يخرج عن المذهب؛ لذلك تجد أنَّ هناك خلافًا في إثباتها أو نفيها بين العلماء. وبهذا الاعتبار، فلا يصح جعلها مفصلًا يكفر عليها الإنسان إثباتًا أو نفيًا.

نعم، إن كان إنكارها راجعًا إلى إنكار قدرة الله عليها، أي استلزم إنكارها إنكار قدرته عليها، أي استلزم إنكارها إنكار قدرته على إحياء الموتى، فهذا يستلزم الكفر، ولكن لا من جهة إنكار الرجعة بما هي، ولكن لاستلزامها إنكار صفة ذاتية من صفاته وهي القدرة الثابتة عقلًا ونقلًا.

⁽١) البقرة ٢٦٠

⁽٢) الهداية الكبرى للخصيبي ص١٩٥ و ٤٢٠.

عقيدتنا في الرجعة ٣٧٩

والقول بعدم ترتب الكفر على منكر الرجعة لا يعني أنَّها ليست من المسائل العقائدية الضرورية، بل هي ضرورية؛ للأدلة المتواترة التي أقيمت عليها، بل أشار السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان إلى أنَّ الروايات الدالة على الرجعة قد بلغت ما يقرب من الخمسائة رواية.(١)

وقال في موضع آخر: وأخبار الرجعة من طرق الشيعة كثيرة جدا.(٢)

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها: «ليس التدينُّن بالرجعة في مذهب الشيعة بلازم ولا إنكارها بضار، ولا يُناط التشيع بها وجودًا وعدمًا، وليست هي إلا كبعض أنباء الغيب وحوادث المستقبل وأشراط الساعة مثل نزول عيسى من السهاء وظهور الدجال وخروج السفياني وأمثالها من القضايا الشائعة عند المسلمين وما هي من الإسلام في شيء، وليس إنكارها خروجًا منه ولا الاعتراف بها بذاته دخولًا فيه وكذا حال الرجعة عند الشيعة». (٣)

النقطة الثالثة: هل الرجعة أمر ممكن أو مستحيل؟

إننا نحكم ببطلان عقيدةٍ ما إذا كانت متصفةً بإحدى صفتين:

الأولى: أن تكون مخالفةً لضرورة عقلية.

كقول النصارى: إنَّ الله في عين كونه واحدًا هو ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)، وكادعاء بعض المجسمة -ومنهم الوهابية - أنَّ لله في يدًا مادية وعينًا مادية وما شاكل ذلك، فإنَّ هذا يستلزم التركيب والجسمية والمحدودية، مما يعني وجود الله في مكانٍ دون آخر، وهو محالٌ؛ لأنّ التركيب والجسمية والمحدودية من صفات الإمكان،

⁽١) تفسير الميزان للطباطبائي ج٢ ص ١٠٦.

⁽٢) تفسير الميزان للطباطبائي ج١٥ ص ٤٠٦.

⁽٣) أصل الشيعة وأصولها- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء- ص١٦٧

وهو (جلّ في علاه) واجبُّ. تعالى الله عما يصفون علوًا كبيرًا.

الثانية: أن تكون مخالفةً لضرورة نقلية.

كادعاء أنَّ النبي الأكرم عَلَيْ يهجر أو يخطئ؛ لأنه مخالفٌ لقوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمُوىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾ (١) وليس في الرجعة ما يخالف ضرورة نقلية ولا عقلية.

بل إنَّ العقل والنقل دلّا على إمكان البعث يوم القيامة، وهو رجوعٌ بصورةٍ شاملة وعامة وأكثر وأعقد من الرجعة، فكلُّ من آمن بالبعث والمعاد يلزمه أن يقول بإمكان الرجعة.

النقطة الرابعة: هل الرجعة أمرٌ واقعٌ خارجًا أو إنه باق في حيز الإمكان؟

إنَّ الرجعة وقعت في الأمم السابقة، وما دامت وقعت سابقًا فلا مانع من وقوعها في المستقبل، خصوصًا مع ما ورد عن النبي الأكرم على الأكرم على التركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»، وفي روايةٍ أخرى: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». (٢)

وهناك أدلةٌ قرآنيةٌ كثيرة تدلُّ على وقوع الرجعة في الأمم السابقة، منها ما يأتي (٣):

ألف: في ما يتعلق بالنبي الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وعظام أهلها نخرة متفرقة هنا وهناك. فتساءل في نفسه وقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم أحياه فقال له: كم لبثت؟! قال: لبثت يوما أو بعض يوم قال: بل لبثت مئة عام. [مؤدى الآية ٢٥٩ - من سورة البقرة]. وسواء كان هذا النبي عزيراً أم سواه، فلا فرق في ذلك، المهم أن القرآن صرح بحياته بعد موته في هذه الدنيا فأماته الله

⁽١) النجم ٤ و ٥.

⁽٢) دعائم الإسلام للقاضي المغربي ج١ ص١.

⁽٣) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٢ - ص ١٤٢ - 1٤٢ .

عقيدتنا في الرجعة المرجعة المر

مئة عام ثم بعثه!

ب - يتحدث القرآن - في الآية (٢٤٣) من سورة البقرة ذاتها - عن جماعة أخرى خرجت من ديارها خوفا من الموت، وامتنعت من الذهاب إلى سوح القتال بحجة مرض الطاعون، فأماتها الله ثم أحياها ﴿أَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المُوْتِ فَقَالَ لُمُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَصْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ كَذَرَ المُوْتِ فَقَالَ لُمُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَصْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ وبالرغم من أن بعض المفسرين لم يتحملوا وقوع مثل هذه الحادثة غير المألوفة، وعدوها مثالا فحسب، إلا أن من الواضح أن مثل هذه التأويلات إزاء ظهور الآية - بل صراحتها - لا يمكن المساعدة عليه!

ج - وفي الآيتين ٥٥ و ٥٦ من سورة البقرة أيضاً، يتحدث القرآن عن بني إسرائيل فيقول: وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون.

د - ونقرأ في الآية (١١٠) ضمن معاجز عيسى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾. ويدل هذا التعبير على أن المسيح الله أحيا الموتى فعلا، بل التعبير بالفعل المضارع (تخرج) يدل على أنه أحيا الموتى مرارا، وهذا الأمر بنفسه يعد نوعا من الرجعة لبعضهم!

ه - وأخيرا ففي الآيتين (٧٢) و (٧٣) من سورة البقرة، إشارة إلى مقتل رجل من بني إسرائيل ووقوع الجدال والنزاع في شأن قاتله، وما أمرهم الله أن يفعلوه بضرب القتيل ببعض البقرة - الواردة خصائصها في الآية ٧١ و ٧٢ - إذ يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَاللهُ نُخْرِجٌ ما كُنتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللهُ المُوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وبالإضافة إلى هذه المواطن الخمسة التي أشرنا إليها، فهناك مواطن أخر في القرآن،

منها قصة أصحاب الكهف، وهي قصة تشبه الرجعة. وقصة الأربعة من الطير التي أمر إبراهيم أن يذبحها فأتينه سعيا بعد ذبحهن وتفريقهن على رأس كل جبل جزءا منهن، ليتضح له إمكان المعاد للناس ويكون مجسدا برجوع هذه الطيور إلى الدنيا.

النقطة الخامسة: استدلال آخر على الرجعة قرآنيًا.

من الأدلة التي استُدِلَ بها على الرجعة هي الآية القرآنية التي تحكي حال بعض الناس مع الله ، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيل ﴾ (١)

ببيان:

إنَّ هؤلاء يتكلمون مع الله ﴿ بقولهم: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ والإماتة الأولى وقعت في الحياة الدنيا، وأنهت حياتهم الأولى، وبعد ذلك رجعوا إلى الدنيا، ومن ثم أماتهم الله ﴿ مرةً ثانية، وهذه الإماتة أيضًا وقعت في الحياة الدنيا، وأنهت حياتهم الثانية فيها. وبعد أن ماتوا أعاد الله ﴿ لهم الحياة مرة ولكن هذه المرة في الحياة الأخروية.

وبذا كانت هناك إماتتان وإحياءان، ومعنى الآية لا يستقيم إلا بالقول بالرجعة. وهذا ما اشار إليه الشيخ في عبارة كلامه، حيث قال: «كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثا لعلهم يصلحون: ﴿قَالُوا رَبَّنا أَمَتّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيل ﴾.»

ثم أشار (طيّب الله ثراه) إلى أنَّ البعض قد حاول أنْ يناقش في هذه الآية ويفسرها بتفسير آخر لا يتلاءم مع الرجعة، ومن هذه التفاسير ما نقله فخر الدين الطريحي في تفسير غريب القرآن:

⁽۱) غافر ۱۱.

عقيدتنا في الرجعة الرجعة

التفسير الأول:

قال: «فالموتة الأولى: كونهم نطفا في أصلاب آبائهم لأن النطفة ميتة، والحياة الأولى إحياء الله إياهم من النطفة، والموتة الثانية إماتة الله إياهم بعد الحياة، والحياة الثانية إحياء الله إياهم للبعث فهاتان موتتان وحياتان.»(١)

وهذا التفسير غير مقبول؛ لأنَّه لا يُقال عن النطفة في صلب الرجل إنَّها ميتة؛ لأنَّ الموتَ يكون عن حياة، أي هناك حياةٌ تسبق الموت، والعلم أثبت أنَّ النطفة ليست ميتة.

التفسير الثاني:

إنَّ الحياة الأولى هي حياتهم في عالمِ الذر، وبعد عالم الذر ماتوا الموتة الأولى، ثم صار عندهم حياة في الدنيا ثم ماتوا، حيث نقل الطريحي: «وقيل: إن الموتة الأولى التي كانت بعد إحياء الله إياهم في الذر إذ سألهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلى ﴾(١)، ثم أماتهم بعد ذلك ثم أحياهم بإخراجهم إلى الدنيا، ثم أماتهم ثم يبعثهم الله إذا شاء، فهذه موتتان وحياتان».(١)

وهذا التفسير أغرب من سابقه كما هو واضح.

النقطة السادسة: محاولة الكيد بالتشيع من خلال القول بالرجعة.

حاول البعض (مثل أحمد أمين المصري في كتابه فجر الإسلام) أنْ ينكر القول بالرجعة ويحاول الكيد بالتشيع فيقول: فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة. (٤)

والحال أنَّه مع إمكانها وتصريح القرآن بوقوعها لا مجال لإنكارها، وأما اعتقاد

⁽١) تفسير غريب القرآن للشيخ فخر الدين الطريحي ص ١٣٨.

⁽٢) الأعراف ١٧٢

⁽٣) تفسير غريب القرآن للشيخ فخر الدين الطريحي ص ١٣٨.

⁽٤) راجع: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج١ ص٥٥.

اليهود بها فلا يبطل حقانيتها، فإنَّ الذي يمكن أنْ يُشنَّع به على أحد هو الاعتقاد بالباطل، أما إذا كان اعتقادًا صحيحًا فلا.

وإلا فاليهود يعتقدون بوجوب الختان والذبح بالسكين أيضًا، أفمن اللازم أنْ نتخلى عن تلك الأحكام لاعتقادهم بها، بل هم يعتقدون أيضًا بأن الله هو الخالق، أفنكفر بذلك لنظفر برضا أحمد أمين وأمثاله قليلي العقل والمنطق؟!

ثم لا أدري كيف يجيب أحمد أمين وأمثاله على أمر عمر بن الخطاب بالتكتف في الصلاة وجعله واجبًا بعد أنْ شاهده عند مجموعةٍ من اليهود تبجيلًا لعظائهم، فاستحسنه وحمله على المسلمين في صلاتهم!

النقطة السابعة: ما هي فلسفة الرجعة؟

ذكر العلماء العديد من النكات والحكم للرجعة في الدنيا، نذكر منها:

١ - هي دليلٌ آخر على إمكان وقوع البعث يوم القيامة.

٢ - هي فرصةٌ لتكامل المؤمنين الذي حالت الظروف دون وصولهم إلى كمالهم
 الذي كان من الممكن أن يصلوا إليه.

٣ - هي انتقامٌ معجل لأولئك الظلمة الذين ماتوا من دون أنْ يؤخذ الحق منهم.

٤ - إنَّ كثيرًا ممن يرجعون سيكون لهم أدوار مهمة في دولة الإمام المهدي، ولذلك نجد الترابط واضحًا بين الرجعة ودولة الإمام المهدي.

النقطة الثامنة: هل ذكرت الروايات الشريفة أسماء بعض الذين يرجعون؟

نعم، والروايات في هذا المجال كثيرة، منها:

عن الإمام الصادق عنه (أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن

عقيدتنا في الرجعة المرجعة المر

على ﴿ اللهِ الله

وعنه هذا: «إنَّ أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي الله ويمكث في الأرض أربعين سنة حتى يسقط حاجباه على عينيه». (٢)

وعن الإمام الحسين الله الحسين الأمن وقيام قائمنا». (أكون أول من ينشق الأرض عنه، فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين وقيام قائمنا». (٣)

وعن الإمام الباقر على البكير بن أعين: «إنَّ رسول الله الله وعليًا سيرجعان». (٤)
وعن الإمام الصادق على: «كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان
الناس بأسيافها بين الصفا والمروة». (٥)

وعن الإمام علي الله الله أحياء من آدم إلى محمد على مرسل، يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعًا... وإن لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقات».(٦)

وعن الإمام الباقر عليه عهامة سوداء وعن الإمام الباقر عليه عهامة سوداء وذوًا بتاها بين كتفيه مصعدًا في لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مكبرون، ومكرون».(٧)

⁽١) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - ص ٢٤.

⁽٢) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - ص ١٨.

⁽٣) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليان الحلي - ص ٣٧.

⁽٤) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - ص ٣٧.

⁽٥) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليان الحلى - ص ٢٥.

⁽٦) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليان الحلي - ص ٣٣.

⁽٧) اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ٢ - ص ٤٨١ رقم ٣٩٠.

وعن الإمام الصادق ﴿ إِنَّي سألت الله في إسماعيل أنْ يبقيه بعدي فأبى ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أخرى أنَّه يكون أول منشور في عشرة من أصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه». (١)

وفي رواية الإرشاد عن الإمام الصادق : «يُخرج القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلا، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالكا الأشتر، فيكونون بين يديه أنصارا وحكاما»(٢).

وهناك روايات أخرى، نكتفى بهذا القدر منها.

النقطة التاسعة: رجوع الإمام الحسين على ودوره؟

إنَّ مما أكدته الروايات الشريفة هو رجوع الإمام الحسين، وأنّه أول من سيرجع وتنشق الأرض عنه، ومن تلك الروايات الواردة في هذا المجال ما روي عن أبي جعفر الباقر : «أنّ الحسين قال لأصحابه: «أبشروا بالجنة، فوالله! إنّا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثم يخرجنا الله وإياكم حتى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب». (٣)

وورد أنَّ الله الخبر رسول الله عَلَيْهُ وبشّره بالحسين قبل حمله وأنَّ الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة ثم أخبره بها يُصيبه من القتل والمصيبة في نفسه وولده ثم عوضه بأنْ جعل الإمامة في عقبه وأعلمه أنَّه يُقتل، ثم يرده إلى الدنيا وينصره حتى يقتل

⁽١) اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ٢ - ص ٤٨١ رقم ٣٩١.

⁽٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣٨٦.

⁽٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين على - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم على - ص ٤٩٨ الحديث (٣).

عقيدتنا في الرجعة

أعداءه ويملكه الأرض وهو قوله ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ﴾ (١). (٢)

وقد ذكر بعض العلماء بأنَّ رجوعه هو من أجل:

١/ الوصول بالأمة إلى هدفه الذي نهض من أجله وحالت الظروف دون وصوله إليه «الإصلاح في أمة جدي رسول الله عليه »... (٣)

٢/ قيادة دولة الإمام المهدي بعد قتله، ولذلك ذكرت الرواية أنَّ الإمام
 المهدى سيكون موته بعد استقرار معرفة الناس بأن هذا هو الحسين

إن الإصلاح الذي ثار من أجله الإمام الحسين عايته العدل والقسط، وهو ما لم تتح الفرصة المواتية لتحقيقه آنذاك، وهو ما سيتم على يدي المهدي وسيكون للإمام الحسين دور في ذلك أيضاً.

٣/ إنه هو الذي يلي أمر الإمام المهدي بعد وفاته، لأن الوصي لا يلي أمره إلا الوصي.

فهو 🎬 من سيغسل الإمام المهدي 🗯 ويلي أمره.

فقد روي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْقَاسِمِ الْبَطَلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ﴿ فَي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ قَالَ: قَتْلُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِب ﴿ وَطَعْنُ الحُسَنِ ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾ قَالَ: قَتْلُ الحُسَيْنِ ﴿ فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ دَمِ الْحُسَيْنِ ﴿ فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ دَمِ الْحُسَيْنِ ﴿ فَبَعَنْنَا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ جَاءَ وَعْدُ أُولاهُما ﴾ فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ دَمِ الْحُسَيْنِ ﴿ فَبَعَنْنَا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ ﴾ قَوْمٌ يَبْعَثْهُمُ الله قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ ﴿ فَلَا يَدَعُونَ وَتْراً

⁽١) القصص ٥.

⁽٢) تفسير القمى - على بن إبراهيم القمى - ج ٢ - ص ٢٩٧.

⁽٣) الشيخ محمد السند في حوار أجرته معه مجلة الإصلاح الحسيني العدد الثاني ص ٣١.

سؤال: كم هي مدة دولة الإمام المهدي الله الم

ينبغي علينا في هذا الموضوع أن نُميِّز بين أمرين:

الأمر الأوَّل: مدَّة الدولة المهدوية العادلة:

وهنا يمكن القول بأنَّ الدولة ستبقى إلى يوم القيامة، إذا لاحظنا التالي - مع الالتفات إلى أنَّ المقصود من الدولة المهدوية ما يشمل حكم الإمام المهدي في وحكم الأئمَّة عليه في الرجعة -:

أَوَّلاً: ما ورد من أنَّ دولتهم عليه هي آخر الدول على الأرض، ممَّا يعني عدم قيام دولة أُخرى بعدها.

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الله قال: «ما يكون هذا الأمر حتَّىٰ لا يبقى صنف من الناس إلَّا وقد ولّوا علىٰ الناس حتَّىٰ لا يقول قائل: إنّا لو ولّينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحقِّ والعدل»(٣).

وعن أبي جعفر ﷺ، قال: «دولتنا آخر الدول، ولن يبقَ أهل بيت لهم دولة إلَّا ملكوا

⁽۱) الكافي للكليني ج ٨ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ ح ٢٥٠.

⁽٢) انظر: على ضفاف الانتظار - الشيخ حسين الأسدي ص ٢٧٦ عنوان رقم (١٠٥)

⁽٣) الغيبة للنعماني: ٢٨٢/ باب ١٤/ ح٥٣٠.

عقيدتنا في الرجعة المرجعة المر

ثانياً: ما ورد من تصريح بكونها ستبقىٰ إلىٰ يوم القيامة، مثل الحديث القدسي الشريف: «ولأُطَهِّرَنَّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأُمُكِّنَنَه مشارق الأرض ومغاربها، ولأُسَخِّرَنَّ له الرياح، ولأُذَلِلَنَّ له السحاب الصعاب، ولأُرَقِيَّنَه في الأسباب، ولأنصرنَّه بجندي، ولأمدنَّه بملائكتي حتَّىٰ تعلو دعوتي ويجتمع الخلق علىٰ توحيدي، ثمّ لأديمنَّ ملكه، ولأُداولنَّ الأيّام بين أوليائي إلىٰ يوم القيامة»(٣).

الأمر الثاني: مدَّة ملك الإمام المهدى الله عليه الأمر

والروايات الواردة في هذا المجال جاءت بلفظ: «يملك القائم».

وقد اختلفت الروايات في تحديد تلك المدَّة بين سبع وثمان وتسع وتسع عشرة سنة وأشهراً وسبعين وثلاثمائة وتسع سنين.

وقد يكون سبب اختلاف الروايات في تحديد هذه المدَّة راجعاً إلىٰ أحد الأُمور التالية:

أ - إمكان حصول البداء في هذه المدَّة.

⁽١) الأعراف: ١٢٨

⁽٢) الغيبة للطوسي: ٤٧٢ و٤٧٣/ ح ٤٩٣.

⁽٣) علل الشرائع للصدوق ١: ٧/ باب ٧/ ح ١.

ب - أنَّ الصحيح منها رواية واحدة في علم الله تعالىٰ ذكرت مدَّة معيَّنة، ولكن نحن لا نعلمها لسبب وآخر.

ج - تعمّد إخفاء أهل البيت المدّة الحقيقية لسبب ما، ولعلّه إشارة إلىٰ أنّه ليس مهمّاً طول الفترة التي يملك بها الإمام المهدي ، بل المهمّ أنّه سيُثبّت أركان الدولة العادلة، ليستلمها من بعده من يستمرُّ بها من دون أن يزيغ عن الحقّ قيد أنملة.

والأرجح من هذه الروايات هي الروايات التي قالت: إنَّه يملك ثلاثهائة وتسع سنين، لأنَّها واردة في كتبنا، وأكثر الروايات الأُخر واردة في كتب العامَّة.

فعن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر ﷺ: «إنَّ القائم يملك ثلاثهائة وتسع سنين كها لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كها مُلِئَت ظلهاً وجوراً...»(١).

سؤال: من الذي يلي أمر المعصوم؟

إذا كان الوصي لا يلي أمره إلا الوصي، فعند موت الإمام المهدي على أمره الإمام الحسين، فإن مات الإمام الحسين، فإن مات الإمام الحسين،

لو قيل: يأتي بعده أمير المؤمنين على وهو الذي يلي أمره وهكذا، إذا وصلنا إلى آخر معصوم بحيث لا يرجع بعده معصوم آخر ليلي أمره، فمن الذي يغسله؟

الجواب: نذكر أمرين:

الأول: هل إنَّ قاعدة (لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم) قاعدة عقلية؟

للتوضيح: القاعدة العقلية هي القاعدة التي لا تختلف ولا تتخلف، كمجموع زوايا المثلث التي تساوي ١٨٠ درجة، فلا يمكن أنْ تختلف باختلاف الظروف والزمان والمكان، كما لا يمكن أن تتخلف فيكون مثلثٌ ما من المثلثات مجموع زواياه أقل أو أكثر

⁽١) الغيبة للطوسي: ٤٧٣ و٤٧٤/ ح ٤٩٦.

عقيدتنا في الرجعة (عقيدتنا في الرجعة

من ١٨٠ درجة. وكاجتهاع النقيضين فهو أمرٌ محال، لا يختلف في ذلك ولا يتخلف ولا يقبل الاستثناء.

ومعه، فمن الواضح أنَّ قاعدة (لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم) هي ليست قاعدة عقلية، وإنَّها هي قاعدة عادية إن صحّ التعبير، بمعنى أننا وجدنا أن من علامات الإمام اللاحق أنه يغسل ويصلي على الإمام السابق، وهو كها ذكر في الروايات الشريفة، لذلك عندما توفي الإمام الحسن العسكري خرج جعفر ليصلي عليه، فخرج الإمام المهدي وكان صبيًا وعمره خمس سنوات وقال: «تأخريا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر، وقد أربد وجهه واصفر. (١)

فهي قاعدة عاديّة لا عقلية ويمكن أنْ تختلف وتتخلف.

الثاني: نحن نؤمن بأنَّ الله الله سيهيئ شخصًا الائقًا ليلي أمر المعصوم الأخير.

تنبيه:

يظهر من الروايات الشريفة التالي:

١/ أن انتظار الفرج بمعناه الصحيح الذي تقدم الكلام عنه تفصيلاً، يجعل المؤمن مهيئاً ومرشحاً ليكون من الراجعين.

٢/ صرَّحت بعض الروايات بأنَّ سؤالاً كان يُقلِق مضاجع بعض المؤمنين في زمن المعصومين الذلك كانوا قد توجَّهوا للأئمَّة الله بالسؤال عنه، وهو أنه ما هو مصير المؤمن المنتظر الذي مات قبل الظهور وهو يأمل أن يُدرك ظهور مولاه الحجة ؟

وقد ألقىٰ إليهم الأئمَّة جواباً يُثلِج الصدور ويُبرِّد الغليل.

⁽١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤٧٥ ب٤٣.

إنَّ المؤمن المنتظر إذا مات قبل ظهور الإمام المهدي، فإنَّه سيبُشَّر بذلك وهو في قبره، وقد يُخيَّر في الرجوع إلى الدنيا لنصرة القائم،

وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة، فقد روي عن الإمام الصادق — وهو يتحدَّث عن زمن الظهور المبارك -: «... ولا يبقى مؤمن ميِّت إلَّا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره، وذلك حيث يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم عليه الفرحة في قبره، وذلك حيث يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم عليه الله الفرحة في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم عليه الله الفرحة في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم المناسبة المن

وعن المفضَّل بن عمر، قال: ذكرنا القائم هُ ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله هذا! إنَّه قد ظهر صاحبك، فإذا تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربِّك فأقم»(٢).

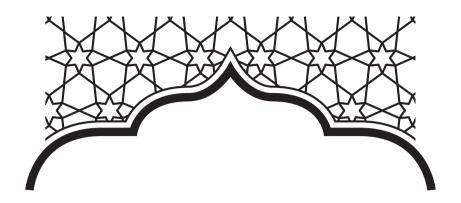
وفي نفس السياق جاء عن الإمام الباقر عن الأمل الجق دولة إذا جاءت وقي نفس السياق عن الإمام البيت، فمن أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى، وإن قبضه الله قبل ذلك خار له...»(٣).

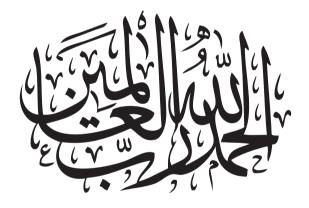
فقوله ﷺ: «خارله» يُراد منه ما أشارت له الرواية السابقة من التخيير بين البقاء أو الرجوع، والله العالم.

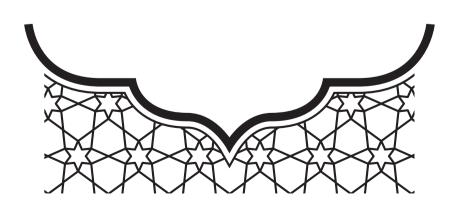
⁽١) الغيبة للنعماني: ٣٢٣/ باب ٢٠/ ح٥.

⁽٢) الغيبة للطوسي: ٥٥٨ و٥٥٩/ ح ٤٧٠.

⁽٣) الغيبة للنعماني: ٢٠١/ باب ١١/ ح ٢.







المحتويات

٥	عقيدتنا في الإمامة
٧	هل الإمامة أصلٌ من أصول الدين أو فرعٌ من فروعه؟
٨	سبب الاختلاف في كون الإمامة أصلاً أو فرعاً:
٨	ما هو الدليل على أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين؟
٨	مقدمة:
٩	أدلة كون الإمامة أصلًا من أصول الدين:
10	منشأ الضرورة في البحث عن الإمامة.
14	الإمامة لطف من اللَّه تعالى
17	نكتة:
*1	إنَّ الإمامة استمرار للنبوة.
77	إشكالٌ (الفترة) وجوابه:
7 £	والجواب:
40	نكتة مهدوية:
77	استطراد:
79	عقيدتنا في عصمة الإمام
٣.	عقيدتنا في عصمة الإمام.
٣.	ما الدليل على لزوم عصمة الإمام؟

ائد الإمامية	دروس منهجية في شرح عق		441
٣٢	م ريًا في الإمامة عند الإمامية؟	ذا كانت العصمة أمرًا جوه	Ц
٣٣		: بطلان التسلسل:	ثالثًا:
٣٣		يان:	بب
٣٤		يظة:	ملاح
٣٧		في صفات الإمام وعلمه	مقيدتنا
٣٨	مام	رة الأولى: أنواع كمالات الإ	الإشا
49	و الخَلقي.	نوع الأول: الكمال البدني اه	ال
٤٠		نوع الثاني: الكمال النفسي	ال
٤٢	قي	نوع الثالث: الكمال الأخلا	ال
٤٦		نوع الرابع: الكمال العلمي	ال
٤٨	<u>,</u>	نوع الخامس: الكمال الغيبي	ال
٤٩	لالبيت للفراليّالان	رة الثانية: مصادر علوم أه	الإشا
٤٩		لهما: إجمالي:	أو
٤٩		ثانيهما: تفصيلي:	و
٥ ٠		أول: القرآن الكريم	11
۵۱	لله. واله	ثاني: تعاليم النبي الأكرم	اك
٥٢		نبارة هامة:	إِنْ
00		ثالث: أصول العلم.	اك
٥٦	ن (غير المُحرِّفة)	رابع: كتب الأنبياء السابقير	ال
٥٨		لخامس: كتاب علي ﷺ	-1
٥٨	بلوات الله وسلامه عليها.	سادس: مصحف فاطمة ص	ال

897	المحتويات
09	السابع: الجامعة:
٦.	الثامن: الجفر:
71	التاسع: الإلهام.
77	العاشر: الزيادة المستمرة للعلوم:
77	الحادي عشر: الناموس:
78	الثاني عشر: التوسم:
٦٧	عقيدتنا في طاعة الأئمة
79	أسباب أو مقتضيات لزوم الطاعة
٧٢	ملاحظات مهمة:
٧٢	الأولى: أن طاعة أهل البيت عليه عين في طاعة الرسول الله
٧٣	الثانية: أنَّ معنى طاعة أهل البيت الله الله تعني التالي:
٧٤	الثالثة: هناك فرق بين الاعتراف النظري والاعتراف العملي
٧٤	الأدلة الدالة على لزوم طاعة أهل البيت عِلَيْ السِّين ؛
٧٤	الدليل الأول: استلزام مفهوم الإمامة لوجوب الطاعة.
٧٥	الدليل الثاني: حديث الثقلين:
٧٨	الدليل الثالث: قوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ و
۸١	أولوا الأمر هم أهل البيت عِلِيَّا اللهِ نقلًا.
۸۳	دلالات حديث السفينة
۸۳	١/ كلتا السفينتين وُجِدَت بأمر الله ﷺ:
٨٥	٢/ كلُّ من النبي نوح ﷺ والنبي محمديًّا واجها الاستهزاء
٨٦	٣/ لم يقتنع كلُّ من قوم النبي نوح ﷺ وقوم النبي

	000
T99 /	المحتويات
١ • ٨	تاسعًا: دلالة وحدة المحور.
١ • ٨	عاشرًا: الدلالة على قدرة الله تعالى وحكمته.
1 • 9	أحد عشر: دلالة عدم التصادم بين الوظائف.
1 • 9	إشارة: في مناقشة حديث: أصحابي كالنجوم.
11.	الجواب:
118	دلالات حديث المنزلة
110	إشكالٌ وجوابه:
117	دلالات حديث المنزلة
117	الفقرة الأولى: دلالات «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»:
١١٨	المنزلة الأولى: الوزارة.
119	المنزلة الثانية: الأخوّة وشدِّ الأزر.
171	المنزلة الثالثة: الإشراك في الأمر.
177	إشارة: معنى العقدة في لسان النبي موسى ١٠٠٠
١٢٣	المنزلة الرابعة: الخلافة:
178	المنزلة الخامسة: التصديق:
177	المنزلة السادسة: إتيان الكتاب:
177	المنزلة السابعة: الهداية:
١٣١	المنزلة الثامنة: السلام:
171	١/ السلام عليهما من الله ﷺ:
177	٢/ أنهما من المحسنين:
144	٣/ أنسا من المؤ منين:

١٣٣	المنزلة التاسعة: الإصلاح:
188	أوجه الشبه بين هارون وعلي على السلام.
١٣٤	١/ خيانة الأمة والاستضعاف.
١٣٦	٢/ ما أُحل لهارون وعلي ﷺ .
۱۳۸	٣/ أسماء أو لادهما.
149	٤/ المحنة المشتركة:
189	الفقرة الثانية: (إلا أنه لا نبي بعدي).
149	الحقيقة الأولى: ختم النبوة به عَيْلاً.
١٤٠	الحقيقة الثانية: خلافة الإمام على خلافة وصاية بلا نبوة.
154	إشارات في عبارة الكتاب
154	الإشارة الأولى: هم الشهداء على الناس
154	الإشارة الثانية: هم أبواب الله.
120	الإشارة الثالثة: هم السبب إليه والأدلُّاء عليه.
120	الإشارة الرابعة: هم عيبةُ علمه.
120	الإشارة الخامسة: هم تراجمة وحيه.
127	الإشارة السادسة: هم أركان توحيده.
127	الإشارة السابعة: هم خزان معرفته.
127	الإشارة الثامنة: هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.
1 2 9	الإشارة التاسعة: هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.
10.	الإشارة العاشرة: عدم جواز الرد عليهم.
10.	الإشارة الحادية عشرة: عدم فراغ الذمة إلا بالرجوع إليهم.

٤٠١		المحتويات
	-000	

10.	الإشارة الثانية عشرة: المهم في بحث الإمامة إثبات لزوم الرجوع إليهم
108	إشكالٌ وجوابه:
100	عقيدتنا في حب آل البيت عليهم السلام
171	إشارات:
170	عقيدتنا في الأئمة عليهم السلام
177	النقطة الأولى: لا يخلو مسلمٌ من الاعتقاد بهم.
177	الأولى: مرتبة المُقصِّرة.
177	الثانية: مرتبة الغلاة.
۸۶۸	المرتبة الثالثة: (النمرقة الوسطى).
179	النقطة الثانية: حد الاعتقاد (النمرقة الوسطى).
1 V 1	مراتب المعرفة بأهل البيت عليهم السلام
1 / 1	المرتبة الأولى: المعرفة الإجمالية:
1 / 1	المرتبة الثانية: الجمع بين محبتهم ومحبة أعدائهم.
۱۷۳	المرتبة الثالثة: محبتهم وطاعتهم دون الاعتقاد بمقاماتهم العالية.
۱۷۳	المرتبة الرابعة: الاتباع المصلحي.
1 V E	المرتبة الخامسة: الاعتقاد المطلق بولايتهم والبراءة من أعدائهم.
140	إشارة: في لزوم التسليم لهم عَمِي السَّالِينَ .
1 / /	عقيدتنا في أنَّ الإمامة بالنص
1 / 9	الأراء في كيفية جعل الإمام
1 / 9	النظرية الأولى: نظريةُ قبولِ الأمر الواقع:
۱۸۰	النظرية الثانية: نظرية النص:

عقائد الإمامية	دروس منهجية في شرح
1.4.1	ماذا يعني النص؟ ماذا يعني النص؟
141	الطريق الأول: التبليغ.
1.41	الطريق الثاني: المعجزة.
144	الطريق الثالث: الطريق العقلي.
1.00	أدلة وجوب التنصيب الإلهي
١٨٥	الدليل الأول: دليل اللطف:
7.47	الدليل الثاني: الإمام المجعول من الله ﷺ يمثل الحل الأمثل
7.47	الدليل الثالث: تنصيب الإمام مهمة الله ﷺ وحده:
١٨٧	إشارات:
١٨٧	الإشارة الأولى: إنَّ النص على الإمام يوفر لنا بعدين مهمين:
1.49	الإشارة الثانية: هل يمكن للعقل أن يُدرك الإمام الحق؟
1.49	الوجه الأول: مقام المولوية.
19.	الوجه الثاني: النص الإلهي يكشف جميع المقامات.
191	الإشارة الثالثة: لماذا لم يُذكر اسم الإمام عليُّ كا لقرآن؟
۲	والخلاصة:
۲	الإشارة الرابعة: نظرية التنصيب أمرٌ متصور لدى
7.7	الإشارة الخامسة: علة جعل الإمامة في ذرية الإمام الحسين
۲.۳	الأولى: تنصيب الإمام إلهيُّ، والله تعالى لا يُسأل عن فعله.
7 • £	الثانية: عدم الملازمة بين الخصوصية والأفضلية.
Y • 0	الإشارة السادسة: شبهة الإمامة بسنٍ مبكرة:

۲٠۴	المحتويات
Y • 9	مقيدتنا في عدد الأئمة عليهم السلام
711	شبهة الاختلاف في عدد الأئمة عِلَمُ السِّلا:
* 1 V	عقيدتنا في المهدي عجل اللُّه فرجه الشريف
771	عل إنَّ القضية المهدوية من مختصات الشيعة؟
777	المطلب الأول: هل إنَّ القضية المهدوية قضية إنسانية؟
777	المطلب الثاني: ما هو اعتقاد أهل الديانات السماوية والوضعية
777	أُولًا: الديانات السماوية:
475	ثانيًا: الديانات الوضعية:
770	المطلب الثالث: ما هو اعتقاد أهل السنة بالقضية المهدوية؟
777	أولًا: بعض الروايات العامية التي أثبتت القضية المهدوية.
777	الإمام المهدي ﷺ في كلمات المعاصرين من مدرسة الخلفاء:
779	ثانيًا: شبهة عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي.
779	تعريف موجز للبخاري ومسلم:
7 77	نماذج عن تلك الأحاديث:
747	المطلب الرابع: ادعاء المهدوية دليلٌ على صحة قضيتها.
۲۳۸	بيان: في الدعاوي المهدوية الباطلة والنقاش فيها:
744	أولًا: أسباب الدعاوي المهدوية:
744	ثانيًا: أقسام الدعاوي المهدوية:
72.	نماذج من القسم الأول: من نُسبت إليه المهدوية وهو منها بريء:
78.	الفرقة الأولى: الكيسانية:
7	من أهم عقائد الكسانية:

400

YOV

الطريق الثاني: الطريق الخطابي.

تطبيق في القضيّة المهدوية:

٤٠٥	(المحتويات
Y01	الطريق الثالث: طلب الكرامة أو المعجزة.
771	الطريق الرابع: الإهمال.
774	الطريق الخامس: الاستهزاء.
Y 7 Y	ضرورة القضية المهدوية
777	أولًا: إثبات ضرورة القضية المهدوية للعامة من المسلمين.
77 A	الدليل العقلي: دليل نقض الغرض.
779	وعودٌ إلهية
الأخرى. ٢٧٣	ثانيًا: إثبات ضرورة القضية المهدوية لمعتنقي سائر الديانات الإلهية
Y V 0	شخصية الإمام المهدي عجل اللَّه فرجه الشريف بين المدرستين
440	المطلب الأول: أهم الفروق بين المدرستين في شخصيته 🎒.
***	المطلب الثاني: من أدلة ولادة الإمام المهدي على المعلى الثاني:
1VV	أولًا: العامة وولادة الإمام المهدي 🐲
444	ثانيًا: من أدلة الإمامية على ولادة الإمام المهدي الله المام المهدي المام الما
۲۸۳	المطلب الثالث: طول عمر الإمام على المسلم الم
715	١/ الدليل الشرعي:
Y N o	٢/ الدليل الطبي:
۲۸۲	٣/ الدليل التاريخي:
YAY	الانتظار المهدوي
YAY	المطلب الأول: فضل الانتظار
79.	المطلب الثاني: الفوائد التربوية للانتظار.
797	المطلب الثالث: معنى الانتظار.

اشارة:

المطلب الثالث: فائدة الغائب والغيبة.

٣1.

417

414

٤٠٧	المحتويات
۳۱۷	الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة.
٣١٩	كيف لنا أن نُميّز المهدي الحقَّ؟
719	النحو الأوَّل: طرق تشخيصية:
٣٢.	النحو الثاني: طرق تقريبية:
٣٢٣	إشارة: في بعض الصفات المختصة بالإمام المهدي الله المعنى
440	علامات الظهور
٣٢٦	علامات الظهور قسمان:
777	لعلامات الظهور فهمان:
779	إشارةٌ مهمَّة:
٣٣٠	العلامة الأُولى والثانية: السفياني والخسف في البيداء:
mm.	الموقف الأوَّل: مبدأ ظهوره وتحرّكه:
۲۳۱	الموقف الثاني: بعثه بالجيش خلف المهدي ﷺ والخسف به:
٣٣٢	الموقف الثالث: القضاء عليه:
٣٣٣	العلامة الثالثة: اليماني:
3 77	أسئلة وأجوبة مفيدة:
٣٣٦	العلامة الرابعة: الصيحة:
٣٣٨	العلامة الخامسة: قتل النفس الزكية:
451	أسئلةٌ حول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
٣٤١	السؤال الأول: ما هو سلاح الإمام المهدي ﷺ إذا ظهر؟
750	إشارة:
يةُ سلام؟! ٣٤٥	السؤال الثاني: هل المهدي الله عنه قاتلٌ سفاح وقصًاب أرواح؟ أو هو داع

عقائد الإمامية	دروس منهجية في شرح ع		٤٠٨
780	راع الدولة إداريًا. الأولى: ركائز الدولة إداريًا.	الخطوة ا	
~ £ 0	طة التشريعية	١/ السك	
451	طة التنفيذية.	٢/ السك	
451	طة القضائية.	٣/ السك	'
7 £ V	لثانية: لماذا يخاف البعض من ظهور الإمام المهدي اللهاي	الخطوة ا	
45 × 5	لثالثة: من هم الذين سيقتلهم الإمام المهدي الله ؟	الخطوة ا	
257	ياني:	١/ السف	
٣01	ية.	٢/ البتري	
404	ي قتلة الإمام الحسين ﷺ:	٣/ ذرار:	1
400	لرابعة: الإمامُ داعيةُ سلام.	الخطوة ا	
709	ار المهدوي	الانتص	ضمانات
٣09 ٣09	ار المهدوي الأول: قوة مصادر القضية المهدوية.		
	•	الضمان ا	
709	الأول: قوة مصادر القضية المهدوية.	الضمان ا الضمان ا	1
۳09 ۳٦٠	الأول: قوة مصادر القضية المهدوية. الثاني: عنصر المباغتة:	الضمان ا الضمان ا الضمان ا	
۳0۹ ۳٦٠ ۳٦٣	الأول: قوة مصادر القضية المهدوية. الثاني: عنصر المباغتة: الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش.	الضمان ا الضمان ا الضمان ا الجهة الأ	
۳0۹ ۳٦٠ ۳٦٣ ۳٦٣	الأول: قوة مصادر القضية المهدوية. الثاني: عنصر المباغتة: الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش. أولى: شخصية القائد:	الضمان ا الضمان ا الضمان ا الجهة الأ الجهة الث	
*** ***** **<l< td=""><td>الأول: قوة مصادر القضية المهدوية. الثاني: عنصر المباغتة: الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش. أولى: شخصية القائد: انية: الجيش.</td><td>الضمان ا الضمان ا الضمان ا الجهة الأ الجهة الث القسم الا</td><td></td></l<>	الأول: قوة مصادر القضية المهدوية. الثاني: عنصر المباغتة: الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش. أولى: شخصية القائد: انية: الجيش.	الضمان ا الضمان ا الضمان ا الجهة الأ الجهة الث القسم الا	
**********************************	الأول: قوة مصادر القضية المهدوية. الثاني: عنصر المباغتة: الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش. أولى: شخصية القائد: انية: الجيش. لأوَّل: أصحاب الألوية:	الضمان ا الضمان ا الخهة الأ الجهة الث القسم الا	
**** ***********************	الأول: قوة مصادر القضية المهدوية. الثاني: عنصر المباغتة: الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش. أولى: شخصية القائد: لانية: الجيش. لأوَّل: أصحاب الألوية: ثاني: الجيش الذي سيخرج به من مكّة المكرَّمة:	الضمان ا الضمان ا الجهة الأ الجهة الث القسم الا القسم ال	

٤٠٩	المحتويات
419	المفردة الثالثة: الرعب:
419	المفردة الرابعة: بعض خصائص الإمام ﷺ:
۲۷۱	المفردة الخامسة: نصرته بالملائكة.
477	المفردة السادسة: إحياء بعض الموتي وحضورهم في ركبه ﷺ:
٣٧٣	عقيدتنا في الرجعة
۳۷٦	النقطة الأولى: معنى الرجعة.
٣٧٧	تفسيرٌ آخر للرجعة ومناقشته:
۳۷۸	النقطة الثانية: القيمة الاعتقادية للرجعة.
٣ ٧ ٩	النقطة الثالثة: هل الرجعة أمر ممكن أو مستحيل؟
414	الأولى: أن تكون مخالفةً لضرورة عقلية.
٣٨٠	الثانية: أن تكون مخالفةً لضرورةٍ نقلية.
٣٨٠	النقطة الرابعة: هل الرجعة أمرٌ واقعٌ خارجًا أو إنه باقٍ في حيز الإمكان؟
٣٨٢	النقطة الخامسة: استدلال آخر على الرجعة قرآنيًا.
٣٨٣	التفسير الأول:
٣٨٣	التفسير الثاني:
۳۸۳	النقطة السادسة: محاولة الكيد بالتشيع من خلال القول بالرجعة.
۳۸٤	النقطة السابعة: ما هي فلسفة الرجعة؟
٣٨٥	النقطة الثامنة: هل ذكرت الروايات الشريفة أسماء بعض الذين يرجعون؟
۳۸٦	النقطة التاسعة: رجوع الإمام الحسين 🌉 ودوره؟
٣٨٨	سؤال: كم هي مدة دولة الإمام المهدي ١١٠٠٠
٣٨٨	الأمر الأوَّل: مدَّة الدولة المهدوية العادلة:

419

الأمر الثاني: مدَّة ملك الإمام المهدي ١٠٠٠

٣٩.

سؤال: من الذي يلي أمر المعصوم؟